
الألف كتاب
الثانى
٢٥١
جوسيبى دى لونا
موسولينى
ترجمة: د. عادل دمرداش
تقديم وتحرير: لمعى المطيعى
الهيئة المصرية العامة للكتاب
Bibliotheca Alexandrina
0121762



موسولینی

الألف كتاب الثانى

الإشراف العام
د. سمير سرحان
رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير
احمد صليحة

سكرتير التحرير
عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى
لمياء محرم

موسولينى

تأليف

جوسيبى دى لونا

ترجمة

د. عادل دمرداش

تقديم وتحرير

لمعى المطيعى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

هذه هي الترجمة العربية الكاملة لكتاب :

MUSSOLINI

للمؤلف

GIOVANNI DI LUNA

الفهـــــرس



تقـــــديم

خلال الأسبوع الأخير من شهر ، أبريل ، منذ واحد وخمسين عاما (١٩٤٥) تخلصـــت البشرية مـن (وخشـــين بشريين) الأول يدعى بنيتوموسوليني والثانى يدعى أدولف هتلر ٠

فى أبريل ١٩٤٥ قبض رجـــال المقاومة الايطاليـــة على موســـولينى وصديقته « كلارا بيتاتشى » وهمـــا يحاولان الهرب من ايطاليـــا ٠ وفى ٢٨ أبريل تـــم اعـــدام موســــولينى وكلارا ٠ وتم تعليقهما من أرجلهما عظة وعبرة ٠

وبعد ظهر يوم ٢٩ أبريل ١٩٤٥ وضـــع معاونو أدولف هتلر هذه الأخبار أمامه ٠ فقرر « هتلر » البقاء فى برلين وعدم الهرب وعقد قرانه على أخلص صديقة له « ايفابراون » وقررا الموت طوعا والتخلص من عار الاستسلام أو الوقوع فى قبضة الأعداء ٠

وفى ظهر يوم ٣٠ أبريل ١٩٤٥ دخل هتلر وايفا مخدعهما ٠ وسمع الأعوان صوت طلقة رصاص واحدة وانتظـروا لكنهم لم يسمعوا طلقـــة رصاص أخرى فدخلوا ووجدوا جثة هتلر على السرير والدماء تنزف منها بغزارة ٠ أما ايفابراون فقد استخدمت السم وماتت الى جواره ٠ وحملوا الجثتين الى الحديقة وأشـــعلوا فيهما النيران حســب وصـــية هتـــلر نفسه لهم ٠

النهاية فيها قدر من التشابه أما البداية ففيها قدر من الاختلاف ٠

النهاية ٠٠ الفرق فى الرحيـــل يومان ٠ البـــداية ٠٠ الفرق سبع سنوات ، ولد موسولينى عام ١٨٨٣ وولد هتلر عام ١٨٨٩ ٠ والد موسولينى كان مناضلا اشتراكيا أمميا من أسرة فقيرة ودخل السجن عام ١٩٠٢ ٠ ولذلك أصبح موسولينى اشتراكيا متطرفا ٠ بدأ الكتابة عن الاشتراكية وسب الدين ٠ وقع بعض مقالاته ضد الدين بـ (الملحد الأصيل) ٠

أما أدولف هتلر فقد كان يحلم فى صباه بأن يكون قسيسا كاثوليكيا عندما يكبر ولكنه بسبب الفقر قضى أيامه متشردا وترك المدرسة لضيق ذات اليد وهو فى السادسة عشرة من عمره ٠

اشتعلت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ ٠ التحق بالجيش برغبته الخالصة ليضمن الغذاء والملبس والمأوى وترقى من رتبة نفر الى رتبة (جاويش) ٠ وانتهت الحرب وهو يعتقد اعتقادا راسخا بأن ألمانيا هزمت بفعل الخونة (اليهود والشيوعيين) وظل حتى آخر أيام عمره يكره اليهود والشيوعيين ٠ أما صاحبه موسولينى فقد هاجر الى سويسرا لفترة وأصبح سكرتيرا لنقابة عمال البناء وركز هجومه على النفوذ السياسى للقساوسة ٠ وقبض عليه عام ١٩٠٩ بتهمة منافية للآداب وبالهجوم على أحد البنوك وسرقة مبلغ كبير ٠ وعام ١٩١٤ عارض موسولينى الدعوة الى الحرب العالمية ٠ ولما كان هذا الموقف هو موقف الشيوعيين الموالين للزعيم الشيوعى « فلاديمير اليتش لينين » فقد طرد من الحزب الاشتراكى فى ١٥ نوفمبر ١٩١٤ ٠ وتم تجنيده فى عام ١٩١٧ وفى تلك الفترة حدث تحول فى افكار موسولينى من الاشتراكى المتشرد الى المتعاون مع الملكية والجيش ٠ ومن التعاطف مع الطبقة العاملة الى فكرة التعاون الطبقى التى يؤمن بها شباب البورجوازية الصغيرة ٠ وناصب لينين العداء ونادى برفض التجربة الروسية وانضم بذلك الى جبهة المرتد كاوتسكى وبرنشتاين ٠

وبذلك كان من اليسير على خصومه فى الاشتراكية أن يصوتوا على طرده من الحزب الاشتراكى فى ١٥ نوفمبر ١٩١٤ وبدأت تظهر عليه افكاره الجديدة ٠٠ كأن يؤمن بنظرية الأقلية المتميزة وهى النظرية التى يؤمن بها السادة الدكتاتوريون كافة ٠٠ هكذا كان موسولينى وهتلر وفرانكو ٠ وتصاعدت عنده فكرة عدم الاكتراث بالجماهير وبدلا من الايمان بدور الطبقة العاملة سلك مسلك اللعب على الطبقة العاملة ٠ وزادت شعبية موسولينى فى الوقت الذى افتقر فيه الى القدرة على التحليل السياسى ٠ والغريب أن جماهير الغوغاء التفت حوله وأصبحت ترى فيه المنقذ لمشكلات ايطاليا ٠

وهكذا استقر رأى موسولينى على تكوين تنظيم سياسى يؤمن بزعامته فأسس ما أسماه (عصابات النضال) أو (جماعات الكفاح) ودغدغ أعصاب الجماهير بالعودة الى شعار الامبراطورية الرومانية : (المجد ـ القوة ـ السلام) وهى كلها شعارات تلهب مشاعر شباب البورجوازية الصغيرة التى تدعو الى التعاون الطبقى بدلا من الصراع الطبقى ٠

واستكمالا للشكل اتخذ موسوليني لجماعات النضال الجديدة التى أعلن عنها عام ١٩١٩ شعار قضاة الامبراطورية الرومانية الذى كان عبارة عن حزمة من العصى تتوسطها بلطة ذات حدين • وأصبح هذا شعارا لفاشية موسوليني • (والفاشية)مشتقة من كلمة (فاشـــيو) وتعنى الحزمة أو العصبة أو العصابة فيما بعد • وظهرت فى جنوب ايطاليا سنة ١٨٩٣ فاشيات مختلفة أو جماعات نضال • ثم ظهرت مرة أخرى قبيل الحرب العالمية الأولى فاشـــيات جديدة الى أن أسس موسوليني (الفاشـــية) سنة ١٩١٩ وذلك للقيام بثورة يسارية اذ كان يجنح لليســـار بحـكم انضمامه السابق للحزب الاشتراكى وبحكم تشدده فى ميوله اليسارية • وقد تحولت (فاشية) عام ١٩١٩ من منظمة يسارية الى منظمة يمينية متطرفة عام ١٩٢٢ عرفت رسميا باسم (الفاشية) •

وعلى الجانب الآخر من الألب كان هنـاك أدولف هتلر ومســيرته الخاصة • وقبل أن نذهب اليه لنعرف كيف كان حال هتلر ومسيرته نسجل لموسوليني أنه ظل فترة طويلة يرفض مقابلة أدولف هتلر ويســـخر من شعاراته الخاصة بالسيادة العرقية للشعب الألمانى •

وقد ذكرنا من قبل أن هتلر اعتقد أن ألمانيا هزمت بفعل الخونة (اليهود والشيوعيين) • وبعد أن خرج من الجيش طلب العودة مرة ثانية ليضمن الغذاء والملبس والمأوى • وكانت مهمته أن يأتى لقيادته بأخبار الشيوعيين واليهود • وبعدها أصبح هتلر عضوا فى حزب العمال الألمانى •

وكون جماعة نازية واختار لها شعارا هو الصليب المعقوف رمزا للجنس الآرى النقى • وعام ١٩٢٠ أطلق على هذه الجماعة اسم (الحزب الاشتراكى الوطنى) و (النازى) هو اختصار هذا الاسم • ويلاحظ أن موسوليني أعلن عن تكوين (الحزب الفاشى) عام ١٩١٩ • وأطلق هتلر على نفسه لقب الفوهرر أى الزعيم وكان موسوليني قد أطلق على نفسه لقب الدوتشى • واذا كان موسوليني قد أسس فرقة خاصة مدربة على تنفيذ العمليات العسكرية كفصيلة فاشية مسلحة عرفت باسم (السكازديتى) ولبس أفرادها القمصان الســـود ، وكون ما يسمى بالأوفرا وهى شرطة سرية ، فان هتلر شكل قوات العاصفة وشكل ما عرف فيما بعد بالجستابو أى الشرطة السرية أيضا •

وشخصية موسوليني تختلف عن شخصية هتلر فقد كان موسوليني رغم الحاده مراوغا ومداهنا فى المجتمعات المحافظة ، وتخف من الحادة بين الجماهير وان كان قد أبقى على نقده للنفوذ السياسى لرجال الدين • وتعاون

كانت القوى السياسية الداخلية الإيطالية المتمردة على الحكومة عديدة وقوية . وكان طبيعياً إزاء هذا الضعف من جانب الحكومة أن تندلع الاضطرابات والتمردات وخاصة في الأوساط العمالية المتأثرة بالأفكار الاشتراكية وبالاتجاهات اليسارية . فتعددت الإضرابات في سنة ١٩١٩ وفي سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٢ . بل بلغ الأمر بالعمال أن احتلوا المعامل ، بينما احتل العمال الزراعيون في بعض الأماكن الأملاك الزراعية . وكانت الأحزاب الإيطالية نفسها عاجزة عن خلق نوع من الدولة القوية أو الزعامة القادرة على الارتفاع إلى مستوى القيادة الوطنية .

في ظل هذه الأوضاع اتسمت سياسة الحكومات الاشتراكية التي سبقت وصول موسوليني إلى السلطة بالانكفاء على التراث ، وفضلت التفاوض مع الدول الكبرى وانتهاج سياسة الانفتاح والتعاون مع القوى الوطنية في مستعمراتها العربية (ليبيا ـ الصومال ـ وارتريه) . ففي ١٢ أيلول ١٩١٩ أبرمت اتفاقية مع فرنسا حول الحدود الليبية ـ التونسية الجزائرية حصلت بموجبها على بعض الواحات مثل براك والمنطقة التي تفصل المرتفعات الليبية إلى الغرب من خط غاب غرامس ونصت الاتفاقية على أن تتمتع المدارس الإيطالية الخاصة في تونس بالنظام نفسه الذي تتمتع به المدارس الفرنسية الخاصة . وأبرمت إيطاليا اتفاقية مماثلة مع بريطانيا في ١٥

أيلول سنة ١٩١٩ (اتفاقية فلترتيتوني) حول تعديل الحدود مع برقة ومصر . غير أن تنفيذ هذه الاتفاقية تأجل لعدة سنوات . في هذا الوقت غدا في إيطاليا اسم لنين محبوباً بين الجماهير ، ووزعت صورة هذا المبعوث الروسي في كل مكان . وسخر الناس بجنود الحرب القدامى في الشوارع .

ولما كان البرلمان الإيطالي ينتخب بطريقة التمثيل النسبي ، تعددت الأحزاب الإيطالية وكثرت ، وضعفت الوزارات . وكانت الخطابة حرة ، والمناقشات طليقة من جميع القيود . ولكن لم يكن ثمة شيء في حكومة البلاد يلهب الوطنية في النفوس ، وتلتف حوله الآراء . وكان كثير من زعماء البلاد البرلمانيين على جانب كبير من المقدرة والجدارة والنزاهة . ولكن شطراً وافراً من النشاط الذي كان ينبغي أن يخصص لبحث المسائل القومية الكبرى ، ضُيّع سدى في سفسطات مجدبة ، ومناقشات عقيمة ، ومناورات لا تنقطع لتحسين المراكز الشخصية واعتلاء كراسي الحكم .

فهذا التثبت الجلي للقوى القومية ، وهذا الشلل للجهود الوطنية ، يوضحان بروز بنيتو موسوليني وتألق نجمه السريع في سماء إيطاليا .

بعد هذا أصـــدر قرارا يوقف نشاط جميع الأحزاب عدا الحزب النازى ، والغى جرية الخطابة وحرية الصحافة ومارس اضطهاد الكنائس المسيحية واقام معسكرات الاعتقال وباشر تعذيب اليهود ٠

ولأسباب مختلفة حدثت خلافات داخل الحزب النازى ووقع صراع بين قوات الصاعقة وبين هتلر نفسه عام ١٩٣٤ ٠ وما كان من هتلر الا أن باع قوات الصاعقة لقادة الجيش واتفق مع قادة الجيش على تصفية قوات الصاعقة مقابل أن يصبح رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس هنزنبرج الذى توفى ٠ ونفذ هتـلر حـكم الاعدام فى قادة العاصـفة الذين حملوه الى كرسى المستشارية وعملوا له اسما كبيرا فى أوربا والعـــالم ٠ المهم أنه أصبح رئيسا لألمانيا عام ١٩٣٤ وكان موسولينى قد سبقه الى الكرسى الأول فى ايطاليا قبل ذلك بسنوات عشر ٠

فى ٣ أكتوبر ١٩٣٥ بدأ موسولينى حرب الابادة فى الحبشة وتم تحرير الحبشة أيام الحرب العالمية الثانية ٠ وكان الدوتش والفوهرر قد اتفقا على أن يغزو موسولينى الحبشة وليبيا ، وأن يغزو هتلر أوروبا ٠ فى ١١ مارس ١٩٣٨ زحف الجيش الألمانى الى النمسا ، وفى ٢٢ مايـو ١٩٣٩ تم توقيع (الحلف الفولاذى) بين ألمانيا وايطاليا ٠ وفى ٢٣ اغسطس ١٩٣٩ وقعت ألمانيا النازية وروسيا الشيوعية الاتفـاق الانتهازى الذى وافقت روسيا بموجبه على اتخاذ جانب الحياد فى أية حرب يدخلها هتلر ٠ واتفقا سرا على تقسيم بولندا بينهما وعلى حق روسيا فى التوسع داخل دويلات البلطيق ٠٠ لاتفيا واستونيا وفنلندا ٠

والطغاة دائما لا يؤمن جانبهم ، ففى مساء ٢٥ من أغسطس عام ١٩٣٩ تلقى هتلر مفاجأة من حليفة الفولاذى موسولينى أنه فى حالة هجوم النازى على بولندا فان ايطاليا لن تدخل الحرب الى جانبه ٠ ومع هذا ففى أول سبتمبر ١٩٣٩ الساعة ٤٥ر٤ صباحا بدأ هجوم النازى على بولندا وبعدها اجتاح غالبية دول أوروبا وفى ٢٢ يونيو ١٩٤١ دخلت قوات هتلر الأراضى الروســـية ٠

وقصة الحرب العالمية الثانية التى بدأت رسميا فى سبتمبر ١٩٣٩ وانتهت رسميا أيضا فى مايو ١٩٤٥ هى قصة دامية يتحمل مسؤليتها اثنان من الوحوش الآدمية الأول اسمه بنيتو موسولينى والثانى اسمه أدولف هتلر ٠ خسرت البشرية ملايين الأفراد وتشردت ملايين العائلات وتيتم فيها ملايين الأطفال ٠ ضاعت فيها الملايين من ثروات الشعوب ٠ كل هذا فى

سبيل معتوه اسمه هتلر يريد أن يضع الشعب الألماني الآرى فوق الشعوب كلها ، وفي سبيل معتوه آخر اسمه موسوليني يريد أن يعيد ما أسماه مجد الامبراطورية الرومانية ٠

اشترك الاثنان موسوليني وهتلر في أفكار (الأقلية المتميزة) وعدم الاكتراث بالجماهير ، وفي اللعب بالطبقة العاملة ، والاعتماد على الغوغاء ، وتضليل الناس بشعارات جوفاء ، وفي افتراس المخالفين لهما بكل قسوة دون وازع من ضمير ، وفي تأسيس تنظيم سياسى واحد لا شريك له في البلاد يعتمد أساسا على قوات عاصفة أو القمصان السود وعلى الشرطة السرية ٠٠ الأوفرا في ايطاليا والجستابو في ألمانيا ، وفي الدعاية الكاذبة الخادعة ، وفي التوسع ٠٠ وأخيرا في نهاية مأساوية لا يأسف لهما أحد ٠

لقد شهدت البشرية في النصف الثاني من القرن العشرين صعود الفاشية ونهايتها ، وضجة النازية ومأساتها وبريق الشيوعية وذبولها ٠ وهذه الأنظمة كلها كانت على حساب البشرية وسعادتها ٠ وليس من طريق لعدم تكرار مثل هذه المآسى الا الديمقراطية والحرية ومراعاة حقوق الانسان وأن يحكم كل شعب نفسه بارادته الحرة ٠

وفي الختام أحيي مشروع الألف كتاب الذى لم يزل يصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب والذى كان لى شرف المشاركة في بدايته منذ حوالى عشرة أعوام مضت فقد قدم للثقافة العربية عددا من الثمرات الطيبة في الغرب والشرق ٠ وأحيى الصديقين العزيزين الأستاذ الدكتور محمد عنانى والأستاذ / أحمد صليحة اللذين يحملان مسئولية هذا المشروع الهام ٠

واشكر الدكتور عادل الدمرداش الذى قدم للقراء هذه الترجمة عن اللغة الألمانية وأتاح لى فرصة أن أعيش من جديد مع « موسوليني » واتاح لى أن أتحدث للقراء الأعزاء عن موسوليني وهتلر معا ٠ ولم أزل في انتظار أن يحقق لنا الدكتور الدمرداش مشروعا تحدثنا حوله سويا وهو ان يقدم لقراء العربية كتابا عن شخصية ثالثة هى « فرانكو » والذى تدور حوله خلافات كثيرة ٠

ومع أطيب أمنياتي تقبلوا جميعا تحيات

العجوزة في ديسمبر ١٩٩٦



الفصل الأول

نشـــأة دكتاتـــور

١٨٨٣ ـ ١٩١٤

يصف أليساندرو موسوليني ، والدبنيتو ، الاشتراكيـــة بأنها ذلك المزيج المتآلف من الأفكار والأفعال الذى يمـــكن البشرية المتطلعة الى أهـداف العـدل والجمــال والصـدق السـامية والتي تمضي في مســـيرتها المظفـرة من تحقيق انجازاتها العظيمة • كان أليساندرو من مقاطعة رومانيـا بايطاليا ، وكان اشتراكيا وأمميا (١) • وظل تحت مراقبة الشرطة حتى دخوله السجن في ٦ يوليو ١٩٠٢ وهـو في الثامنة والأربعين من عمره بتهمـة اثارة الشـعب أثنـــاء الانتخابات• واعتنق الاشتراكية عن طريق قراءات عشوائية لكتاب فوضويين (٢) ومثاليين (٣) وكان يتصف بالعاطفية الشديدة مع استناده في نفس الوقت على خبرة عملية متينة تولدت من احتكاكه بأصحاب الخبرة أثناء عمله كحداد في قريته •

كان أليساندرو ينتمي لأسرة فقيرة من الفلاحين الذين دأبوا على نعى ضياع ثروتهم الوهمية • وفي سنة ١٨٨٢ تزوج مدرسة الابتدائى روزا مالتونى ابنـة (دوفيـا) ـ احدى قرى بريدابيو ـ والتي كان مرتبها الشهرى البالغ ٥٠ ليرة المصدر الوحيد لرزق الأسرة الصغيرة •

كانت روزا كاثوليكية متدينة وكان أبوها بيطريا تعلم مهنته بالخبرة · وانشغلت الزوجة الشابة بادارة شئون المنزل تاركة السياسة وعشقها لزوجها غير المستقر ·

جاء بنيتو موسوليني ، أكبر أولاد أليساندرو وروزا ، الى الدنيا في ٢٩ يوليو ١٨٨٣ في دوفيا محاطا بأسرة قوامها ملاك صغار فاشلون ، وجده البيطرى الذى تعلم مهنته بالخبرة وحدها وامه المدرسة الشابة ، وأبوه الحداد · وسمى بنيتو أميلكارى ألفريدو تيمنا بأسماء ثلاث شخصيات كان ابوه معجبا بها : بنيتو خوارث الثائر المكسيكى ، والأممى أميلكارى تسيبريانو ، وأندريا كوستا الاشتراكى ·

وانفردت آمه بتربيته كما علمته القراءة والكتابة والحساب · ويتضح تغلب تدين الأم على معتقدات الاب السياسية فى قرار الأسرة بالحاق الصبى بمدرسة الرهبان فى فايينزا · ترك بنيتو منزل الأسرة فى سبتمبر ١٨٩٢ عند بلوغه التاسعة · وكان الصبى قد أمضى طفولته فى حرية مطلقة فى الريف حيث اكتسب طبيعته الشرسة التى سببت له المشاكل عند احتكاكه بالسلطة المدرسية الصارمة · ولم يكن الصبى يلحظ فقر الأسرة فى قرية دوفيا الصغيرة والفقيرة ، ولكنه صدم بشدة عند شعوره بالفرق بين معاملته ومعاملة زملائه الأغنياء فى المدرسة · ودفعه تمرده على نظام المدرسة الداخلية الصارم الى طعن أحد زملائه بمطواة فطرد من فايينزا وعاد الى دوفيا فى أغسطس ١٨٩٤ · وبعد اتمام الدراسة الابتدائية ، التحق بمدرسة داخلية علمانية ـ فى هذه المرة ـ فدخل معهدا فنيا فى فورليمبوبولى · وكانت بنية بنيتو موسولينى أضخم من بنية أقرانه كما كان قوى العضلات ، يستمتع بالمهارة اليدوية وسرعة الاستيعاب فاكتسب شعبية كبيرة بين أترابه · وكان أداؤه المدرسى جيدا ولا سيما فى مواد التاريخ والجغرافيا واللغة الايطالية والتربية · وفى ٨ يوليو ١٨٩٨ حصل على

دبلوم المعلمين بعد ثلاث سنوات • وكانت عناصر ثقافته الرئيسية : العلوم الانسانية والأدب الاغريقي والروماني ، وكان هذا النوع من الثقافة منتشرا في المدارس الايطالية في ذلك الوقت •

وكان يجيد التعبير عن نفسه كتابة ، وسرعان ما اتضحت من أسلوبه بدايات الصحفي اللامع المشاكس الذي تحول اليه فيما بعد • واكتسب خبراته الجنسية وصداقاته النسائية الأولى أثناء السنوات التي امضاها في فورليمبوبولي من تردده على بيوت الدعارة مثل غيره من شباب الريف الايطالي • ولما كان يحصل على المتعة بسهولة فقد اكتسب فلسفة جنسية خاصة به سيطر عليها تصور حسي قوي عن المرأة • كما التقى بالسياسة ، التي كان قد تعلمها من محادثاته مع أبيه ومن قراءة كتبه ، واثناء لهوه أيضا اذ كان الشباب انذاك يتردد من أجل الرقص واللهو على الأوساط الاشتراكية التي كانت تسودها روح تمرد ونضال سطحية • ومما يجدر ذكره ، اشادة الصحيفة اليومية الاشتراكية « أفانتي ! » في أول فبراير ١٩٠١ بخطبة الرفيق الطالب موسوليني في ذكرى فيردي • وأصبح بنيتو موسوليني اشتراكيا وان اتسمت اشتراكيته بالفجاجة وعدم تبلورها تماما من الناحية السياسية بينما تبلورت بعض صفاته الشخصية مثل الأنانية ، والتعطش الى اثبات الذات ، ورفض الأدوار الهامشية •

لم يكن موسوليني يختلف كثيرا في ذلك الوقت عن غيره من الشباب الذي يبحث عن وظيفة بعد تخرجه • اذ كان هدفه الرئيسي والبعيد عن الثورية هو العثور على وظيفة مضمونة • ولكنه لم يقبل في وظيفة مدرس ابتدائي ، كما لم ينجح في الحصول على وظيفة سكرتير بلدية بريدابيو •

وعين موسوليني أخيرا مدرسا احتياطيا في مدرسة بيافي ساليتشو الابتدائية بجالتييرى اميليا فى فبراير ١٩٠٢ • ولم يستمر مدة طويلة فى المدرسة وذلك لانهاء عقده بعد الفضيحة التى تسببت فيها علاقته بسيدة متزوجة من البلدة • وكانت خبرته القصيرة بالتدريس كافية لاقناعه بعدم جدوى عمله بهذه المهنة ، كما شعر بأنه لا يطيق القيام بدور المثقف الريفى الذى لا يكف عن البحث عن الوظائف • وفى ذلك الصيف ، طرأ أول تغير هام على حياته منذ طفولته العادية عندما قرر فجأة السفر الى سويسرا • وكانت دوافع قراره الرئيسية : حبه للمغامرة ، وتعطشه الى التعارف على عالم جديد يختلف عن عالم مقاطعة رومانيا المحدود، وطموحه فى نشاط يرضيه ويختلف عن التدريس •

ظل موسولينى فى سويسرا ـ باستثناء فترات قصيرة ـ مدة سنتين أى حتى نوفمبر ١٩٠٤ • وكانت سنوات حاسمة وثرية فيما يتعلق بعقيدته السياسية • ولم يكن لثوريته النشطة أى طابع شخصى فى ذلك الوقت ، فبدأ فى الدعاية للاشتراكية متخذا بذلك قرارا باستغلال موهبتيه الخطابية والكتابية • وكان نفوره من العمل اليدوى فطريا • وآثار عمله كصبى بناء لبضعة أيام على سبيل التجربة حنقه الا أنه استمر فى العمل من حين لآخر كمساعد بائع فى محال النبيذ والحلوى • وكان فى واقع الأمر يعتبر نفسه مثقفا فى وسط جالية المهاجرين الايطاليين الصغيرة فى سويسرا ، وهو الدور الذى اختاره موسولينى لنفسه • وبعد وصوله الى سويسرا بشهر واحد كتب أولى مقالاته فى « لافينيرى دل لافوراتورى » صحيفة الاشتراكيين الايطاليين فى سويسرا ، وفى ٢٤ غسطس ١٩٠٢ ألقى أول خطبة له فى مونتريه ، وفى ٣٠ أغسطس أصبح سكرتير نقابة عمال البناء والفعلة الايطاليين فى لوزان •

وكان مناخ البيئة الجديدة يتسم بالتطرف بسبب هامشية وضع المهاجرين الايطاليين • فقد كانت الاضطرابات النقابية (٤) منتشرة في ذلك الوقت بالذات ، اذ كان ثمن نجاح الجالية الايطالية في الحصول على زيادة في الأجور في برن بازل وجنيف ونيون ومونتريه هو الاعتقال والطرد من البلاد • وانضم موسوليني الشاب بطبيعة الحال الى الثوار المتشددين الذين كان يمثلهم في ايطاليا كونستانتينو لاتزاري • وكان يحتقر تعاون حركة العمال السويسرية مع الحكومة ، والاصلاح المستأنس الذى تدعو اليه الاشتراكية الايطالية واستعدادها الدائم لقبول الحلول الوسط في بداية عهد جيوليتي •

ويقول موسوليني في أول تعريف جرئ له للاشتراكية بأنها تمثل أهداف نزع (الملكية الخاصة والصراع الطبقى) المستغلين (لطبقة العمال) الساعية الى انتزاع حقوقها من الطبقة المالكة الحالية (الرأسمالية) عن طريق مصادرة أملاكها لتحقيق رخاء البشرية • وأخذ أيضا في التشكيك في منهج الاشتراكية السويسرية الداجن • ولم يوصل التعريف السطحى السابق موسوليني الى النجاح بل ان ما أوصله اليه هى مقالاته العنيفة التى أثارت اعجاب القراءة • فكتب في نوفمبر ١٩٠٢ تسع مقالات «للأفينيرى»، كما كشف في نفس الوقت من نشاطه الخطابى في مراكز تجمع الجالية الايطالية فحقق شهرة لا بأس بها • كان موسولينى آنذاك يمر ببداية تلمذته السياسية التى كانت تبشر بالخير • وفى تلك المرحلة ، برزت بعض صفاته الشخصية التى حددت مسار حياته ، مثل : عدم اهتمامه بالجوانب الادارية ومشاكلها ، وتركيزه على الخط السياسى العام ، والدعاية للمواضيع العامة • اذ كان هدف خطبه هو اعداد الكوادر وليس كسب الأنصار •

ولم تكن تنقص خبرة موسوليني النضالية الا السجن الذى يحتاج اليه كل الثوريين ، ولكنه سرعان ما من بهذه

الخبرة عندما ألقى القبض عليه فى برن فى ١٨ يونيو ١٩٠٢ لتضامنه النشط مع النجارين المحليين المضربين ، وزادت شهرته الناشئة فى لوزان لمانا بارتداء قميص المضطهدين ٠ لقد أصبح موسولينى عندئذ محل الاهتمام ٠ ففضلا عن المقالات التى كان يكتبها « للأفينيرى » ، أخذ ينشر فى صحيفة « البروليتارى » التى كان يصدرها جاسينتو سيراتى فى نيويورك ، الصحيفة الناطقة بلسان الاشتراكيين الايطاليين المقيمين هناك ، ثم بدأ من أكتوبر ١٩٠٣ فى نشر مقالاته فى « الطليعة الاشتراكية » الأسبوعية : صحيفة الحركة النقابية الثورية الواسعة النفوذ فى ايطاليا ، والتى كان يرأس تحريرها أرتورو لابريولا وفالتر موكى ٠ واستمر فى ممارسة أنشطته الفكرية والسياسية بمثابرة حتى عودته النهائية الى ايطاليا ٠ واقترب موسولينى من تيارات الماركسية التحريفية بترجمة الأفاقين السود د٠١٠هـ مالو ، وما بعد الثورة الاشتراكية لكاوتسكى ، وحديث الساخط لكروبوتكين ٠٠

واندفع فى مهاجمة الاتجاهات الاصلاحية والتعصب لوحدة الحزب التى أجازتها الدولية الثانية (٥) وذلك لتأثره بآراء فيلفريدو باريتا الفيلسوف وعالم الاجتماع التى عبر عنها فى مؤتمر الفلسفة الذى انعقد فى جنيف فى أكتوبر ١٩٠٤ ٠ وطالب فى وقتها بحق الانفصال عن الحزب تحسبا لقيام الحزب باتباع خط سياسى وفرضه بالقوة دون استناد الى اجماع أو مبادىء صادقة ٠ وشارك فى المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكى الايطالى ممثلا للفصيل الاشتراكى الايطالى المحلى فى زيوريخ فى ٢٠ مارس ١٩٠٤ ٠ وأثناء المؤتمر تعرف على أنجيليكا بالابانوف وجاسينتومينوتى سيراتى حيث قام قطب الحركة العمالية الايطالية بتلقينه مفاهيم الماركسية الأورثوذكسية ٠ ولم يكن موسولينى حتى ذلك الوقت قد كون عقيدة سياسية خاصة به ، ولكنه تمكن بجهوده النظرية الانتقائية (٦) من اعتناق اشتراكية ذاتية

شديدة الخصوصية ساهمت فى بلورتها أهم عناصر الصراع الطبقى المعروفة فى زمانه : مثل معاداة العسكريين والحرب، والمغامرات الاستعمارية ، والملكيـة ، والالحـاد وكراهيـة رجال الدين ٠

وقد كان ينـكر وجـود الله باستمرار فى الحوارات العلنيـة مـع القس الانجيلى الفريدو تالياتيللا والمصـلح البلجيـكى اميـل فاندرفيلد ، وكذلك فى نشراته مثـل « الانسان والذات الالهية » التى نشرتهـا المكتبة الدوليـة لنشر الفلسفة العقلية ، والتى وصف فيها الله بمسخ تمخض عنه جهل البشر ٠ وكان يهاجم الكاثوليكية والرسالة الانجيلية واصفا أخلاقيات المسيحية بأنها تحض على البوهيمية والجبن ٠ وكان يخص بهجومه جوانب الدين العلمانيـة التى اعتبرها أفيون الشعب ٠ وعارض اعتبار التدين مسألة شخصية والذى أجازته الدولية الثانية (٥) عند اجتماعها فى ايرفورت ٠

وكان الهجوم على الاصلاحية يقرب بين الاتجاهات المختلفة وبين الحركة النقابية الثـورية ٠ ففى خـلال عامى ١٩٠٣ و ١٩٠٤ ، احتل الاتجاه الذى كان يتزعمه النقابيان لابريولا وموكى مكانة هامة فى ميلانو والمدن الصناعيـة الأخـرى ، وأدى الى مشـاركة الاشـتراكيين فى أول اضراب عام فى ايطاليا من ١٦ الى ٢١ سبتمبر ١٩٠٤ ٠ (٦)

وكان الأمر الذى يهم موسـولينى هـو معرفة المبررات الأخلاقية لتمرد الحركة النقابية على الاصلاحية (٧) وتحولها من جبريتها الوضعية (٨) الى الارادية (٩) ٠ اذ كان شديد الانبهار بتأثير الاضراب العـام المبـاشر الذى يختلف عن الأسلوب البرلمانى المتدرج والكفـاح النقابى الذى يتم فى اطار الشرعية ٠ وينتقد الخط الاصلاحى الذى يتبعه الحزب الاشتراكى حين يقول : «لم يعد الحزب يخيف أحدا منذ وطأت قدماه منحدر التنازلات ٠٠ ان الدوائر المحـافظة الـكبيرة تنظر اليه بارتياح بل وتغازله ٠٠ لأن الرجل المريض أصبح

مستأنسا مسالما يخضع للشرعيــة ، وأسلحة النضــال تزداد رقة ٠٠ ان أشتراكية الشوارع لا تواكب التطور لأن رائحة البنزين لم تعد تفــوح من الرفاق » ٠ ولم يكن موســولينى يقصد من ذلك تمجيد الارهاب بقدر رغبته فى التعبير عن اعتناقه لنظرية عنف خاصة به ، وتوصله الى الاقتناع بان الوصول للحكم هو لب الصراع الطبقي ٠

من هنــا نشأ شــعوره بضرورة اســتعمال القوة لرفض البرجوازية التنازل عن السلطة بمحض ارادتها او بالطرق السلمية ٠ ويقول عن هــذا الموضــوع : « يتضح من سلوك الطبقه الحاكمة المتغطرس أنها تفضل احتضارا بطيئا وممتدا وغير مشرف ٠٠ فاستخدام القوة اذن ضرورى ومجد وحاسم فى الوقت نفسه » ، وكانت الثورة هى الأسلوب المفضل فى حالة اللجوء للقوة ٠

عاد موسولينى الى ايطاليا فى نوفمبر ١٩٠٤ ، وكان قد اشتهر فيها بسبب المقــالات التى نشرها فى « الطــلائع الاشتراكية » وصداماته مع ما تنشره الصحف الايطالية ٠ وكان طرده من مقاطعة جنيف فى ٩ أبريل ١٩٠٤ قد تحول الى قضية ، عندما تقدم الاصلاحى السويسرى فايس بطلب احاطة بخصوصه لمجلس المقاطعة الأعلى ٠ ونشرت جــريدة المحافظين اليومية « لا تريبونا » التى تصدر فى روما تفاصيل الموضوع ووصفت موســولينى بأنه زعيم الفصــيل الايطالى الاشتراكى المحلى العظيم ٠ كما أولته « الأفانتى ! » صحيفة الحزب الاشتراكى الايطالى الرسمية اهتمامها ٠

وفجأة توقف مسار حياته عندما حــكم عليــه بالســجن لمدة عام فى الثانى من أغســطس ١٩٠٤ بتهمــة التهرب من التجنيد وتخلفه عن تسليم نفسه فى الموعد المحدد ٠ ولكنــه تمكن من مغادرة سويسرا دون مشاكل قانونية لصدور عفــو عام بمناسبة ولادة أمبرتو ولى عهد ايطاليا ٠ وداعبت فكرة

الهجرة الى نيويورك للعمـل كمحرر فى « البروليتـارى » خياله فترة من الزمن ولكنه عاد فاستبعدها تماما ، فسلم نفسه فى ٣٠ ديسمبر ١٩٠٤ والحق بالفرقة العـاشرة من البريزاليرى • وتوفيت والدته فى ١٩ فبراير ١٩٠٥ يـوم تجنيده • وكانت تلك أهم أحداث هذه الفترة من حياته •

انهى موسولينى الخدمة العسكرية فى ٤ سبتمبر ١٩٠٦ ولكنه لم يتمكن من العودة الى نشـاطه السياسى بسرعة فعاد شبح العمل كمدرس ابتدائى بسيط الى الظهور • وعمـل مدرسا فى مدرسة ابتدائيـة فى تولميتزو بمرتب قدره ٧٢ ليرة فى الشهر ، استمرت هذه المرحلة العارضة التى أفرط أثنـاءها فى الشراب وفى اقامة علاقات غراميـة عاصـفة وعابرة وعانى خلالها من التشتت الـكامل حتى أغسـطس ١٩٠٧ • ويصف هذه الفترة بأنها جعلتـه يدرك تماما أن مهنة مدرس ابتدائى لا تناسبه • ومر بعـد توليتزو بأزمة خانقـة ظل أثناءها عاطلا عن العمـل حتى فبراير ١٩٠٨ عندما عمل مدرسا للغة الفرنسية بكلية بلدية أونيليـا فى ليجوريا ، فانتهت بذلك فترة انقطاعه عن الأنشطة الثقافية والسياسية •

بدأ موسولينى ممارسة نشـاطه بنشر مقـال فى المجلة الاشتراكيـة الأسـبوعية « لا ليما » عن وفاة ادموندو دى أميـتشيس فى ١٤ مارس ١٩٠٨ • وكان رئيس تحـريرها لوتشو شقيق سـيراتى • وقد كان موسـولينى مازال يعتبر الصحافة هدفه الرئيسى ، فكتب لسيراتى : « سمعت من أخيك أنهم عرضوا عليك رئاسة تحرير صحيفة « مقاطعة مانتوا » ولكنك اعتذرت من أجل الحزب ولأسباب شخصية • هل تعتقد أننى أصلح لهذا المنصب ؟ ان كنت ترى ذلك فانصحنى ماذا أفعل ، أما ان كنت ترى غير ذلك فانس الموضوع تماما •

وكنت مستعدا بهذه المناسبة لقبول راتب أقل من الذى عرض عليك حتى أختبر قدرتى على ممارسة الصحافة فى

جريدة يومية » • وكانت مقالات موسوليني عن خبراته في سويسرا ومعاداته للقساوسة هى السبب في ازدهار شهرته وكان يوقعها باسم « الملحد الأصيل » كما كانت لا تخلو من البذاءة وسب الدين • وأصبح فهمه لاستعمال القوة أكثر عمقا من الناحية النظرية ، فتحمس لنشر ترجمته لمقالات سوريل المشهورة « الدفاع عن استعمال القوة » • وكان تصوره عن القوة تصورا طبيعيا(١٠) كما يتضح من قوله : « لدينا تصور مختلف عن الافكار •• فالأفكار ليست مفاهيم مجردة بل قوى ملموسة • وعندما تسعى الفكرة الى تحقيق نفسها في الواقع لا يتم ذلك الا من خلال الظواهر العصبية والعضلية والعضوية •

وتتحقق الأفكار المتضاربة من خلال التضارب والتناقض الذى لا يتحقق الا عن طريق القوة لأن قوة الفكرة التنفيذية مادية أساسا » • وكان عدم اهتمام موسولينى بأصول الصراع الطبقى أو بالماركسية التقليدية قد سهل له استيعاب الراديكالية الاجتماعية النامية فى ايطاليا آنذاك •

وتصادف مع عودة موسولينى الى بريدابيو فى نهاية العام الدراسى أى فى يوليو ١٩٠٨ ، اضراب عمال اليومية احتجاجا على تقليد « العمل بالتبادل » القديم الذى كان يستعمله كبار وصغار مستأجرى الأراضى الزراعية فيساعد بعضهم البعض على انجاز الأعمال التى كان عمال اليومية يختصون بها • وكان ذلك يثير الفئة الأخيرة ، فنشأ صراع حاد فى موسم درس القمح بسبب تداخل المصالح الطبقية وعدم وضوح الحدود التى تفصل الفئات الاجتماعية المتصارعة عن بعضها •

وشارك موسولينى فى أحداث الشغب وأعجبته صور النضال المختلفة وان أعلن عجزه عن فهم دوافع الصراع المادية بين الفئتين • ويقول فى ٨ أغسطس ١٩٠٨ : « ان درس

القمح فى هذا المكان يختلف عن الأعمال الأخرى • انه عيد القمح كما وصفه شاعر مشهور • ففيـه احتفاليـة واغانى ومرح وولائم وعربدة الاعياد • • لقد خدع الملاك والقساوسة الدهاة الفـلاحين فسمحوا لعمـال الأجر اليـومى الدخـلاء بالذهاب الى أماكن درس القمح • لقد أحضر الملاك والقساوسة هؤلاء لاقامة مهرجان ثان • ان مثل هذه الحيل السيكولوجية المتخلفة تفسر مقاومة عمال اليوميـة المستميتة وتصرفاتهم الشرسة » •

ولم يمنع هـذا التحليـل النفسى السـطحى للمشـكلة موسولينى من المشاركة فى القلاقل فقد ألقى القبض عليـه فى فورلى فى ١٨ يوليو لتهديده شخصا كان يحاول افسـاد الاضراب ، وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة شهور ثم أفرج عنه مؤقتا فى ٣٠ يوليو • وأدت فترة سجنه القصيرة الى ازدياد شهرته كثائر متشدد • وبعد مضى ستة شـهور كان منشـغلا خلالها بمشاكل شخصية من ضمنها انتقال أبيـه مع عشيقته الى فورلى ليدير حانة فيهـا ، ثم عين موسـولينى سـكرتيرا لغرفة العمل المحلية ورئيسا لتحرير جـريدة « لافينيرى دل لافوراتورى » فى ترينتو .(١١) بناء عـلى توصية أنجيليكا بالابانوف وسيراتى •

بذلك بدأت مرحلة هامة وقصيرة من حياة موسـولينى السياسية فيما يتعلق بخلفيته الثقافية • اذ كان عليـه ان يبنى حملاته الصحفية العنيفة والمتطرفة على اسس مدروسة ومتأنية فى مجتمع ترينتو الرصين الذى كان نفـوذ رجال الدين فيه قويا • وتغيرت اتجاهاته النقابية بشكل ملحوظ ، فيقول : « ان ذلك يعنى نهاية الحركة النقابية (بصورتها الحالية) • اذ لا ينبغى تركها لتنظير الفلاسفة بل على العمال صياغتها بأنفسهم • ان تطهير الطبقة العاملة من الممارسـات النقابية سيكسبها شخصية جديدة من وجهة نظرى » • وكان يرفض النظريات النقابية وأى تعتيم حـول مفـاهيم الفعل

المباشر والاضراب العام ، اذ كان يفضل الصياغات التى تؤيد استخدام الاثنين • فحلت فعاليته (١٢) المثالية الجديدة محل وضعية بداياته المهزوزة • وبدا فى هذه المرحلة فى الاهتمام بآراء الثقافة البرجوازية الجديدة ذات المعنيين • فكان يقرأ بعناية الصحيفتين البرجوازيتين « ليوناردو » و «لافوتشي» اللتين أسسهما جوسيبى بريتزولينى وجوفانى بابينى • وتحمس لما فيهما كما لم يستنكر دعوتهما لتعاون الطبقات • ويقول بهذه المناسبة : «علينا ان نجرؤ على خلق ايطاليا ثالثة جديدة وعظيمة تختلف عن ايطاليا البابوات والأباطرة •• أى ايطاليا المفكرين التى لم تظهر حتى الآن ، أو نترك الأمور تسير على ما هى عليه لتترك وراءها بصمات هزيلة سرعان ما تمحوها الأيام » •

وتحمس لانطلاقة بريتزولينى الحيوية التى كانت الماركسية وتقاليد الحركة العمالية تستنكرها • والتى لعبت دورا هاما فى تكوين معتقدات موسولينى السياسية ، فتبناها على الفور حتى يتخلص من مسلمات الاشتراكية التى سببت لايطاليا مشكلات لا حصر لها •

وقد حصل موسولينى أثناء اقامته فى ترينتو على معلومات وفيرة ولكنها غير مرتبة عن المشكلة التحريرية الوحدوية والخاصة بمطالبة سكان جنوب التيرول الايطالى الأصل بالانضمام للوطن الأم ، والتى كانت سبب دخول ايطاليا الحرب فى سنة ١٩١٥ • وكان موسولينى يستشهد بدولية رسالة المسيح عند كلامه • ويدل استخدامه لمثل هذا الاستشهاد فى مجتمع ترينتو المحافظ على دهائه السياسى • واتخذ الحاده وعداؤه لرجال الدين طابعا أكثر لباقة كما أصبح هجومه على رسالة الانجيل نادرا ، ولكنه استمر فى مهاجمة نفوذ القساوسة السياسى والاقتصادى بنفس العنف •

وكان هذا الموضوع سببا فى بداية نجاحه كصحفى • اذ تحولت فى عهده صحيفة « لافينيرى دل لافوراتورى » الى

صحيفة نضالية تنبض بالحياة وارتفع حجم توزيعها . فصودرت أعدادها ١١ مرة في ستة شهور كما صدرت ستة أحكام قضائية ضد رئيس تحريرها . وكانت أهداف هجومها المفضلة الصحف الكاثوليكية مثل «ال ترينتينو» التي كان يرأس تحريرها ألتشيدى دى جاسبيرى (الذى اصبح رئيس وزراء ايطاليا سنة ١٩٤٦) ، و « لاسكيللا » التي كان مديرها كونستانزو ديللا بريدا .

ويكتب موسوليني متوعدا دون كيلودى أحد محررى « ال ترينتينو » : « سأترك بصمات كفي على رؤوسكم الحليقة ولن تتمكنوا من محوها بسهولة » . وكان خصومه يصفونه بالوحش الأحمر الدموى ، وآكل لحوم البشر ، ومفترس الدين ، وهى عبارات لم يتعود سكان ترينتو المهذبين على سماعها .

وشرع المحامى العام ترنكيلليني في اعداد اجراءات ترحيل موسوليني الذى كان قد أصبح قدوة حتى لغير المتطرفين . وعينه تشيزارى باتيستى ، زعيم الاصلاحيين المشهور في ترينتو ، رئيسا لتحرير « البوبولو » ومساعدا له في اصدار ملحقها الأسبوعى ، ونقلت « الألتوأديجى » الليبرالية آراءه مما أدى الى انزعاج الشرطة وتحينها فرصة مناسبة لطرده من ترينتو بعد موافقة البلاط النمساوى . واعتقل في ١٠ سبتمبر ١٩٠٩ بتهمة التحريض على أعمال منافية للآداب والقانون وعلى كراهية واحتقار سلطة الدولة .

وكان سبب اعتقاله الحقيقى الاشتباه في اشتراكه في مؤامرة ارهابية للسطو على أحد بنوك ترينتو في ٢٩ أغسطس وسرقة ٣٠٠٫٠٠٠ كرونة احتجاجا على زيارة ولى العهد الاستفزازية التي تمت في نفس اليوم . وبالرغم من حشد الاشتراكيين لقواهم ، والتهديد بالاضراب العام وسقوط التهمة عن موسوليني ، قامت السلطات باخراجه من السجن في ٢٦ سبتمبر ونقله الى الحدود حيث تلى عليه قرار الابعاد ، فعاد الى فورلى في ٥ أكتوبر .

كانت محصلة خبراته في ترينتو ايجابية ولا سيما فيما يتعلق بالدعاية لأن موسوليني كان يعتبر نفسه صحفيا أولا وسياسيا ثانيا · ولم يكن نضاله السياسي قد تبلور حتى ذلك الوقت فانصرف الى الكتابة الأدبية في شغف · فألف قصص رعب على غرار روايات ادجار آلن بو وقصصا عاطفية مثل « كلاوديا بارتيتشيللي عشيقة الكاردينال » القصة التاريخية التي كتبها وهو في فورلي لحاجته للمال من جهة ، ولاشباع رغبته في مهاجمة القساوسة من جهة أخرى · وكان آنذاك بحاجة ماسة للنقود لقرب زواجه من راتشيلي جيدي ابنة عشيقة أبيه · ويقول عن زواجه : « تزوجت راتشيلي جيدي في ١٧ يناير ١٩٠١ دون مراسم دينية أو مدنية واستأجرنا شقة مفروشة لتمضية شهر العسل » وتأثر مستقبل موسوليني الشخصي والسياسي كدكتاتور بظهور الجريدة الأسبوعية « الصراع الطبقي » الناطقة بلسان اتحاد فورلي الاشتراكي في ٩ يناير ·

كانت الاشتراكية في فورلي تمر بأزمة حرجة في ذلك الوقت لافتقادها للقيادة القوية التي تواجه نفوذ الحزب الجمهوري وتصدره لأحزاب اليسار الرسمية · وكانت الحاجة الى اعادة بناء الحزب من الصفر فرصة ذهبية بالنسبة لموسوليني الذي أصبح تحت تصرفه وهو في عامه السابع والعشرين تنظيما سياسيا وجريدته وذلك بتوليه رئاسة تحرير « الصراع الطبقي » ومنصب سكرتير اتحاد المقاطعة في نفس الوقت ·

وتولى موسوليني مهامه الجديدة بقلة صبره المعهودة على الادارة والبيروقراطية ، فكان يرد على من ينتقدون اهماله مراجعة دفاتر الحزب بقوله : « لن أقوم بوظيفة الباشكاتب ·· واذا كانت الفصائل تحتال على الاتحاد فذلك شأنها ·· لن أخسر شيئا لأنني لست من الذين يبحثون عن الزبائن أو يستجدون أصوات الناخبين ، كما أنني

لا أستطيع التواجد في عدة أماكن في وقت واحد .. وينبغي على الفصائل حسم مثل هذه المشاكل الشخصية السخيفة بنفسها » . ثم يبرر احتقاره المشاكل التنظيمية بقوله : « الكيف أهم من الكم ، ونواة صغيرة متينة ومتماسكة خير من قطيع من المغفلين الخانعين المستسلمين الذين يتفرقون كالخراف الشاردة عند ظهور بوادر أى خطر » . وكانت تلك المقولة تمثل خلاصة نظرية « الأقلية المتميزة » التي تحول بعدها الى عدم الاكتراث بالجماهير ثم الى احتقارها فنشأت بينه وبين الحركة العمالية جفوة لا علاج لها . وكان حماسه للعمل الصحفي سبب نفوره من الجانب الادارى من رئاسة الحزب ، اذ كان يعمل باجتهاد في الجريدة ويهتم بأدق التفاصيل ويقيم كل مقال بعناية . ويتضح من كتابته ولعه بجوانب الاشتراكية المثالية وعدم اهتمامه بخلفيتها العلمية أو بتحليل تضارب مصالح الطبقات بدقة . وظل عداؤه للدين يحتل جزءا كبيرا مما يكتبه وان خفت حدة لهجته عن أيام تطرفه الأولى في سويسرا .

ويتضح ذلك من قوله لفصيل فورلى : « علينا أن نفرق بين تدين الفرد وطقوس الديانة الجماعية . فالأول يسهل التحقق منه لأنه موضوع شخصى كما يقول الاشتراكيون الألمان . أما الطقوس فتحظى بدعم الكنيسة المباشر أو غير المباشر . وكنيسة هذه الأيام ليست تجمعا للمؤمنين بل مؤسسة طبقية ذات طابع اقتصادى سياسى » . ويستمر ظهور هذا الموضوع في كتابته وكلامه ، فينشر في سنة ١٩١٣ مقالة طنانة بعنوان : « يان هوس (١٤) الصادق الأمين » .

وشارك موسولينى فى الخلاف العنيف الذى نشب بين الاشتراكيين والجمهوريين حول وضع مؤسسات الدولة . وقد كان موقفه تقليديا ، اذ كان يعتبر الملكية والجمهورية وجهين للنظام البورجوازى بمضمونيه الطبقيين : القهر وحرمان الكادحين من التملك . وهاجم الولايات المتحدة

بشراسة عندما كتب مدافعا عن النقابيين الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل ايطالى فى أغسطس ١٩١٢ : « ليس للصراع الطبقى فى أمريكا طابع نظيره الايطالى الهادىء والرزين لأنه قتال واشتباك دموى مستمر بين المطحونين والطبقات المستغلة .. اذ لا يجب أن ننخدع بمسميات الديمقراطية أو نظام الحكم الجمهورى لأنها مجرد لافتات » .

وأخذ فى تناول هذه القضية بصورة متزايدة فضلا عن انشغاله معظم الوقت بالعمل الصحفى . وبالرغم من ذلك كان عليه الاهتمام بجدول أعمال الحزب التنظيمى ، وانجاز مهمتين عاجلتين : اعادة تنظيم فصيل فورلى وحل الخلاف المحتدم بين الاشتراكيين والجمهوريين بسبب سيطرة الحزب الأخير . وكان يريد اعادة بناء هوية الحزب السياسية بحشد طاقات التطرف ونبذ الأحلاف والتكتل مع الحزب الجمهورى الذى أوشك على خنق الاشتراكيين (الحزب الأضعف) .

ويقول موسولينى عن التكتل فى ٤ يونيو ١٩١٠ : « اننا نقبل التكتل من أجل الكفاح الاقتصادى بل على المنظمات العمالية تكتيل كل المستغلين بغض النظر عن جنسيتهم أو دينهم أو نوعهم أو انتمائهم السياسى . واذا كان التكتل أمرا طبيعيا فى الكفاح الاقتصادى لأن كل المطلوب من المنضم اليه أن يكون مستغلا ، فان الصورة تختلف بالنسبة للكفاح السياسى الذى يعبر أساسا عن القناعات المذهبية . فيصبح تنفيذه مستحيلا دون التخلى عن الرأى المعارض » .

وفى الوقت الذى أخذت فيه شخصيته فى التبلور ، ظهر فهمه الذاتى للاشتراكية الذى يقلل من شأن الكفاح الاقتصادى ويبرز أهمية الكفاح السياسى . فقرر بعد جدل مستفيض عدم السماح للماسونيين بالانضمام للحزب لتعارض مبادئهم مع مبادئه كما أضفى تشدده على حزب فورلى الاشتراكى طابع العنف . وتمكن الحزب من حل خلافاته مع الجمهوريين

بحزم عندما عاد الصدام بين عمال اليومية وصغار الملاك الى الظهور • ويعتبر هذا الانجاز نجاحا شخصيا لموسولينى مكنه من الفوز فى مؤتمر الحزب المحلى فى فورلى وفى مؤتمر المقاطعة على حد سواء • فأجمع المؤتمرون على قبول اقتراحه الخاص برفض آية تنازلات لاتفاقه مع خط جناح الحزب الثورى • وبايع المشتركون فى المؤتمر القومى المنعقد فى ميلانو في ٢٥ أكتوبر ١٩١٠ موسولينى زعيما محليا وان لم يلاحظ الكثيرون وجوده بينهم •

وكانت تلك أول مرة يشارك فيها فى مؤتمر له هذه الأهمية على الصعيد القومى • وتناولته الصحف بتعليقات ساخرة ومتعالية بعد نجاح الاصلاحيين الواضح فى المؤتمر ، وحصول مقترحات فيليبو توراتيس وكونستانتينو لاتزارى وجوسيبى موديليانو الاصلاحيين على ١٣٠٠٦ و ٥٩٢٨ و ٤٥٤٧ صوتا على التوالى • لذلك قدم موسولينى فى اجتماع لاحق استقالته ، ولكنها رفضت • ولا ينبغى أن يثير هذا التصرف فى نفوسنا الدهشة لأن نظرية « الأقلية المتميزة » وعدم اكتراث موسولينى بقدسية وحدة الحزب قد جعلاه سهل التأثر بالأفكار والخطط الانفصالية •

وعندما بدد مؤتمر ميلانو كل آماله فى احياء الحزب باصلاحه من الداخل حاول الاستقالة مرة أخرى بعد اجراء ليونيدا بيسولاتى زعيم الاصلاحيين مشاورات مع الملك أثناء أزمة وزارة لوتزاتى فى مارس ١٩١١ • ويكتب حول هذا الحدث : « لا نملك إلا الاستقالة من الحزب عندما لا يجرؤ قادته على التبرؤ من تملق بيسولاتى للملك • وهذا ما حدث مع الأسف » • وأعلن بالفعل انفصال فصيل فورلى فى ١١ أبريل ثم تبعه الاتحاد بأسره فى ٢٣ أبريل • وكان قرار موسولينى الانفصالى محليا محضا ويستند على القوى المحلية اذ لم يقدم جناح الحزب الثورى على الانفصال على المستوى القومى • لذلك حرص موسولينى على عدم تصعيد الانفصال

الى درجة تاسيس حزب بديل بل استمر فى المحافظة على صلاته بباقى الحزب ، فيقول « ليست القضية رفع راية سياسية جديدة بل حماية راية الاشتراكية من الملونين الذين يلتفون حولها » ٠

وتعرض موسولينى اثناء تلك الفترة لخطر التحول الى مجرد محرض معزول فى صفوف الأقلية لقلة خبرته بأساليب المؤتمرات ٠ ولم ينقذه من هذا المصير الا نشوب الحرب الايطالية الليبية التى اتاحت له فرصة الظهور ٠ وكان رد فعل اليسار للانذار الذى وجهته ايطاليا لتركيا فى ٢٥ سبتمبر ضعيفا ومتخاذلا ٠ فأعلن اتحاد العمل ، أكبر تنظيمات ايطاليا النقابية ، الاضراب العام دون تخطيط أو توجيه ٠ لذلك لم تلق الحركة العمالية مشاركة فعالة من الجماهير الا فى مناطق قليلة مثل رومانيا بفضل جهود النقابيين الثوريين

وجد موسولينى فى الحرب فرصة سانحة لربط عداته القديم للعسكريين بحرب غير وطنية ٠ وكان قد كتب قبل الحرب بسنة : « لن نهرع الى الحدود عند نشوب الحرب بل الى الداخل لنبدأ الكفاح »٠ ويقول ايضا فى ٢٥ سبتمبر : « اننا نرقب الأحداث بارتياح لأن الحرب عادة ما تمهد لقيام الثورة » وقام الاشتراكيون والجمهوريون سويا بالتحريض على مقاومة الحرب فى ٢٦ و ٢٧ سبتمبر ويصف موسولينى أحداث هذين اليومين قائلا : « لقد ظل الشعب المطحون والمحتقر يسيطر على شوارع وميادين البلدة دون منازع لمدة يومين وليلتين ٠٠ لقد مل العمال الاشتراكيون من المهادنة ، وكل ما نحتاجه سنتين من الدعاية الجيدة لدفع جماهيرهم الى انجاز أعظم البطولات وبذل أقصى التضحيات » ٠ وأدى عنف أحداث الشغب المتفرقة الى اجراءات القمع المتوقعة ٠ فالقى القبض على موسولينى والجمهوريين بى يترونينى وأوريليو لولى وحكم عليهم بالسجن لمدة سنتين ثم خففت العقوبة بعد

استئناف الحكم الى خمسة شهور ونصف ولكنه خرج من السجن في ١٤ مارس ١٩١٢ ·

وفي ٧ يوليو ١٩١٢ انعقد مؤتمر ريجيو اميليا الذى قرر الحزب الاشتراكي أثناء انعقاده دعم الاتجاهات المتطرفة التي كانت قد بدأت في الظهور منذ أزمة ١٩٠٢ الطاحنة · وكان موسوليني قد عاد الى الحــزب الام ومعــه فصيل فورلي واستعد للحوار المتوقع بعنــاية · وكان تحــول اهتمــامه المفاجيء من المعركة الخارجية الى المعركة الحزبية الداخليــة يرجع للدرس الذى تعلمه من أحداث سبتمبر في فورلي · فقد فضت الحرب الليبية الايطالية على الهدنة الاجتماعيــة التي اتصف بها عهد جيوليتي كما أدت الى تفاقم حدة الخلافات الطبقية · اذ قضت اتجــاهات الحــركة العماليــة الثــورية بالاضافة الى مخططات البرجوازية الهادفة لاعادة الأوضاع على ما كانت عليه على فرص الوساطة الاصــلاحية وأفرغت الحلول الوسط من أى معنى ·

وكان لظهور موسوليني في المؤتمر تأثيرا كبيرا · فكانت لهجة ومضمون خطبه تثيران الاستنكار او الحماس او الانفعال بأية صورة من صوره · وقدم تحليلا واضحا لعلاقة الاصلاح بالثورة من جهة ، وبالديمقراطية والبرجــوازية من جهــه أخرى · وكان يضع حق الاقتراع نصب عينيه طول الوقت ، فيقول : « على الطبقة العاملة ان تدرك أن الحصول على حق الاقتراع ليس سلاحا كافيا لتحريرها بصورة كاملة · اذ لابد من مضى البرجوازية في طريقها السياسي المحتوم الذى يشبه في حتميته المسارات الاقتصادية » · وهاجم جناح الحــزب البرلماني هجوما عنيفا ، فيقول لأعضائه : « لابد من وضــع نهاية لاستقلاليتكم السياسية وان كنا نسمح لكم باستقلالية فنية · لن نجيز استقلاليتكم السياسية أبدا وعليكم اطاعة أوامر الحزب » ·

ومكنته مهارته التكتيكية من أن ينسب آرائه الجديدة لاحساسه بضرورة المحافظة على تماسك الحزب • فاقترح استبعاد الاصلاحيين اليمينيين بيسولاتي وبونومي وكبريني وبودريكا الذين اتهموا بمبايعة الملك بعد محاولة الفوضوى أنطونيو داليا اغتياله ، فكان له ما أراد • ويعتبر ذلك نجاحا كاملا لموسولينى أدى بدوره الى ترشيحه رئيسا لتحرير « الأفانتى ! » جريدة الحزب الاشتراكى الرسمية بناء على الاقتراح الذى تقدم به كونستانتينو لاتزارى عند اجتماع رؤساء الحزب فى ١٠ نوفمبر ١٩١٢ • وهكذا حقق موسولينى عند بلوغه التاسعة والعشرين أحد آماله الكبار ، فضلا عن توليه • منصبا بالغ الأهمية بعد مضى تسعة شهور فقط على اطلاق سراحه • ولم يكن لدهشة أعدائه وأصدقائه من هذه التطورات ما يبررها • فقد تمكن كلاوديو تريفس أذكى الاصلاحيين من ادراك العوامل التى أدت الى صعوده السريع والتى كان من ضمنها صفاته الشخصية وتفكيره الثورى المثالى ، وعودته الى المنهج الثورى التقليدى القديم لاضفاء الثبات على صياغاته السياسية فى الوقت الذى كان الاصلاحيون يحاولون فيه اتباع المنهج التجريبى الحديث •

وكان الحزب الاشتراكى الايطالى يمر بأزمة هوية قاسية • وكان هذا الارتباك نتيجة تركيبته الأساسية فى المقام الأول • اذ غير تطور الرأسمالية الذى سبق هذه الأزمة الهيكل الطبقى الايطالى بصورة ملحوظة • فظهرت فى التجمعات العمالية الكبيرة فى الشمال طبقة من العمال شديدة الارتباط بأماكن عملها وعلى استعداد لتقبل الأفكار الثورية الجديدة • وحاول موسولينى عبثا العثور على شريك يساعده على وضع برنامجه موضع التنفيذ • فتحايل على المشكلة بدلا من مواجهتها وذلك باستخدام انتقائيته العقائدية وحيويته الثقافية التى اكتسبها من دينامية التيار الماركسى ، فى الوقت الذى كان يضيع فيه غيره الوقت فى

مقارنة الاصلاحية بالثورية • وقام أيضا في ذلك الوقت بصياغة نظرية متسقة عن الفعالية أتاح له تردد رؤساء الأحزاب الأخرى فرصة تطبيقها • وأصبح في خلال السنتين التاليتين على توليه رئاسة تحرير « الأفانتي ! » أكثر قادة الحزب الاشتراكي شعبية •

تعكس هذه المرحلة من حياة بنيتو موسوليني التخبط الذى كان يسود صفوف الحزب الاشتراكي الايطالي ، والذى يجعل جوانب حياته الشخصية المحضة مسالة ثانوية • وعلى أية حال فقد اتسعت علاقاته النسائية في هذه الفترة وشملت خبراته العاطفية علاقة أفلاطونية غريبة بالشاعرة الفوضوية ليدا رافانيللى وعلاقة أخرى عاصفة بايدا دالسر التى أنجبت له ابنا • ومما زاد الطين بلة ما اتصفت به هذه العلاقات من ابتزاز واطلاق التهديدات المتبادلة • ووافق موسوليني في ذلك الوقت على انتقال زوجته راتشيلى جيدى وابنتهما ايدا وحماته العجوز الى ميلانو في وقت كان دخله فيه لا يتجاوز ٥٠٠ ليرة • ونخلص من ذلك الى أن وزن موسوليني الفعلى لا يتضح من حياته الخاصة بل من حياته العامة كرئيس تحرير جريدة ذات تأثير كبير على الحياة السياسية في ايطاليا •

لم تكن لدى موسوليني الخبرة التى تسمح له بتحليل بنية المجتمع الطبقية بصورة دقيقة كما لم يتوصل ، على عكس القادة الاشتراكيين الآخرين ، الى معرفة هوية من يمثلون طلائع الثورة في صفوف الطبقة العاملة • ولكنه تناول هذه القضية بطريقة مختلفة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى • فقد أدرك بفطرته أن انعاش الحزب يحتاج للاتصال بأوساط تختلف تماما عن العمال والحرفيين البسطاء المقهورين الذين ينتمون للحزب الاشتراكي ، فشعر بضرورة استمالة من كان السادة المهذبون يسمونهم الغوغاء الذين يقول عنهم جوسيبى بريتزوليني في « الفوتشى » في ٢٨ يناير ١٩١٤ :

ما معنى هذا التحفظ الجديد ازاء الغوغاء ؟ انني أستطيع فهم سخط التجار الذين يحطم الغوغاء واجهات محالهم أما تنصل الأحزاب الثورية من أفعالهم فمسألة لا أدرى ان كانت تثير الشفقة أم الاستياء • ان استحالة قيام ثورة بدون مشاركتهم مسألة لا تقبل الجدل » • وكان هذا أيضا هو رأى موسوليني ، كما يقول رينتزودى فيليتشى ، الذى قلب به الموازين التى كان يستخدمها الاصلاحيون واتحاد العمل العام فى شجب أو تأييد احداث الشغب المتفرقة التى كانت تجرى بوحى من ذاتها فى كل مكان • فقامت « الأفانتى ! » ، على سبيل المثال ، بتأييد نضال عمال مصانع السيارات فى ميلانو فى بداية ١٩١٣ الذى لم تشارك فيه سوى منظمة النقابيين الفوضوية المعروفة • ويكتب موسوليني عن هذه المناسبة : «لا نستطيع الابتعاد عن الجماهير بل علينا الاستماع لها واستمالتها ثم مناقشتها بعد انتهاء الاضراب » • ويمدح بنفس الحماس الاضراب العام الذى قام فى نابولى لأسباب مختلفة تماما ، مما دفع سيراتى الى التساؤل عن سر اعجابه بجمهور كان يصفق منذ عام للحرب مع ليبيا ويلجأ للملك لحل مشاكله • وأدى تحمسه لكل جديد الى عزله مع المتشددين عن باقى الحزب • وكان يضيق ذرعا بواقعية سيراتى وتركيزه على جوانب الكفاح الاقتصادية ، اذ كان موسوليني يهتم بالقوة فى حد ذاتها وبساحة الصدام المقبل الذى تستعد له الطبقات الاجتماعية فى ايطاليا أكثر من اهتمامه بتحقيق الهدف عند تصوره للكفاح • لذلك وصفه توراتى بالصبيانية وكلاوديو تويفس بالرجعية وذكره بأن الطبقة مفهوم الماركسية الأورثوذكسية المحورى لأنها تجسد القوة بينما تمثل الجماعة السلطة لأن الماركسية مذهب سياسى ثورى وليست حركة تمردية • ويعتبر كلام توراتى مجرد شعارات نظرية لفشل حذلقة تريفس فى توضيح الفرق بين العنف والقوة عند معالجة التطرف فى الصراع فى تلك الأيام • وتنازل الاصلاحيون عن مساحة كبيرة من ساحة الصراع لخصومهم وامتنعوا عن ممارسة أى دور فعال •

ويصف توراتي آراء موسوليني بانها قد تكون ألعابا سحرية أو رياضة بدنية أو أدبا أو رومانسية أو اضطرابا نفسيا أو أي شيء آخر غير كونها آراء اشتراكية ٠

ولا شك في أن تلك الآراء لم تكن اشتراكية ، اذ أن كل ما تبقى لها من خصائص المذهب السياسي هو انكارها لمقدسات ١٨٨٩ الثلاث : البرلمانية والديمقراطية والاصلاح ٠ وكان اقرارها لأولوية الفعل سببا في انفتاحها على أية حل سياسي رجعيا كان أم استبداديا أم ثوريا ٠

وكانت الفعالية هي العنصر الذى يستميل الجماهير بصورة مباشرة ٠ اذ وضعت صيغتها المختزلة الأسلوب الديمقراطي المتدرج القديم في مأزق ثم تغلبت عليه في النهاية ٠ فنحى الجهاز الاصلاحي الذى أنشأه تريفس في « الأفانتي ! » جانبا ، وانضمت جماهير الغوغاء للحزب فتضاعف عدده واختل تركيبه ، الهيراركي ٠ ويتضح نجاح الخط السياسي الجديد من نتائج الانتخابات ، اذ حصل الحزب الاشتراكي على مليون صوت في انتخابات أكتوبر ونوفمبر ١٩١٣ ، ودخل ٥٣ من أعضائه البرلمان فارتفعت بذلك نسبتهم من ٨ر١٪ الى ١١ر٣٪ ٠ وكان موسوليني قد رشح نفسه في دائرة فورلي ولكنه هزم على يد المرشح الجمهوري جاودنتزي ٠

ولا سبيل الى انكار الخدمات الجليلة التي قدمتها « الأفانتي ! » التي اعترف مؤتمر أنكونا بأهميتها فيما بين ٢٤ و ٢٩ أبريل ١٩١٤ ، وان لم ينعقد المؤتمر رسميا الا بعدها بشهور أثناء أسبوع يونيو ١٩١٤ الدامي ٠ ويشكل مجموع هذه الأحداث منعطفا حاسما في حياة موسوليني الشخصية ومسيرة الحركة الاشتراكية في ايطاليا على حد سواء ٠

الهـــــوامش

(١) الأممية internationalism : الدعوة الى سيادة مصلحة الدول عامة على المصالح الخاصة بدولة بعينها •

(٢) الفوضوية anarchism : نظرية سياسية تقول أن جميع اشكال السلطة الحكومية غير مرغوب فيها ولا ضرورة لها ؛ وتنادى باقامة مجتمع مرتكز على التعاون الطوعى بين الأفراد والجماعات •

(٣) المثالية idealism : نظرية تقول أن الحقيقة المطلقة كامنة فى عالم الظواهر •

(٤) النقابية syndicalism : مذهب ثورى يسيطر بموجبه العمال على الحكم والاقتصاد عن طريق الاضراب العـام •• الخ •

(٥) الدولية internatienale : منظمة اشتراكيـة أو شيوعية ذات نطـاق دولى •

(٦) الانتقائية eclecticism انتقاء الشخص ما يعتبره الأفضل فى جميع الأنظمة والمذاهب •

(٧) الاصلاحية reformism : مذهب يدعو الى التغيير الاجتماعى التدريجى فى اطار المؤسسات الشرعية ، ونقيضه الثورية •

(٨) الوضعية positivism : مذهب صاغه الفيلسوف الفرنسى أوجست كونت يعنى بالظواهر والوقائع اليقينية فقط ويهمل كل تفكير تجريدى فى الأسباب المطلقة •

(٩) الارادية voluntarism : مذهب يقول بان الارادة لا الفكر هى أساس الحقيقة •

(١٠) الطبيعة naturalism : مذهب ينكر أن يكون للأحداث أو الأشياء معنى خارق للطبيعة وأن القوانين العلمية تفسر كل شىء •

(١١) ترينتو : مدينة فى شمال شرق ايطاليا ظلت خاضعة للنمسا حتى الحرب العالمية الأولى ثم استردتها ايطاليا •

(١٢) الفعالية activism : مذهب يؤكد ضرورة اتخاذ الاجراءات الفعـالة أو العنيفة كاستخدام القوة لتحقيق الأغراض السياسية •

(١٣) يان هوس Janhus : 1371 ـ ١٤١٥) مصلح دينى تشيكوسلوفاكى نادى باصلاح وطهارة الكنيسة كفره البابا وأعدم حرقا ـ (المترجم) •

الفصل الثانى

الصعود الى القمة

١٩١٤ ـ ١٩٢٥

وقعت فى أنكونا فى ٧ يونيو ١٩١٤ صدامات عنيفة عندما حاول الجيش تفريق مظاهرة معادية للاستعدادات الحربية وكان من ضحاياها ثلاثة من القتلى وعشرات الجرحى . وكان رد الفعل الطبيعى لهذه المذبحة اعلان الاضراب العام الذى تحول الى انتفاضة شعبية فى توسكانيا ومارتشى . ولم تعلن رابطة العمل العامة ، أكبر تنظيمات البلاد النقابية ، الاضراب رسميا الا فى ٩ يونيو ، وقررت استمراره حتى منتصف ليلة ١١ يونيو . ولكن القلاقل استمرت بعد انتهاء هذه المهلة . ولم يكن السبب فى اعلان الاضراب المطالبة بزيادة الأجور أو أى مطلب سياسى واضح بل كان يعكس تطلع الجماهيرللوصول الى السلطة ورغبتها فى احداث تغيير سياسى . وأثار حجم الأحداث وعنفها مخاوف البورجوازية من جديد فشعرت بضرورة توحيد صفوفها وسعت بالتالى الى حل خلافاتها الداخلية حتى تتفرغ لمواجهة الخطر الداهم . ولم تؤد جهودها الا الى تأزم وضع مؤسسات الدولة الليبرالية .

كان المعسكر الاشتراكى يعانى من التخاذل والعجز بينما كانت تسود الحيوية والفوران المعسكر البورجوازى .

اذ كان الجناح الثورى يراهن منذ مدة طويلة على قيام الثورة التى تمثل الوسيلة الوحيدة للاستيلاء على السلطة من وجهة نظره . ولكن سرعان ما أثبتت أحداث يونيو بطلان هذه النظرية وضرورة الاستعانة باستراتيجيات سياسية واجتماعية أكثر تعقيداً وتحتاج الى نفس طويل . أصبحت الطبقة العاملة معزولة وتضاءل حجمها السياسى فى نسيج المجتمع الايطالى الطبقى بعدما تبين لها أن تحقيق السيطرة السياسية بات بالغ الصعوبة أو بعيد المنال على أقل تقدير . فأخذ العديدون من رفاق الدرب المتعاطفين مع مبادىء الطبقة العاملة ــ وخصوصا أعضاء البورجوازية الصغيرة الراديكاليين ــ فى البحث عن شخصية قوية تحميهم وعن أهداف عملية وفى متناول اليد . وكان لمشاريع البورجوازية الرجعية اغراء الورقة الرابحة فزعزعت قناعات سياسية كان لا يتطرق الشك الى ثباتها ، فتحمس لها ديمقراطيون عقائديون واشتراكيون متشددون مثل موسولينى .

ونشر تعليقاته على أحداث « أسبوع يونيو الأحمر » فى عدد يوليو من مجلة « يوتوبيا » التى تأسست فى نوفمبر ١٩١٣ . وظهرت نغمة جديدة فى مقالاته عن الانتفاضة الشعبية ، ونهاية الهدنة الاجتماعية التى استمرت فى عهد جيوليتى ، وضرورة اتحاد الحركة العمالية سياسيا . فخلت على سبيل المثال من أية اشارة واضحة الى الثورة ومؤيديها الحاليين ، فيكتفى بالقول أن ايطاليا بحاجة الى ثورة وستحصل عليها . وكان سبب اهتمامه بالفوضويين والجمهوريين وغيرهم من اليساريين استهانته بصفات الحزب الاشتراكى القيادية . وكانت هذه التغيرات وأمثالها مقدمات لتحوله السياسى الذى عجل به نشوب الحرب العالمية الأولى .

اتخذ موسولينى موقفا تقليديا من الحرب فى البداية . فكتب فى ٢٥ يوليو ١٩١٤ : «لقد جاء الوقت الذى ينبغى فيه على عمال ايطاليا اثبات صدق شعار لا مال ولا رجال من أجل

الحرب » · وكان يؤيد الحياد التام مثل قيادات الحزب الأخرى التي أعلنت موقفها المطابق لموقف حكومة سالاندرا التي أعلنت حياد ايطاليا الرسمي في نفس اليوم اي يوم ٣ اغسطس · ففقدت بذلك قيادة الحزب الاشتراكي القدرة على اثبات اختلاف موقفها عن موقف الحكومة لعدولها عن التهديد باللجوء للاضراب العام لضمان التزام البلاد بالحياد ·

وانصرف الحزب تدريجيا عن مناقشة انواع الكفاح اللازمة لضمان الحياة · واخذ في التوافق مع مناقشات البورجوازية التي تتناول مواضيع هامشية بالتفصيل مثل : الفرق بين الحرب العادلة وغير العادلة وبين المعتدى والمعتدى عليه ، كما تراخى التزامه بالمنهج الطبقي في وقت تدافعت فيه الأحداث بسرعة مذهلة · فتم حل الدولية الثانية ، وصوتت الأحزاب الاشتراكية في البلاد المتحاربة لصالح نفقات الحرب ، وسقطت بلجيكا ، واتخذت الحرب أبعادا هائلة ·

واتبعت جبهات الحزب الاشتراكي الداخلية اتجاهات جديدة لا تمت لمعاناة الجماهير بصلة · فلم تكترث بالهجوم الذى كانت تعده البورجوازية على زيادة الأجور وعلى الصعيد السياسي خلف ستار التعبئة العامة · ويقول موسوليني في تلك المناسبة : « لقد فقدت الخلافات الداخلية أهميتها باندلاع الحرب الأوروبية ·· فالناس في حركة متصلة تخضع لمدى اتفاقهم مع التقييم التاريخي للموقف الحالي » · وعجل هذا المناخ المشبع بالمثالية بتحول موسوليني السياسي لاستحالة التمسك بالحياد التام · وسرعان ما أخذ في التقرب للديمقراطيات الغربية ، فيقول في ١٦ أغسطس : « علينا الاعتراف بالفرق بين نظام اليونكرز (الأرستقراطية العسكرية الألمانية) والنظام الديمقراطي الفرنسي» · ووجد التفريق بين الحرب الدفاعية والهجومية آذنا صاغية لدى

الناطقين باسم جناح الحزب المتشدد • فوافق أخيرا كونستانتينو لاتزارى ، أحد غلاة المتشددين ، على التعبئة العامة فى حالة قيام حرب دفاعية •

وانضم كبار ممثلى اليسار كالجمهوريين والراديكاليين والفوضويين والنقابيين بزعامة التشيستى دى امبريس وفيليبو كوريدونى دون تردد الى جانب التدخليين (١) • ونشأ نشاط محموم نتيجة للدعاية التى قام بها الاشتراكيان الاصلاحيان تشيزارى باتيستى وأدينو مورجارى ، محاورا موسولينى المفضلان فى المناظرات السياسية • لذلك نستطيع تصور حرج موقف موسولينى من استمراره فى تأييد الحياد على صفحات «الأفانتى !» • فافتتح حوارا يقوم على استفتاء حول تأييد أو معارضة الدخول فى الحرب •

وكان موسولينى يتعرض لضغوط دوائر مختلفة من ضمنها جوسيبى بريتزولينى ناشر « ليوناردو » ، والمستقبليون (٢) ، والفوضويون ، والمصلح الاشتراكى ليونيدا بيسولاتى • وفى ٢١ سبتمبر ١٩١٤ نشرت قيادة الحزب الاشتراكى بيانا تؤكد فيه التزام الحزب بالحياد التام • وكان موسولينى هو الذى حرر هذا البيان الذى كان يغص بعبارات التطرف فى التمسك بالحياد كقوله : « يظل الحزب الاشتراكى الحزب الوحيد المحصن ضد عدوى دحول الحرب المتفشية » • ويعكس هذا الأسلوب محاولة دفاعية مستميتة لاخفاء شعوره بالحرج • وفى ٤ و ٧ اكتوبر ظهرت سلسلة من المقالات فى «الجيورنالى ديطاليا» و « ال راستودل كارلينو » المحافظتين يندد فيهما الكاتب بتناقض آراء موسولينى المعلنة والمتكررة المؤيدة للتدخل فى الحرب التى يفضى بها لخاصته وتشدد الحزب فى التمسك بالحياد • وكان لاثارة هذا الموضوع صدى واسع دفع موسولينى الى حسم أمره • فكتب فى « الأفانتى ! » مقالا بعنوان : « من الحياد التام الى الحياد الايجابى والاستراتيجى » جاء فيه :

« ان تجنب الحرب لا يتأتى الا بقيام ثورة تسقط الدولة » . وكان بهذا الكلام يزكي الدخول في الحرب في واقع الأمر لاستحالة قيام الطبقة العاملة بالثورة . ومثل موسوليني بموقفه الجديد أمام ادارة الحزب في بولونيا في ٢١ أكتوبر . ورفض كل محاولات الوساطة وكانت تصرفاته توحي بأنه اتخذ قراره من مدة بعيدة . اذ استولى عليه الشعور بأنه لم يعد ينتمي للحزب .

وكان الوضع هنا يختلف عن خلافه السابق مع الحزب في فورلى سنة ١٩١٠ . اذ لم يحاول في هذه المرة الابقاء على قنوات اتصال أو البحث عن اسس مشتركة . ويقول في ٢٧ أكتوبر ١٩١٤ في « الافانتي ! » : « ان ذهابي لبولونيا وقد عقدت العزم على تصعيد موقف لم يعد محتملا هو عين الصواب » . وتجاوز الموقف في هذه المرة مجرد الخلاف أو الخصومة واتخذ طابع اعلان الحرب . وكان موسوليني يستند في موقفه على العوامل التالية : شعوره ان الحزب الاشتراكي قد انتهى وأن في دخول الحرب فرصته الكبرى ، ووضع رغبته في تحقيق ذاته موضع التنفيذ : ثم القيام بانقلاب يلعب فيه ذكاؤه السياسي والمامه العميق بسيكولوجية الجماهير دورا حاسما . فاستقال على الفور من رئاسة تحرير « الأفانتي ! » . وبعد مضى ثلاثة أسابيع ظهر العدد الأول من جريدته «ال بوبولو ديطاليا» . في ١٥ نوفمبر ١٩١٤ . وفي ٢٤ نوفمبر أوصى فصيل ميلانو بطرده من الحزب الاشتراكي .

لم يؤد طرد موسوليني الا لنتائج محدودة بالرغم من شعبيته لأنه كان قد قرر التخلي عن المبادىء الاشتراكية المزعجة أثناء صعوده الى القمة ، ولكنه أصبح معزولا بسبب الشكوك التي حامت حول مصادر تمويل جريدته . وكان موسوليني قد تلقى تمويلا بالفعل لتأسيس « ال بوبولو » ضمن له نجاحها . وكان فيليبو نالدى رئيس تحرير

« ال راستو دل كارلينو » المحافظة منفذ هذه الفكرة • فوضع تحت تصرف موسوليني شبكة لتوزيع الجريدة من خلال الميساجيري ايطالياني ، وساعد في توجيهه في النواحي الادارية والفنية ، وفي تشكيل هيئة التحرير ، وفي الحصول على عقود مجزية لنشر الاعلانات • وكان أصحاب الفكرة ـ كما اعترف نالدى ـ وزير الخارجية المركيز دى سان جوليانو وممثلى المجموعات الصناعية الكبرى من جهة أخرى ، مثل ايسترلى عن (اديسون) ، وبروتزونى عن (اتحاد صناعة السكر) ، وأنييلى عن (فيات) ، وبيرونى عن (أنسالدو) ، وبارودى عن (صناع السفن) • لقد ضمن له كل هؤلاء الحصول على التمويل من اجل خلق أداة معادية للاشتراكية •

وفقد موسوليني تعاطف زملائه القدامى بسبب تحوله المفاجىء الى تأييد اهداف العدو الطبقي الاستراتيجية • اذ قامت البورجوازية أثناء الصراع الذى دار حول دخول الحرب قبل اعلانها وخلال سنوات الحرب نفسها باعداد « توليفة » سياسية تشمل الرجعية والقومية والفاشية (العنصر الثالث والجديد الذى كان استخدام القوة لارهاب الشعب هو عنصر مشاركته الفعال) • وتبين أيام مايو المشرقة والقلاقل التدخلية التى سبقت دخول ايطاليا فى ٢٥ مايو ١٩١٥ بوقت قصير صفات الطبقة الحاكمة القيادية التى نجحت فى صهر جناحي التدخلية التقدمي والديمقراطي مع الاتجاهات الأخرى فى قالب واحد معاد للعمال والاشتراكية • وتوحد موسوليني ـ باستثناء اشارات كلامية عابرة لماضيه الثورى ـ مع برنامج البورجوازية الهادف الى تكريس السلطوية • وكانت خلافاته مع البرنامج هامشية وعابرة ونابعة من اجتهاداته التكتيكية الخاصة فى تفسير مضمونه الاستراتيجى • وخلت مقالاته من أية اشارة للطبقة العاملة وتوجه نحو صفوف شباب البورجوازية الصغيرة التى تطالب بالتعاون

الطبقي ، كما أخذ في الوقت نفسه في مدح البورجوازية بينما تصاعد احتقاره للجماهير · فيقول في ديسمبر ١٩١٥ : « اننا لا ننتظر من الشعب الذى استبدل المحراث بالبندقيـة الا الطاعة العمياء » · ويتفق هذا التغيير في منظوره الطبقي مع تعاونه مع المؤسستين الرجعيتين : الملكية والجيش ·

انعكس الرخاء الجديد على شخص موسوليني وحيـاته الخاصة · فبادر الى التوافق مع مكانته بالزواج من راتشيلى زواجا مدنيا فى ١٦ ديسمبر ١٩١٥ والاعتراف بأبوة أبنه من ايدا دالسر · وجنـد موسـوليني فى ٣١ اغسـطس · واستمر في مزاولة مهمتـه كجنـدى الى ٢٣ فبراير ١٩١٧ عندما أنهت الجروح التى أصـابته من شـظايا قنبلة مدفع خبراته بالحـــرب فعـاد الى « ال بوبولو » فى ١٧ يونيـو ١٩١٧ · لقد مر موسوليني بخبرات الحـرب اللا انسـانية والقاسية وشاهد القتلى والجرحى والفارين من الميدان ومن يشوهون آجسامهم للهروب من الخـدمة ، الا آنه لم يجـد ما يقوله عن الجنود سوى أنهم نفوس ساذجة وبريئة تتقبل الحرب على علاتها وكأمر لا مفر منه · وفتر حماسه للثورة أثناء تلك الفترة ، فنجده يناصب لينين وثورته العداء فى الوقت الذى بدا قيام الثورة فيه مواتيا بعد هزيمة ايطاليا فى كابوريتو فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧ وقيام ثورة أكتوبر فى روسيا وما ترتب عليها من دروس وعبر ·

وفى الوقت الذى كان يسـتعد فيـه الجيش النمساوى لاجتياح وادى نهر البو ، يقوم موسوليني بتوجيه نداءات الى الشعب بالمقاومة تتخللها الوعود الغوغائية وعبارات النفاق، كقوله فى ٤ نوفمبر : « لابد من اعطاء الفلاحين أرضـا حتى نضـمن تلاحمهـم مع باقى الأمة ·· انه الثمن الاجتماعى للحرب الذى نطالب بدفعه حتى نحيى روح المقاومة فى نفوس سـكان الريف » · ولكنـه سرعان ما يتحـول الى التلـويح باستخدام القمع : « لن نقيم آى وزن لحرية الفرد بل سننزيح

هذا الوثن من طريقنا » • بل انه يذهب الى أبعد من ذلك حين يطالب بحل البرلمان ، وفرض الرقابة على الصحافة وتوحيدها ، وباجراءات قمعية أخرى بعد تمكن الجيش الايطالى من ايقاف زحف النمساويين عند نهر البيافى • ويواكب تحرك موسولينى السياسى خطوات حكومة أورلاندو التى تحولت من الكلام عن الحرب الديمقراطية الى اجراءات قمعية صارمة أدت الى اعتقال كونستانتينو لا تزارى ونيكولا بومباتشى وجاسينتو منوتى سيراتى ــ خليفة موسولينى فى رئاسة تحرير الأفانتى ! ــ وآخرين غيرهم •

وفى أول اغسطس ١٩١٧ ، اختفى من رأس جريدة موسولينى « ال بوبولو ديطاليا » عنوان « جريدة اشتراكية » ليحل محله « جريدة المناضلين والكادحين » • ويعرف موسولينى هذين المسميين بدقة شديدة حتى يبعد عنهما شبهة اللينينية • فيقول : « ان الكادحين والمناضلين يختلفون تماما عن الجنود والعمال •• فالكادحون يتيحون بدفاعهم عن البورجوازية فرصة انجاز مهمتها التاريخية » • واخيرا وضعت الحرب التى تبلور ميل موسولينى للتعاون الطبقى خلال سنواتها الأربع أوزارها • ولم يعد هدفه الأوحد كسب الحرب بل تعاون الطبقات وقيام كادحيه من عمال ومهندسين وغيرهم بتلبية احتياجات الرأسمالية الانتاجية • وهكذا وعلى هذا النحو ظهرت بذرة أنجازات الفاشية المقبلة فى ظل شعار التصالح الطبقى• ويكتب موسولينى فى١٨ أغسطس : « ان الكد لا يكون الا باجتهاد ونظام ومثابرة واصرار لصالح الطبقة العاملة قبل كل شىء •• اذ علينا احترام الكادحين لأن سرعة اعادة البناء بعد الحرب تعتمد عليهم •• ونجد من بين الرأسماليين من يدرك طبيعة مهمته التاريخية فيغامر كما نجد بين العمال من يدرك حتمية مهمته الرأسمالية ومزاياها» • وكانت آراؤه متفقة مع برامج أصحاب المصانع لفترة ما بعد الحرب التى أدت الى توسع بعض قطاعات الصناعة الايطالية • فزاد عدد العاملين فى أنسالدو مثلا من ٤٠٠٠ الى ٥٦٠٠٠

كما ارتفع حجم معاملاتهـا من ٣٠ الى ٥٠٠ مليـون ليرة ٠ وكان الاحتفاظ بمستوى انتاج مرتفع ضروريا لحل مشاكل تكيف الصناعة مع ظروف السلم ، ولـكن نشوب سلسلة من اضطرابات العمال والفلاحين خـلال عامى ١٩١٩ و ١٩٢٠ جعل تحقيق هذا الهدف متعذرا ٠

كان شـعار حـكومة نيتى هو زيادة الانتـاج وخفض الاستهلاك ٠ وتولت هذه الحكومة منصبها بعد سقوط حكومة أورلاندو لتتصدى لأولى موجات الكفاح الشعبى الذى بلغ ذروته فى قلاقل يوليو ١٩١٩ التى قامت احتجاجا على غلاء المعيشة ٠ فقام التجار فى بعض المدن بتسليم مفاتيح محالهم لغرفة العمل وتعليق لافتات على أبوابهـا الحـديدية المغلقة كتب عليهـا « تحت تصرف غرفة العمـل » ٠ وحاول نيتى التوصل الى مخرج من الازمة ، فى هذا الجو الذى ينذر بقيام الثورة ، بتجنب مواجهة الانتفاضة وترك الفرصة للحلول الديمقراطية ٠ اذ لم تكن الاتجاهات السلطوية التى ظهرت بين العسكريين عـلى وجه الخصـوص قد انتشرت فى ذلك الوقت ٠ اما موسولينى فاكتفى بهجوم عنيف على نيتى بلغ وصمه بالخيانة لموقفه من مغامرة جابرييلى دانونتزيو (٣) فى فيومى بالرغم من عـدم اختـلاف برنامجه السياسى عن برنامج الحكومة بشكل جوهرى ٠ لقد جعله حسه الانتهازى المرهف وادراكه المسـتفيض لطبيعة تلك المرحلة السـياسية يجـارى هـدف نيتى الخـاص بمعاداة البولشيفية ويساير تدابيره التكتيكية الذكية لتنفيذ برنامج «تقدمى» ٠ واستعان موسولينى بعناصر من الجمهوريين من بعض الدوائر الحكومية كما سعى للحصول على تأييد اليسار فى معركته مع اللينينية التى يقـول عنهـا فى تلك الأيام « ان عقـول الاشتراكيـة المفكرة بدءا بكاوتسكى وانتهاء ببرنشتاين ترفض التجربة الروسية » ٠

شرع موسولينى بعـد انتهاء الحـرب بأيام فى تأسيس رابطة للتدخليين الايطاليين ٠ وكان من أهدافهـا المطالبـة

بتخفيض عدد ساعات العمل بالتدريج الى ثمان ، وضمان حد أدنى للأجور ، وتنازلات أخرى للعمال في اطار برنامج وصفه باختصار بالإصلاحية • وكان شعار هذا البرنامج نبذ الثورة والتطرف ونزع الملكية وكافة أنواع الصراع الطبقى • وكانت ساعات العمل الثمان واصلاح الجيش وفق مبدا تسليح الأمة الديمقراطية أهم نقاط البيان الذى أعلنه فى ٢٣ مارس ١٩١٩ بمناسبة تأسيس عصابات النضال (فاشى دى كومباتيمينتو) (٤) أثناء اجتماع ساحة سان سيبولكرو فى ميلانو • وكانت المسافة التى تفصل بين النظرية والتطبيق فى برنامج موسولينى كبيرة • فقد سهل له تبرمه من البرامج اتباع ازدواجية سياسية : فكان يؤيد الديمقراطية من الناحية النظرية حتى يتيح لرفاق اليسار فرصة الحركة ، فى الوقت الذى كان يتسم فيه التطبيق باستخدام العنف من قبل العناصر الرجعية •

فشل مشروع موسولينى لتأسيس الرابطة عندما قام مع المستقبليين فى مساء ١١ يناير ١٩١٩ بمظاهرة غوغائية ضد بيسولاتى فى اوبرا لاسكالا فى ميلانو • فأخرج بذلك أنصار الفاشية القلائل من نطاق جناح التدخلية الديمقراطى • ولكنه تمكن من التفاهم مع المستقبليين الذين استهواهم القيام بدور مثقفى حركة موسولينى ، والذين شكلوا مع الأرديتى أو المغاوير ــ فرق خاصة من الجيش الايطالى مدربة على تنفيذ العمليات العسكرية الجريئة ــ أولى فصائل الفاشية المدربة عسكريا • ولا يمثل اجتماع ساحة سان سيبولكرو الذى اتفق الجميع على اعتباره يوم ميلاد تلك الفصائل سوى مرحلة من مراحل نمو الحركة التى كان موسولينى يفضل احتفاظها بقدر من الميوعة بدلا من استتبابها فى هيكل تنظيمى ثابت يعوق مرونته التكتيكية • ويحتل يوم ١٥ أبريل ١٩١٩ أهمية أكبر من التاريخ السابق • اذ تعرضت مكاتب « الأفانتى ! » فى ميلانو للهجوم فى ذلك اليوم • وكان تعليق موسولينى على الحادث عدوانيا : « لقد بدأت

أولى مراحل الحرب الأهلية ... اننا لم ندبر نحن الفاشيين الهجوم على الجريدة الاشتراكية ولكننا نتحمل مسئوليته الأدبية » . والأهم من التاريخين السابقين اضراب ٢٠/٢١ يوليو العام الذى قام أثناءه السكادريستى (٥) بحشد قواهم ضد المضربين بالتواطؤ مع مدير الشرطة .

اكتسب الفاشيون مصداقيتهم بفضل الاصرار الذى كانت تنفذ به عمليات السكادريستى العسكرية ، وان استمرت الشكوك حول قدرتهم على الاحتفاظ باستقلاليتهم السياسية . واحتل جبرييلى دانونتزيو والقوميون الصدارة أثناء أزمة فيومى بينما كان موسولينى مجرد تابع لهم لأن عدم استقلاله السياسى فرض عليه اتباع طريق يخلو من الاتجاهات الثورية ، وتكتيك الاستعانة بمؤسسات الدولة الليبرالية حتى لا يصطدم بأجهزتها . لذلك لم يؤيد مشاريع دانونتزيو الانقلابية بل نصحه باتباع خط سياسى أكثر ليونة لا يخلو فى نفس الوقت من انتهازية إنتخابية . فيدعو دانونتزيو لانتظار نتائج انتخابات ١٦ نوفمبر ١٩١٩ قائلا : « سيظهر فى ذلك اليوم رأى الشعب فى مشكلة فيومى وستفوز شخصيات جديدة فى الانتخابات » .

وكان كل همه فى تلك المرحلة اسقاط حكومة نيتى ليفسح الطريق أمام الفاشية . ولم يكن ينتظر الكثير من الانتخابات . فيقول فى مؤتمر فلورنسا فى ١٩ أكتوبر : « ينبغى علينا نحن الفاشيين اثبات وجودنا بمفردنا ... وعلينا أن نخرج من الانتخابات كقوة معترف بها ويعتد بها أيضا . واذا كان عددنا قليلا فقد يشفع لنا حداثة عهد حركتنا التى لم تظهر الا منذ ستة شهور » . وتعتبر نتائج الانتخابات مخيبة للآمال حتى بمقاييس موسولينى المتواضعة وحتى مع أخذ عزلة الفاشيين فى الاعتبار . فحصلوا فى ميلانو على ٤٦٥٧ من مجموع ٢٧٠٫٠٠٠ صوت . وانتخب مرشح واحد لهم فقط فى ليجوريا ، بينما حصل الاشتراكيون

على ١٨٤٠٠٠ صوت وفازوا بمائة وستة وخمسين مقعدا . فحققوا بذلك نتائج تعادل ثلاثة أمثال نتائج ١٩١٣ .

وكان تعليق « الأفانتى ! » على النتائج : « انتشلوا اليوم من نهر النافيليو جثه متعفنة اتضح انها جثة بنيتو موسولينى » . وفى ١٨ نوفمبر اعتقل موسولينى ومارينيتى وفيكى وقادة آخرين بعد ضبط الشرطة بعض الأسلحة اثناء تفتيش مقر رابطة الأرديتى ولكنهم أطلقوا سراح موسولينى على الفور لتدخل نيتى ولاحتجاج شخصيات معروفة كان من ضمنها لويجى ألبرتينى رئيس تحرير « ال كوربييرى ديللا سيرا » . وتبين هذه الاحداث بوضوح ما ترتب على هزيمة الفاشيين فى الانتخابات من نتائج خطيرة انعكست على علاقتهم بالحكومة بل وعلى داخل حزبهم نفسها .

ولم يعد موسولينى قادرا على الاستمرار فى خداع نفسه . اذا اتضح من النتائج أن الفاشية فشلت فى تحقيق هدفها المرحلى ودخول اللعبة البرلمانية كقوة سياسيه محترمة لها وزنها . فأصبح لزاما عليها اتباع استراتيجية اقل طموحا . وفى نفس الوقت أخذت عصابات النضال (الفاشى) فى التفتت فلم يتبق منها سوى ثلاثين ، كما مرت جريدة موسولينى بضائقة شديدة لم ينقذها منها سوى تدخل مجموعة من أصحاب أحواض بناء السفن الليجوريين الذين كانت لهم مصلحة فى استمرارها .

وبالرغم من ذلك أعاد هذا التلاقى بين الظروف السياسية والتنظيمية السيئة موسولينى الى الساحة من جديد أثناء المرحلة الانتقالية بين وزارتى نيتى وجيوليتى . فقد فشل الأول فى تحقيق هدنة اجتماعية بين الطبقات فاستمر هجوم العمال ونجح الاشتراكيون فى الانتخابات .

وأعاد جيوليتي محاولة تحقيق هذه الهدنة باستخدام تكتيك مختلف • فشجع من ناحية تعاون الطبقة الحاكمة مع الحزبين الجماهيريين الجديدين ، الحزب الاشتراكى وحزب الشعب الكاثوليكى (البوبولارى) ـ الذى أسسه دون ستورتزو فى سنة ١٩١٩ ـ داخل البرلمان ، واستعان من ناحية أخرى بالقوة الفاشية المسلحة لضرب الجماهير دون اللجوء لمؤسسات الدولة الليبرالية القمعية (الجيش والشرطة) التى ضمن بذلك حيادها •

تولت وزارة جيوليتي مقاليد الحكم فى ١٥ يونيو ١٩٢٠ ، ويقول عنها موسولينى : « لا نستطيع اصدار احكام مسبقة على هذه الحكومة بل علينا انتظار أدائها على الطبيعة » • ورحب الفاشيون ببرنامج جيوليتي الداعى الى الاتحاد مع البورجوازية وان كان موسولينى هو الذى نفذه بعد ذلك بسنتين لأنه لم يكن يستطيع آنذاك تنفيذ برنامج بهذا الطموح • اذ لم يكن بوسعه فى تلك الفترة الا الاستفادة على قدر المستطاع من الامكانات التكتيكية التى يسمح له بها مشروع جيوليتي • وساعده تواطؤ الحكومة على تقوية عناصر حركته المسلحة دون تدخل الشرطة •

وكان أكثر ما يهم موسولينى هو ابراز دوره الخاص على ساحة العنف السياسى وفى اطار التحالف الكبير وفق توزيع الأدوار التى حددها جيوليتي •

ويقول فى كريمونا فى ٥ سبتمبر ١٩٢٠ : « لن يجرؤ أحد على وصفى بالرجعية اذا استعملت القوة لمنع الشعب من التردى فى الهاوية » • ويصف موسولينى اشعال النار فى فندق « البلقان » مقر الرابطة السلوفاكية فى تريستا فى ١٧ يوليو بأنه « ضربة معلم » قام بها فاشيو تريستا كما يصف تحطيم مكاتب « الأفانتى ! » فى روما بأنه اجراء منطقى ومشروع ضد دعاة استخدام العنف !

وكان يسترجع عند ابدائه لمثل هـذه الآراء الدروس التي تعلمها من خبرته كمخرب سابق : ان الاقوى هو صاحب الكلمة الاخيرة عند تصادم الطبقات ، وان ضرب حركة ثورية ذات قاعدة عريضة لا يتم بعد فشل الوساطة الا عن طريق القوة المسلحة ٠

تحولت الحركة الفاشـية الىاسـتخدام العنف بصـورة يومية بعد فترة تردد قصيرة كان العمال يحتلون فيها المصانع فى سنة ١٩٢٠ وعندما بدا أن المد الثـورى يوشـك عـلى اجتياح ايطاليا ٠ وشمل هجـوم السكادريستى كل البـلاد ابتداء من شهر نوفمبر ١٩٢٠ ٠ فقام السكادريستى خـلال الشهور الثلاثة الأولى من سـنة ١٩٢١ بتنفيذ ١٣٠ حملة تأديبية فى ضواحى فيرارا فقط ٠ وتدمير ٤٠ بيتا من بيوت الشعب ومقرا للحزب الاشتراكى ، كما حلوا بالقوة ١٧ من ٢١ ادارة بلدية يسارية ٠

ويتضح من احصـائيات أنجيلو توسـكانو تدمير ٧٢٦ مقرا للحزب الاشتراكي ومصرع ١٦٦ وجرح ٥٠٠ مناضل يسـارى خـلال الأول من سـبتمبر ١٩٢١ ٠ وكان عنصر الارهاب الفـاشى المحرك ما يسمى بالفاشـية الريفية التى كشفت عن وجهها لأول مرة أثناء مذبحة ساحة داكورتسيو فى بولونيا فى ٢١ نوفمبر ١٩٢١ ٠

وكان هذا العنصر الجديد يتمشى مع ازدواجية موسولينى السياسية كمـا كان يمثـل فى داخـل التجميع العقـائدى الاجتماعى الفـاشى سـلوكيات شـبيهة بسلوكيات الحرب الأهلية ومفاهيمها ، التى تستند على تقاليد العنفالاقطاعى السـائد فى الأرياف ٠ فظهـر له قادة وزعمـاء يتشـبهون بالكوندوتييرى القدامى (٦) فى الأرياف المحيطة بالمدن ٠

وكان هؤلاء يمثلون جناح الفاشـية المقـاتل والمدرب عسكريا والقادر عـلى تعبئـة قوات كبيرة بسرعة لمهاجمـة

التجمعات العمالية المعزولة وغير المدربة على مقاومة هـــذا النوع من العمليات · ولم يقدر بالرغم من ذلك لهذا العنصر السكادريستي الريفي الا القيام بدور هامشي عـلى المـدى البعيد لعدم توافقه مع جلول موسوليني الوسطية الهادفة الى تحقيق الرخاء والملتزمة بالشرعيـة والمتمسـكة بالسـلوك المتحضر · وعلى اية حال ، كانت كفاءة عمليات السكادريستي العسكرية في تلك المرحلة هي الخطوة الأولى لتحقيق توحيد البورجوازية سياسيا · اذ كانت خـلافات رجال الصـناعة والزراعة وعناصر المعسكرات السياسـية التقليـدية أمورا هامشية تخص التكتيك عنـد مقارنتها بهـدف سحق الحركة الشعبية الاستراتيجي الأساسي ·

ويقول المحامي ادواردو روتيليانو أحـد أهم المتحدثين باسم « الكونفيندوستريا » أكبر تجمع للصناعة في ايطاليا» لم يكف رجال الصناعة عن تقديم التنازلات للعمال منذ أن انتهت الحرب ·· لقد آن الأوان أن نقول لهم كفى ! » ·

كان رجال الصـناعة قد بدأوا منـذ أبريل ١٩٢٠ في تأجير ميليشيات خاصة من المتطوعين أثناء الاضرابات لضمان استمرار العمل في المصانع وحياة المدن اليوميـة بصـورة فخلقوا جهاز مقاومة مدنية ذا صفة مستديمة ·

ويصف أوليفيتي سكرتير « الكونفيندوستريا » في ذلك الوقت هذا العمل بأنه انقاذ للدولة · وشجع اقتناع رجال الأعمال بمثل هذه الآراء عـلى قيامهم باسـتبعاد الدولة ــ الجهة الوحيدة القادرة على الوساطة ــ من الساحة السياسية · ويكتب آنطونيو جرامشي في ١٧ آكتـوبر ١٩٢٠ : « لقـد وصلت قوة الرجعية الى الحد الذى جعلها تنحي قناع الرجعية جانبا لأنها لم تعد تحتـاج اليـه لتحقيق آغراضها · ويعني ذلك آنهـا ستسـتعين بكافة امكانات الدولة لتحقيق تلك الأغراض » ·

وكان موسوليني يستند في برنامجه المرحلي على دعامتين : عنف السكادريستي والتعاون الودى مع الحكومة • ولم يكن لبرنامجه سوى ثلاث صفات سطحية : القومية الايطالية ومعاداة الغوغائية والعملية • وسرعان ما حقق له هذا الخط السياسى النجاح • فقام بداية بالتحرك من موقفه الدفاعي القديم • اذ كان لابد له من تحييد الجيش • الى السعى بحذر للحصول على تأييد العسكريين الذى كان يحتاج اليه • وكان هؤلاء قد صرفوا النظر عن التفكير فى الانقلابات بعد أن اكتشفوا الفاشية ، ولما كان لعمليات السكادريستي الهادفة الى التخلص من الاشتراكيين والعناصر المشاغبة الأخرى من تأثير ايحائي على الناس عامة والعسكريين خاصة أولئك الذين كانوا يحلمون دائما بتحقيق مثل هذا الهدف بأنفسهم • وبدأ موسوليني بأسلوبه الغوغائى فى تأييد النفقات التى يطلبها الجيش • وانتقل الجيش مع اقتراب موعد الزحف على روما من حياده المبدئى الى التعاطف وان ظل دوره ثانويا فى العملية السياسية • وكانت ناقلات الجنود والأسلحة والمعدات كلها من ممتلكات الجيش وكانت توضع فورا تحت تصرف السكادريستى ، الا آن زمام المبادرة السياسية لم ينتقل فى يوم من الأيام الى أيدى الضباط •

ونجح موسوليني فى استغلال تحالفه مع جيوليتى لصالحه وان كان كلاهما يستفيد من الآخر • فكان السياسى العجوز جيوليتي يستعمل الفاشية كمخلب قط فى البداية آملا فى تحويلها الى مؤسسة دستورية صغيرة يسهل احتواؤها فيما بعد • ويعود الفضل اليه فى دخول مرشحيها ضمن قائمة الكتل القومية الحكومية الى جانب المعتدلين والقوميين والليبراليين وقطاع كبير من رجال الأعمال وملاك الأراضي الزراعية مع حلول موعد انتخابات ١٥ مايو ١٩٢١ • وكان موسولينى الأكثر استفادة من هذه اللعبة المتبادلة لأنه كان يملك عنصر استعمال القوة الحاسم • ويكتب فى ٢٦ آبريل ١٩٢١ : « لقد حققت الفاشية بانضمامها للكتل

القومية هدفها بالكامل ، اذ أصبحت حزمة اللكتر (٧) شعار الكتل القومية ·· » وأفرد في برنامجه الانتخابي مساحة واسعة لما يسمى بسياسة الكفاءة وأولى الفنيين والخبراء أهمية كبرى · وكان برنامجه بخطوطه الليبرالية العريضة يرضي متطلبات الرأسمالية الكبيرة · فيقول موسوليني : « على الدولة استعمال كافة الضوابط الممكنة والمتصورة ، كما أن عليها في نفس الوقت التخلي عن توجيه الاقتصاد الذي ليس من اختصاصها في واقع الأمر ، وعليها أيضا العدول عن احتكار الخدمات العامة » ·

وبعد انتهاء المعركة الانتخابية التي خضبت شوارع ميادين ايطاليا بالدماء ـ اذ سقط بين ٨ ابريل و ١٤ مايو ١٩٢١ مالا يقل عن ١٠٥ قتلى ـ فازت قائمة التكتلات القومية بخمسة وأربعين ومائتي مقعد كان نصيب الفاشيين القوميين منها ٤٥ · ولم تتجاوز حصة الفاشيين من الاصوات ٧٪ ـ · وكان تأييدهم يقتصر على دوائر محدودة جدا شعر بالنقمة على الطبقة العاملة بالاضافة الى بعض فئات الطبقة المتوسطة المتهورة كالمعلمين وصغار الموظفين وموظفي المحاكم والمالية ومصلحة الضرائب والبريد والبرق والسكك الحديدية وغيرهم الذين انسلخوا عن نقاباتهم التقليدية منذ صيف ١٩٢١ ليؤسسوا حركة نقابية قومية تتناول شعورهم بالسخط والاحباط الشديد وخوفهم من ابادة تاريخية وشيكة · واحتفظت الأحزاب الأخرى بمراكزها القديمة بالرغم من تعرضها لدرجات متفاوتة من العنف والارهاب · حصل الحزب الاشتراكي على ١٢٢ مقعدا ، والحزب الشيوعي الجديد على ١٧ ، وحزب الشعب الكاثوليكي (البوبولاري) على ١٠٧ · لقد أكدت نتائج الانتخابات اتجاه العام نحو التغيير عند مقارنتها بانتخابات ١٩١٩ ·

لم تحدث تغيرات سياسية تذكر في المرحلة التي واكبت استقالة جيوليتي وتولي بونومي الحكم · وكان كل ما يعني

موسوليني الاستمرار في ممارسة ازدواجيته السياسية التي أثبتت الاحداث فعاليتها • ويصف نفسه في اول خطبة يلقيها أمام البرلمان بمناوأة الديمقراطية ومعاداةالاشتراكية ثم يوجه المديح للرأسمالية قائلا : « ليست الرأسمالية مجرد نظام قمعي بل نخبة من القيم والقدرة على التنسيق بين الفئات المختلفة والحس الواعي بمسئولية الفرد » • ويكرر تأييده للاقتصاد الحر : « لقد منحتنا الدولة شرطة تحمينا من اللصوص ، ونظاما قضائيا محكما ، وجيشا مستعدا لمواجهة كافة الاحتمالات ، وسياسة خارجية ترعى الأماني القومية • أما فيما عدا ذلك من أمور ، ولا أستثني منها التعليم الثانوى، فمسئولية الأفراد والقطاع الخاص » • ويقطع شوطا كبيرا في استرضاء الكنيسة حين يقول : «ان الفكرةالعالمية الوحيدة السائدة في روما اليوم تلك التي تصدر من الفاتيكان» •

كما يبدى استعداده للتصالح مع الاشتراكيين لخوفه من اتساع رد فعل الطبقة العاملة المسلحة بتحالفها مع الأرديتي من جهة ولتوسيع هالة التعقل التي أصبحت تحيط بشخصه من جهة أخرى • ضمن هذا الخط السياسي لموسوليني تأييد أهم مراكز القوة في ايطاليا وان فرض عليه في نفس الوقت كيل المديح لجناح الحركة المتطرف ، لأن معاداة الاشتراكية كانت أكثر ما يستهوى تلك المراكز في الفاشية •

واستمرت الاشتباكات الدامية في الريف على وجه الخصوص بلا هوادة في اطار معركة لا تنتهي الا بابادة العدو الطبقي • وقام متطرفوا جناح الفاشية اليميني أمثال أكيلي جراندى وبالبو وبيروتي كومبانيني وفاريناتشي وفورني وباستيانيني وميزوني وكارادونا وغيرهم من صغار الطغاة المحليين (الراس) بقيادة التمرد على موسوليني •

لم يكن هؤلاء المتمردون يملكون استراتيجية بديلة لتلك التي طرحها موسوليني الذى كان يعتبر الزحف التدريجي على

السلطة هو الحل العملى الوحيد · اذ لم يكن اللجوء للحلول الانقلابية ومحاربة الدولة بدلا من استغلالها الذى كان ينادى به موسولينى سينال تأييد الجماهير بل كان سيثير غضب ممولى السكادريستى أيضا · لذلك احتلت هذه العناصر العدوانية مكانة هامشية لم تتحرك منها طيلة عهد الفاشية · وأخيرا وقع الصلح بين الفاشيين والاشتراكيين فى ٣ أغسطس ١٩٢١ · ولم يكن له أية نتائج عملية باستثناء رفع مكانة موسولينى ، ولم تمض الا شهور قليلة أصبح بعدها حبرا على ورق ·

وواكب قمع التمرد داخل الحزب تحول الحركة الى حزب أثناء المؤتمر الثالث الذى انعقد فى ٧ نوفمبر · فتحولت الحركة الى الحزب الفاشى القومى (بارتيتو ناتزيونالى فاشيستا) بعد أن بلغ عدد تجمعاتها ٢٢٠٠ وعدد أعضائها المسجلين ٣٢٠٠٠٠ فاستوفت بذلك المواصفات المطلوبة لتأسيس الأحزاب · ولم تكن المشكلة فى الكم فحسب ، بل فى شغل فراغ السلطة الذى خلفه عجز حكومة بونومى · وكان التمرد الداخلى قد نبه موسولينى الى ضرورة تأسيس تنظيم يعتمد عليه ويخضع لتوجيه مركزى ثابت فى الأوقات الحاسمة · ويصف المشكلة قائلا : « ان حل المشكله يكون فى رايى على النحو التالى : تأسيس حزب موثوق فى تماسكه وانضباطه ، يستطيع القيام بدور الجيوش عند الضرورة ويجيد المناورة عند استخدام القوة سواء للأغراض الدفاعية أو الهجومية» · ويستطرد مؤكدا سياسته المزدوجة : « علينا أن نمنح الحزب روحا وبرنامجا كما ينبغى اعادة النظر فى متطلبات الحزب النظرية والعملية وتوسيعه والتخلص من بعضها أيضا » ·

وطالب الحزب بتأييد مشروع موسولينى للاستفادة من مؤسسات الدولة التى يقول عنها : «ستجدنا الدولة دائما فى صفها طالما أثبتت أنها تحمى وتنشر وتدافع عن تقاليدنا القومية كالشعور والارادة القوميين ، وأنها تمارس

صلاحياتها مهما كانت الظروف • وسوف نتولى ممارسة صلاحيات الدولة اذا اتضح لنا عجزها عن التصدى لأسباب وعناصر الفساد والقضاء عليها • سوف نحارب الدولة اذا ما سقطت فى براثن الذين يهددون حياة الأمة ويعرضونها للخطر » •

لقد تجاوزت الفاشية ثلاث لحظات حرجة فى سنة واحدة : الخلافات التى سببتها تصريحات موسولينى المؤيدة للنظام الجمهورى قبل افتتاح البرلمان بمدة بسيطة ، والأزمة التى أثارها المتطرفون عند التصالح مع الاشتراكيين، وتحول الحركة الى حزب • وعندئذ شرع الفاشيون فى الاستيلاء على الحكم قبل أن تلفظ الدولة الليبرالية المحتضرة آنفاسها الأخيرة •

وفى فبراير ١٩٢٢ أصبح فاكتا رئيسا للوزارة بدلا من بونومى • ولم تتناول حكومته أيا من المشاكل التى أدى عناد بونومى الى اهمالها • فتصاعد نشاط السكادريستى ووصل الى تعبئة آلة الحرب الفاشية كلها عند اعلان اضراب أول اغسطس ١٩٢٢ المشروع • وبرر اليسار أحداث الشغب بأنها قامت للدفاع عن الحريات السياسية والنقابية المهددة من قوى الرجعية النامية • وكانت هذه المحاولات تمثل فى الواقع قمة افلاس اليسار • اذ كانت فرصة ايقاف زحف الفاشية بتعبئة الشعب ضدها بقيادة الآرديتى مازالت مواتية ، ولكن الوضع تغير بسرعة • اذ أبدت قطاعات لها وزنها من البورجوازية استعدادها لاعتبار الفاشية المرشح الوحيد لشغل فراغ السلطة الذى خلفته الحكومات المتعاقبة وراءها ، وذلك بعد فشل بونومى فى اجراء مصالحة بين الفرقاء المختلفين • ثم بدأت مرحلة جديدة بعد سحق مقاومة العمال • فحاول موسولينى اضفاء طابع الشرعية على التفويض الذى حصل عليه من مراكز القوى وان لم يتخل عن الربط بين خطواته التكتيكية الموجهة للحكومة وعنف السكادريستى • وازداد تسليح الحزب فى الشهور التى

سبقت الزحف على روما • ويتضح ذلك من اجراءات القمع الدموية التي تعرض لها الاشتراكيون ، ومن تكثيف الحملات التأديبية التي تعرضت لهـا ترينتو وبوزن ، ومن احتلال أجزاء كبيرة في أكتوبر •

ويعترف موسوليني صراحة بطموحات حزبه حين يقول « الفاشية حشد ممتد من الطاقات المادية والمعنوية •• وهدفها بصراحة هو الحكم ، وبرنامجها هو القيام بكل ما يلزم لضمان عظمة الشعب الايطالي المادية والأدبية » • كان تاسيس الحزب الفاشي الخطوة الاولى في هذا الاتجاه ، أما الخطوة التالية فكانت تتطلب من موسوليني أن يخترع مصداقية لمشاريعه الطموحة وأن يحيط خطه السياسي المستند الى العنف باطار من الوقار • لذلك اضطر الى ابتكار سياسة خارجية خاصة ، فأخذ في متابعة وقائع مؤتمر كان باهتمام كما زار في سنة ١٩٢٢ ألمانيا التي كان موقفه منها من قبل عدائيا • وأخذ ينادى بالاقتصاد الحر في برنامجه وفي البحث عن حلفاء يعتمد عليهم في البرلمان ، فتوثقت علاقته بالقوميين كما خف توتر علاقاته بالبوبولارى • وكان أسلوبه يوحى بالثقة لقيامه بالاستجابة للحلفاء الجدد وتقديمه لهم تنازلات عديدة في النواحي الدستورية • ويقول في هذا الصدد أثناء مقابلة صحفية في ١١ أغسطس ١٩٢٢ : « ان تحول الفاشية الى دولة مسألة مفروغ منها أما قيامها بانقلاب لتحقيق هذا الهدف فمسألة فيها نظر • ومن ناحية أخرى ، بدأ زحف الفاشيين على روما من الناحية التاريخية ولا أقول من الناحية الثورية » • ويشكل تأليف حكومة فاكتا الجديدة في ٣١ أغسطس نصرا كبيرا لمهارة موسوليني التكتيكية ، اذ كانت تلك الحكومة أضعف من سابقتها • فانحرف بذلك المحور السياسي نحو اليمين بشكل واضح • وشكل فاكتا حكومة انتقالية في انتظار الخريف الحاسم الذى كان ينتظره الجميع • وتبدو كل هذه التطورات وكأنها حدثت خصيصا لتتيح لموسوليني فرصة وضع اللمسات

الأخيرة على برنامجه . اذ لم يعد هناك من شك في أن الفاشيين سيدخلون الوزارة .

واعترفت الطبقة الليبرالية الحاكمة القديمة بعجزها لاضطرارها كما يقول سالاندرا الى الاعتماد على قوة مسلحة لا تخضع للدولة لانقاذ الوطن . ولم يتبق لها سوى تحديد حجم ونوعية مشاركتها ودور موسوليني قبل أى شيء آخر .

شرع موسوليني المحاط بقلة من معاونيه وبمساعدة صديقه الوفي تشيزارى روسي وبعدم تقيده المعهود بالمبادىء في اللعب بورقته الأخيرة . وكان قد أعد في تلك الأثناء شبكة اتصالات محكمة قامت بتضليل فاكتا الذى قال له موسوليني أنه سيستمر في منصبه بعد تشكيل الحكومة الجديدة التي يدعمها الفاشيون . كما قام بعزل جيوليتي عن أخلص مساعديه بهدم مصداقية كل المرشحين المحتملين لرئاسة الوزارة . وقام بوضع النقاط على الحروف في الخطبة التي ألقاها في أوديني في ٢٠ سبتمبر ١٩٢٢ بالضمانات التي أعطاها لرجال المال والصناعة والملكية فنقل بذلك زمام المبادرة الى الملك . وأدى ما جاء في الخطبة من مطالبة باستعمال القوة ودعوة الى التعاون الطبقي ورفض صريح للنظام الجمهورى الى صعود نجم موسوليني . ويكتب الكاتب ادواردو جيريتي لجوبيتي : « اذا كان موسوليني بديكتاتوريته السياسية سيخلق نظاما يضمن لنا حرية اقتصادية أكبر من التى كنا ومازلنا نستمتع بها خلال مائة عام من حكم عصابات السوء البرلمانية ، فان خيره سيكون أكثر من شره » . بذلك يكون موسوليني قد حقق هدفه ولم يتبق سوى موافقته على عملية يقوم بها السكادريستي ـ تختلف عن تصفيتهم للعمال والمعارضة ـ وتحظى بتأييد المعسكر البورجوازى برمته . وأعلن الماسونيون في ذلك الوقت تضامنهم مع من سيقوم باضطهادهم فيما بعد .
فيما بعد .

وفى ١١ أكتوبر جرت محادثات أخيرة مع جابرييلي دانونتزيو اتخذت طابع التكريس الرسمي لزحف الفاشيين على روما ، وفى ١٦ اكتوبر تم وضع الخطط العسكرية ، وفى ٢٤ أكتوبر وافق المجلس القومى فى نابولى على العملية التى جرى تنفيذها فى ٢٨ أكتوبر فى جو من فوضى الأوامر المتضاربة . كان للزحف على روما أهمية سياسية محضة أما من الناحية العسكرية فقد اتخذ طابعا هزليا . وكان الرأى السائد الذى ثبتت صحته أنه لن تنشأ حاجة للقتال لتحييد الجيش منذ مدة طويلة . واختفت آية شكوك حول موقف فيكتور عمانويل الثالث بعد رفضه التوقيع على مرسوم اعلان الأحكام العرفية الذى عرضه عليه فاكتا اليائس والمضطرب . وفى مساء ٢٨ أكتوبر اتصل موسولينى ، الذى ظل في ميلانو من باب الاحتياط ، هاتفيا بلويجى ألبرتينى رئيس تحرير « كوريرى ديلا سيرا » ليتلو عليه قائمة بأسماء الوزراء ثم سافر فورا بالقطار الى روما . وكان سفره هو الزحف الفعلى والوحيد على روما . وتولت الحكومة الجديدة مهامها فى ٣٠ أكتوبر . وكان أعضاؤها بخلاف موسولينى الذى تولى الداخلية والخارجية من أحزاب مختلفة : ٣ من الفاشيين ، ٢ من البوبولارى ، ديمقراطيان ، قومى واحد ، ليبرالى ، مستقل ، وعسكريان . كما عرض موسولينى على الاشتراكيين جينو بالديزى لودوفيكو داراجونا مناصب وزارية . لذلك تعتبر وزارة موسولينى وزارة برلمانية ائتلافية فانتفت بذلك الحاجة الى قيام ثورة . وفى ٧ نوفمبر كتب جيوفانى أميندولا زعيم المعارضة والمعادى للفاشية : « نناشد الجميع مساندة جهود الحكومة الجديدة طالما أتجهت الى اعادة النظام والانضباط واصلاح الاقتصاد » . كانت تلك اذن مهمة الفاشية التى أسرع موسولينى فى تنفيذها . ويقول فى بيان الحكومة الذى ألقاه أمام البرلمان : « أستطيع أن أوجز السياسة الداخلية في ثلاث كلمات : التوفير والانضباط والعمل .. ان المشكلة الاقتصادية هى المشكلة الأساسية . اذ لابد لنا من اصلاح ميزان المدفوعات فى أقرب وقت

بالتوفير وترشيد الانفاق ومساعدة كل قوى الأمة المنتجة ..
والانصراف عن كل مخلفات الحرب » .

وفي ١٤ نوفمبر أوقف التحقيق مع أثرياء الحرب ، وألغى احتكار الدولة للتأمين ، وتمت خصخصة صناعة الكبريت وخدمات الهاتف . كما ألغيت على التوالى ضريبة التركات وضريبة الخمس عشرة في المائة المفروضة على الأسهم ، وضريبة الملكية . وخفضت الضريبة على مجالس الادارة ورؤساء مجالس ادارة الشركات التجاريه وخفضت ضرائب الدخل والمباني . والغيت كل القيود التى تمنع المشاريع الرأسمالية من الانطلاق .

وفي نفس الوقت تعرضت الحكومة لظروف الجماهير المعيشيه بعد ان أنهكت قدرتها على المقاومة . فبدأ الفصل الجماعى بعد مضى فترة من تثبيت الدخول فانتشرت البطالة . وفقدت الجماهير نتيجة للقمع قدرتها على التعبير عن احتجاجها بالاضراب العام أو الوسائل الأخرى .

وفي ١١ يناير ١٩٢٣ ألغى مرسوم فيسوكى الذى كان يجيز تملك الارض المهجورة عن طريق وضع اليد .

وفي ١٦ ديسمبر رفعت ضريبة الدخل على مرتبات عمال الهيئات العامه ونصف الحكومية كما تقرر فى ٤ يناير فرض ضريبة على دخول الاراضى الزراعية الامر الذى اضر بصغار الفلاحين والمستأجرين بشكل خاص . وتقرر ايضا زيادة قيمة أيجار الأراضى الزراعية التى كانت ثابتة حتى هذا الوقت ، والغيت الجمعيات التعاونيه الزراعية تم فصل ٣٦٠٠٠ من عمال السكك الحديدية .

ويبرز موسولينى بغطرسة معاداة الحكومة للعمال فى التصريح الذى أدلى به أمام مجلس الشيوخ حين يقول فى ٨ يونيو ١٩٢٣ : « ان الحكومة تطبق سياسة صارمة بل قاسية . لقد اضطررت لفصل آلاف الموظفين ومنهم قضاة وضباط

وعمال سكك حديدية وأحواض بناء سفن والذين يسبب فصلهم المعاناة والألم والقلق لآلاف الأسر • واضطررت الى فرض ضرائب أضرت يقينا بقطاعات عريضة من الشعب الايطالى •• ذلك الشعب الذى لم يملك حتى الآن وقد لا يملك فى أية يوم من الايام أبسط مقومات الرفاهية» •

وفى ٢١ ديسمبر ١٩٢٣ اخضع المركز النقابى الفاشى النقابات لسيطرة «الكونفيندوستريا» ـ رابطة رجال الأعمال والصناعة ـ بصورة نهائية وفقا لاتفاقية قصر تشيجى التى كان يفترض فيها ان تعكس روح التعاون بين الطبقات •

كانت الاجراءات السياسية والاقتصادية تمثل المرحلة الاولى من مشروع موسولينى لدمج قوى البورجوازية فى كيان سياسى موحد يخضع لسيطرة جهة واحدة مركزية توجه الحزب والحكومة والدولة • فأصبحت القضية تأسيس حزب من نوع جديد يضمن هيمنة البورجوازية على الطبقات الاخرى داخل مجتمع متماسك وفى سياق موحد ومتين • وكانت خطواته التالية موجهة ضد المعسكر البرلمانى ومؤسسات الدولة الليبرالية • لقد حرم الحزب الفاشى الاحزاب الأخرى بالفعل من القدرة على الاستمرار لاحتكاره حق تمثيل البورجوازية • وأخذ الفاشيون فى التخلص من الأحزاب المنافسة بادئين بالمنظمات التى تستند على قاعدة شعبية عريضة ـ البورجوازية الصغيرة فى المدن والارياف ـ والتى تشبه الفاشية • فقاموا فى ٢٦ فبراير ١٩٢٣ بضم القوميين اليهم فاكتسبوا عن هذا الطريق احتياطيا هاما من الموظفين الاداريين من ذوى التقاليد العريقة والذين تعود أصولهم للبورجوازية الكبيرة ، والمتمرسين فى نفس الوقت بأعمال الدوائر الحكومية ، ثم تلاهم البوبولارى الذين تعرضوا لضغوط ديبلوماسية الفاتيكان وارهاب السكادريستى • ففى الوقت الذى كان الفاشيون يحطمون فيه مكاتب الحزب الكاثوليكى فى يوليو ١٩٢٣ ، ساهمت الكنيسة فى اسقاط دون ستورتزو مؤسس الحزب وسكرتيره •

وكانت الدوائر الكنسية مدينة لموسوليني تدخله لانقاذ وضع مؤسسة « بانكو دى روما » المصرفية على نفقة الحكومة الايطالية · وكانت هذه المؤسسة تتولى معاملات الفاتيكان المالية · وهكذا وجد الحزب الكاثوليكي نفسه محروما من اى تأييد يذكر بسبب تخريب كيانه من الداخل · ولم تقم اية مشكلة في التعامل مع الأحرار وحزب الوسط لاستعدادهم للتعاون مع الفاشيين منذ مدة طويلة · أما فيما يتعلق بالمؤسسات ، فكان الهدف تقويتها بسرعة وبدون تردد لتحويل الدولة الى مركز سلطوى قمعى يساهم فى تأسيس المجتمع المتماسك الذى خطط له موسوليني · لذلك عادت نغمة استخدام القوة الى الظهور فى كلام موسوليني كما أصبح يشعر أن الحصول على التأييد مسألة ثانوية · فيقول بهذه المناسبة : « سأقوم على قدر المستطاع بممارسة الحكم بعد حصولى على اجماع رأى المواطنين ، ولكن حتى يتكون هذا الاجماع وينمو ويقوى سأحتفظ بأكبر كم من احتياطى القوة المتوفرة » · وكان قراره باخضاع الحزب الفاشى لسلطة الدولة بعيدا كل البعد عن التحول الثورى ومتمشيا مع نظريته الخاصة بالمحافظة على استمرارية المؤسسات كما كان يمثل اعترافا ضمنيا بتفوق تنظيم الدولة الليبرالية الوظيفى على زعيم « الثورة » الفاشية · ويتأكد ذلك من محتوى التعميم الصادر فى ١٣ يونيو ١٩٢٣ والذى جاء فيه «ان ممثل الحكومة الوحيد فى المقاطعات هو مدير الشرطة» ·

كانت خبرات الفاشية الأولى بالحكم خبرات ذات كوارث لما نتج عنها من فضائح هزت الثقافة فى النظام الجديد وخاصة بعد تغلغل الفاشيين فى مجالس ادارة الشركات والمؤسسات العامة وفى البنية التحتية الحكومية · وأدرك موسوليني من هذه التطورات أن الحزب الفاشى لا يستطيع الاستمرار فى الحكم بالقيادة التى أوصلته اليه · وكانت النتيجة حل السكادريستى وتحويلهم الى ميليشيا المحافظة على الأمن القومى · ويشكل هذا الاجراء ضربة قاصمة لقاعدة الفاشية

العريضة • كما خضع جهاز الحزب العسكرى لاشراف مباشر من الجيش • وبعد تأسيس الميليشيا تم احكام الربط بين الحزب الفاشي والدولة بانشاء المجلس الفاشي الأعلى الذى يقوم بالتنسيق بين قوى الفاشية المسئولة • وكان الحزب يخضع رسميا لهذا المجلس الذى كان فى واقع الأمر جهازا جامدا ومحدود الفعالية •

فليس لنا اذن أن نستغرب مقاومة كوادر الحزب الوسيطة لهذه الاجراءات ولا سيما تلك التى تهمش دور الحزب الفاشي • كما أحبطت سياسة الاستمرارية التى كان يتبعها موسوليني آمال متطرفين عديدين كانوا يطمعون فى الاستيلاء على الحكم • ولم يتمكن العنصر السكادريستى من اثبات وجوده بصورة ملموسة من الناحية السياسية ، ولكنه أثبت ولاءه وطاعته عندما قام بمساندة الكيان الفاشى المهتز أثناء أزمة « ماتيوتى » • وفى ٢٦ أبريل ١٩٢٤ أجريت انتخابات جديدة • وكان موسولينى قد قام بحل البرلمان لاحساسه بضعف التأييد الذى حصل عليه • وكان يهدف من وراء هذا الاجراء الى ضرب عدة عصافير بحجر واحد : اذ كان يريد التخلص من البرلمان المزعج الذى انتخب فى مرحلة سياسية مختلفة والذى كان عدد ممثلى اليسار فيه أكثر مما يتمنى ، كما كان يريد حماية نفسه من ضغوط المتطرفين الذين كانوا يهددون الحزب من الداخل وباستثارة مشاعر أعضائه الوطنية ، وكان يحاول فى نفس الوقت اجهاض عملية تكوين معارضة تستثمر معاناة الشعب الاقتصادية •

وصدر فى ٢١ يوليو ١٩٢٣ قانون انتخابات جديد ، عرف باسم قانون آتشربو ينص على فوز القائمة الحاصلة على ٢٥٪ من الأصوات بثلثى المقاعد المتوفرة ، فى الوقت الذى لا يزيد نصيب المعارضة من المقاعد عن الثلث مهما كانت نسبة الأصوات التى تحصل عليها • وكان هذا القانون عقابيا ومجحفا بحقوق الأقليات • ولم يمر من المجلس عند التصويت عليه الا بفضل التنازلات الكبيرة التى قدمها

البوبولارى والمحافظين فى سبيل التعاون مع الفاشية ٠ وكانت الانتخابات الجديدة فرصة لاختبار تجانس المعسكر السياسى المؤيد للحكومة ومدى تأييد جمهور الناخبين له ٠ وظهرت فى القائمة الموحدة أسماء معروفة من الليبراليين الى جوار الفاشيين ، مثل سالاندرا ونيتى وأورلاندو ودى نيكولا وجوفانيتى ٠

واتصفت المعركة الانتخابية بالشراسة وعاد عنف السكادريستى الى الظهور بصورة أعم وأشمل وكان من نتائجه ضرب أقطاب المعارضة ٠ وبالرغم من ذلك لم يحقق الفاشيون نجاحا كاسحا ٠ اذ حصلوا على ٤٨٨٤٠٠٠ صوت ضمنت لهم بفضل قانون أتشربو ٣٧٤ مقعدا (٢٦٠ للفاشيين و ١١٤ لحلفائهم) ، بينما حصل خصومهم على ٢٣٧٣٠٠٠ صوت ٠ وعند افتتاح البرلمان فى ٣٠ مايو ١٩٢٤ طالب جاكومو ماتيوتى باعلان بطلان نتائج الانتخابات واتهم الفاشيين بالتزوير واستخدام العنف ٠ وكانت تلك آخر كلمة يلقيها النائب الاشتراكى ٠ اذ قام فصيل من السكادريستى بقيادة أميريجو دومينى باختطافه وقتله فى ١٠ يونيو والتخلص من جثته التى عثر عليها فى ١٠ أغسطس فى ضاحية من ضواحى روما ٠

واجتاحت البلاد موجة عارمة من الغضب والاستنكار اهتز لها البنيان الفاشى بأسره ٠ وأصبح موسولينى معزولا بصورة مقلقة بل نفض أقطاب الصناعة الذين كان لا يتأخر عن تلبية طلباتهم يدهم منه ٠ فكتبت الكونفيندوستريا الناطقة بلسانهم فى سبتمبر ١٩٢٤ ٠

« ستقف الصناعة الى جانب الحكومة طالما حرصت الفاشية على اتباع النظام وتوفير الاستقرار والعمل المجزى بصورة معقولة ٠ أما اذا تحولت ، ولو بصورة غير مباشرة ، الى عنصر للفوضى أو تسببت فى عدم الاستقرار والمظاهرات الصاخبة والاضرابات المرتجلة ، فلن تتلقى أى تأييد منا » ٠

واتصفت تصريحات موسوليني حول الحادث في أول الآمر بالتخطيط ومحاولة الدفاع عن نفسه · فيقول : « ان الذى ارتكب هذه الجريمة الشنعاء التى أفزعتنا عدو سهر الليالى لاعداد خطته الجهنمية » · وأخذت المعارضة فى لم شملها ، وفي ١٨ يونيو تعاهدت الأحزاب والجماعات المعارضة على القيام بعمل مشترك · فاجتمع النواب المعادون للفاشية في قاعة من قاعات قصر مونتيتشيتوريو لتأسيس جبهة « الآفنتينى » البرلمانية الانفصالية لاثبات معارضتهم الشديدة للنظام · وبلغت الأزمة ذروتها عندما اتضح تورط أعلى قيادات الفاشية في الجريمة ·

وحاول موسوليني دون جدوى التضحية بمعاونيه المتورطين واستخدام أخلصهم ـ مثل تشيزارى روسى وألدو فينتزى ورئيس الشرطة دى بونو ـ كأكباش فداء · ولم يكن تصور موسوليني لمدى غضب الشعب مبالغا فيه · فأصبح معزولا لا يقف الى جانبه سوى فاريناتشي وغيره من « الصامدين » الذين اضطر للاعتماد عليهم تماما والذين انتهزوا فرصة عجز الدوتشي (الزعيم) لحثه على احياء أسطورة الموجة الثانية التى كان من المفروض أن تحول الثورة الفاشية الى أمر واقع · ولم يمنع موسوليني من الانصياع لهم لفترة من الزمن سوى بقية من حياء ·

ويروى باولو مونيللى الواقعة التالية التى حدثت في تلك الأيام : « في يوم من أيام أغسطس ١٩٢٤ جاء من بولونيا الى روما ١٥٦ سكادريستى بقمصانهم السوداء في ٣٠ شاحنة · وترجلوا عند فيللا بورجيزى ثم اتجهوا الى قصر تشيجى (مقر موسوليني) سيرا على الأقدام ·

وكان زيهم متباينا ، فكان البعض يضع طربوشا على رسه والبعض الآخر خوذة أو قبعة من المخمل · وكان البعض يرتدى سراويل الميدان الرمادية والبعض الآخر بالملابس المدنية . ولكن كان الجميع يرتدى القميص الأسود ويضع شارة الحزب ، التى اختفت من شوارع روما منذ فترة ، على

صدره . وكانوا يسيرون بخطى متئدة ووجوه عابسة تنذر بالشر خلف الـــراية التي كان يحملهـــا أركـــونوفالدو بوناكورتسو .

ودخلوا قصر تشيجي فاصطحبهم كييفوليني الى القاعة الجانبية ، مقر موسوليني كوزير خارجية في ذلك الوقت ، وكان موسوليني واقفا خلف مكتبه بوجه شـــاحب أشـــعث . فاحتضن بوناكورتسو واستدار الى الفصـــيل وسأله بصـــوت خافت متهدج عن سبب قدومه .

وكان ردهم انهم جاءوا لرفع معنوياته وارشـــاده الى مخرج من الأزمة يتفق مع روح الموجة الثانية » .

ولكن موسوليني استرد رباطة جأشـــه بســـبب ســـلبية « الأفنتين » وعدم قيام الملك باقالته كما كان يتوقع الجميع . وعادت الى بنيتو غطرسته المعهودة بالتدريج . فنجده يهدد ويتوعد في خطبته التي ألقـــاها في مونتي اميـــاتا في ٣١ اغسطس : « تأكدوا أن أحزاب المعارضـــة عاجزة تماما .. واذا ما أقدموا على التحول من الثرثرة الى الفعل ، فانني لن أتردد في أن أصـــنع منهم دريســـا نفرش به أرض خيـــام قمصاننا السوداء » . ولم ينقـــذ موســـوليني في تلك الأيام الا تأييد الفاتيكان والملك ومراكز القوى الأخـــرى . وفي ١٢ سبتمبر اغتال أحد العمـــال النـــائب الفـــاشي أرماندو كازاليني في عربة من عربات الترام في روما انتقاما لمصرع ماتيوتي . وكان هذا الفعل يمثل مبادرة ذاتية من الشـــعب احتلت مكان المعارضة الدســـتورية الســـلبية وشكلت بؤرة تستقطب قطاعات البورجوازية الصغيرة والوسطى التي خيبت خبرات الفاشية الأولى بالحكم آمالهـــا . وكان الشـــعب الذى يراقب صمت موسوليني في حيرة وارتباك يشعر بانعـــدام التوازن لعدم وجود حملة منظمة معادية للفاشية في الصحف الكبرى تقوم بتوجيهه . وعاد شبح التحول الى اليســـار الذى كان الجميع يعتقد أنه ذهب بغير رجعة في ٢٨ أكتوبر ١٩٢٢

الى الظهور • وكان الخوف من اليسارية كافيا أيضا فى هذه المرة لدفع الكتل المساندة للفاشية لحسم خلافاتها والتلاحم ، لتثبيت « الأفنتين » فى سلبيتهم واستغرافهم فى مناقشة الأخلاقيات المجردة • كما لم يحرك فيكتور عمانويل الثالث ساكنا للدفاع عن الدستور ، فعاد زمام المبادرة الى موسولينى مرة أخرى •

وازداد ضغط الفاشية الريفية على موسولينى لحمله على تنفيذ الموجة الثانية • ففى ٣١ ديسمبر قابل قناصل الميليشيا الدوتشى • وظهرت فى الصحف المعارضة للفاشية مذكرة كتبها تشيزارى روسى يتهم فيها كل كوادر الفاشية بالتورط فى قتل ماتيوتى • وحرك هذا التصريح معارضة «الأفنتين» مرة أخرى• فاحتشد الف سكادريستى فى توسكانيا استعدادا للزحف مرة أخرى على روما • وكان ٣ يناير ١٩٢٥ هو التاريخ المحدد لافتتاح البرلمان •

لقد تأثر سلوك موسولينى اثناء هذا المنعطف الخطير فى حياته السياسية بثلاثة عوامل : خوف المعارضة من ظهور موجة يسارية عنيفة ، وتأييد الفاتيكان والملكية لاستمرار النظام بصورة واضحة ، وعمليات السكادريستى العسكرية • وفى الوقت الذى كان يصدر فيه لويجى فيديرتزونى عضو الحزب القومى ورئيس الشرطة تعليماته بوضع الصحف المعارضة للفاشية تحت الحراسة ، نسب موسولينى مسئولية قتل ماتيوتى الى شخصه قائلا : « أعلن أمام هذا الجمع وأمام الشعب الايطالى أننى أتحمل بمفردى مسئولية ما حدث من النواحى السياسية والأدبية والتاريخية • فاذا كانت الفاشية عصابة من المجرمين فاننى زعيمها » • واختتم الخطبة ، بعد تحديه المعارضة بأن تقاضيه وفق المادة ٤٧ من الدستور ، بقوله : « عندما يختلف فريقان ويتشبث كل منهما بموقفه فلا حل الا اللجوء للقوة •• لقد خدعتم أنفسكم يا سادة

عندما اعتقدتم أن الغاشية قد انتهت فى الوقت الذى كنت آكبح فيه جماحها ، وباعتقادكم أنها ماتت فى الوقت الذى كنت أروضها فيــه ٠٠ ولدى القــوة لأعترف بذلك ٠ ولو أطلقت جزء يسيرا من الطاقة التى استخدمتها لكبح جماحها لرأيتم عجبا ! ولكن لم يعد ذلك ضروريا لأن لدى الحــكومة القوة الكافية لسحق تمرد «الأفنتين» بصورة كاملة ونهائية ٠ وتأكدوا أن الموقف سيتضح على كل المستويات بعد مضى ٤٨ ساعة من القاء هذا الخطاب » ٠ وبالفعل قام وزير الداخلية بعد ثلاثة أيام باغلاق ٩٥ دائرة سياسية ، وحل ٢٥ منظمة « هــدامة » ، واغــلاق ١٥٠ حانة ، وتفتيش ٦٥٥ منزلا ، واعتقال ١١١ شخصا ٠ وكانت هذه الاجراءات تعنى نهاية أحزاب المعارضة التى اختفت رسميا بعد مرور سنتين ٠

الهـــــوامش

(١) التدخليون interventionists : انصار دخول ايطاليا الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ٠

(٢) المستقبلية futurism : حركة نشأت فى ايطاليا فى حوالى ١٩١٠ فى الفن والموسيقى والأدب والسياسة تميزت بالدعوة الى طرح التقليد ومحاولة التعبير عن الطاقة الدينامية المميزة لحياتنا المعاصرة ٠

(٣) جابرايلى دانونتزيو Gabriele D'Annunzio (1863 ـ ١٩٣٨) : : ضابط وشاعر ايطالى مشهور كتب عددا كبيرا من القصـــائد والقصـص والمسرحيات التى كان بعضها باللغة الفرنسية ٠ كان من اكثر انصار دخول ايطاليا الى جانب الحـلفاء حمـاسا واشترك فى معاركها فى سلاح الفرسان ثم فى السلاح الجوى وحصل على أرفع الأوسمة من بلاده ومن فرنسا وانجلترا ٠ ظهرت ميوله القومية المتطرفة عندما زحف مع انصاره فى سبتمبر ١٩١٩ على ميناء فيومى على البحر الأدرياتى احتجاجا على قرار الحلفاء بتسليمه ليوغسلافيا واستمر فى احتلاله حتى سنة ١٩٢٠ حين قامت معركة بينه وبين الجيش الايطالى الذى أجلاه عن المدينة فى سـنة ١٩٢١ ٠ كان من مؤيدى موسولينى الذى اتخذ اتباعه القميص الأسود رمزا لهم عن انصار دانونتزيو ٠

(٤) فاشه fasce : مشتقة من كلمة فاشيو التى تعنى الحزمة أو العصبة أو العصابة ٠ ظهرت عصابات أو فاشيات فى جنوب ايطاليا وصقلية فى سنة ١٨٩٣ وأثارت القلاقل الى أن تغلبت عليها الشرطة ، كما ظهرت فاشيات اخـرى قبل فاشـية موسولينى قبل دخول ايطاليا الحرب العالمية الأولى وبعد أن هزمها النمساويون فى كابوريتو باسم عصابات الدفاع الوطنى التى اشـترك فيهـا فوضـويون وجـمهوريون واشتراكيون ٠ أما عصابات (فاشيات) نضال موسولينى فتأسست فى سنة ١٩١٩ للقيام بثورة يسارية فى البداية ثم تحولت بعد ثلاث سنوات الى منظمة يمينية متطرفة عرفت باسم الفاشية ٠

(٥) السكادريستى Squadristi : وتنطق بالايطالية سكوادريستى ومشتقة من كلمة سـكوادرو أى السرب أو الفصيل ٠ وتشير هذه الكلمة الى عصابات الفاشية المسلحة التى كانت تستخدم العنف فى ارهاب المعارضين ٠

(٦) الكوندوتييرى Kondottieri : قواد جنود مرتزقة ظهروا فى أوروبا بين القرنين ١٤ و ١٦ ٠

(٧) حزمة اللكتر Lictor's bundle-fasce : شعار قضاة الامبراطورية الرومانية الذى كان يتكون من حزمة من العصى تتوسطها بلطة ذات حدين والذى كان يحمله تابع القاضى أو اللكتر • اتخذه موسولينى شعارا للفاشية للتعبير عن أن حزبه امتداد للامبراطورية الرومانية وأمجادها • ولم تكتف الفاشية باستخدام شعار الرومان بل استعارت ألقابهم وتشكيلاتهم العسكرية مثل : قنصل وتريبونو وتشنتوريونى (قائد المائة) ••• الخ •

الفصـــل الثـالث

الحــــــكم

(١٩٢٥ ـ ١٩٣٦)

ولم يمر عــلى انتهــاء أزمة ماتيوتى العصبية الا عاما واحــدا حتى صرح موســولينى فى ١٦ نوفمبر ١٩٢٥ أن الحزب الفاشى أصبح يسيطر على الأوضاع الداخلية تماما ، وأن أية أمور أخرى غير هذه الحقيقة لا تهم الا علماء الآثار . وتتضح غطرسته من تعليماته على ما تكتبــه جبهــة الافنتين المعارضة عندما يصفه بأنه لا يساوى ثمن المداد الذى كتب به ، وأنه أطنان من ورق سطرت عليه بمشقة آلاف المقالات التى لا تجــد من يقرأها . ويقــول عن ترحيب الشـــعب باجراءات القمع العنيفة : « تشعر جماهير الشعب الايطالى العريضة بالسعادة من العودة الى استعمال الحزم لأن الشعب الايطالى ، مثل الشعوب التى تتذوق الجمال ، يحب الخطوط الواضحة ويقدر الاتساق فى التعبير . لذلك لن يتقبل هذا الشعب موسولينى اذا ما تلون كالحرباء » .

ويقــول فى يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٢٥ فى ذكرى الزحف على روما فى ميلانو : « ان النظام لن يســقط الا بالقــوة ، وان من يتصور أنه يستطيع اســقاطه بمؤامرات رخيصــة تحاك فى الظلام أو بسيل متدفق من القــاذورات المكتــوبة يخدع نفسه » . وتحول ميزان القوة فى تلك الأيام الى جانب

الكتلة المناصرة للفاشية . وكان من أهم نتائج تصفية أعداء النظام فى الداخل تحقيق النجاح على المستوى الدولى ، فأيدت الولايات المتحدة وانجلترا الحكومة الايطالية . كما ساهمت القروض المصرفية التى اجازتها أمريكا فى سنة ١٩٢٦ فى استقرار النظام السياسى وأتاحت لايطاليا فرصة الانضمام لمنظمة العملات المصرفية الغربية وللمجتمع الاقتصادى الدولى . وحققت فى نفس الوقت الحلم الذى كان يراود عناصر الرأسمالية الدينامية الايطالية منذ زمن طويل .

ويعبر موسولينى عن امتنانه للولايات المتحدة حين يقول : « الأمريكيون شعب عظيم ونظام حكمه نظام صارم بالرغم من وجود تمثال للحرية على شاطىء بلاده . فكل شىء فى داخل بلادهم يخضع لضوابط . وهذا ما يفسر تعاطفهم مع حكام ايطاليا الجدد » . وتنازلت انجلترا لايطاليا عن واحة جغبوب (المصرية) فسهلت لها رسم الحدود الليبية المصرية لصالحها . ولم تعارض الدول الكبرى أيضا معاهدة تيرانا المبرمة فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٦ والتى فرضت نوعا من الحماية الايطالية على ألبانيا . بذلك انتصر موسولينى ولكنه كان يطمع فى المزيد . اذ أصبح لزاما على الفاشية أن تبارك هزيمة اليسار والحركة العمالية وأن تنكل بطبقة عاملة فشلت فى اشعال ثورة ناجحة واكتفت باثارة فزع البورجوازية . ونظرا لحاجة العلاقات الاجتماعية التى نتجت عن نجاح الفاشية الى اطار تشريعى مناسب ، صدرت مجموعة من القوانين التى تكفل حماية النظام من أى تمرد قد تقدم عليه التيارات المعارضة . فتقدم موسولينى بمشروع قانون لمجلس النواب لتنظيم أوضاع العمل ، مدعيا أن القانون وليد مناخ سياسى ومعنوى محدد ومحصلة لنظام سياسى معين . ويقول ان القانون لا يشكل أى خطر طالما ظل النظام الحاكم بمنأى عن السقوط وطالما ظل المناخ المعنوى الذى تتنفس فيه الأمة على ما هو عليه . ويمثل هذا القانون تحرك الفاشية نحو التدخل فى التشريع . اذ كان جل

اهتمامهـا حتى ذلك الوقت ينحصر فى الجـوانب الادارية الروتينية والمشاريع الخاصة باعادة تنظيم البناء البيروقراطي وتشذيبه وفق برنامج معد منذ ١٩٢٢ • ولم يفلت من هـذه الاجراءات العشوائيـة المتفرقة الا بعض المؤسسـات مثـل القضاء الذى تركوه وشأنه لأنه كان يمثل همزة الوصل بين نظامهم والدولة الليبرالية السابقة • ولكن الفاشية سرعان ما تحولت الى اضفاء الصفة القانونية على نواياه القمعية • فألغت حقوق المعارضـة بصـدور قانـون ٢٦ نوفمبر الذى يتحكم فى حق التجمهر السياسى ، وبقانون آخر يخول للدولة حق القيام بعمليات تطهير تستبعد بموجبهـا من تشـك فى ولائهم من الموظفين وتستبدلهم بعناصر موالية للفاشية • وخلص القانـون الأول النظام من الماسـونية منافسـته فى استقطاب البورجوازية • وكان كل قانون منهما يسـتهدف كل الأحزاب غير الفاشية وعلى رأسها أحزاب اليسار ، وهى اتجاهات متفقة مع خطط موسولينى الشمولية •

كما تم اعتماد ديكتاتورية الدوتشى الشخصية بصدور قانون ١٨ نوفمبر ١٩٢٥ الذى ينص على واجبات وامتيازات رئيس الحكومة والذى تحـول منصبه الى المصـدر الرئيسى لسلطة الدولة • وفى ٣١ يناير صدر قانون يسمح للسلطة التنفيذية باصدار التشريعات • وتذرع الفاشيون بمحاولة فاشلة لاغتيال النائب الاشتراكى الأسبق زانيبونى لاصدار هذا القانون • وأصبحت قرارات موسولينى لا تخضـع لأية رقابة برلمانية نتيجة تلك القوانين ، ولم يعـد خاضـعا الا للملك من الناحية الرسمية • وكانت هيمنة السلطةالتنفيذية أمرا مألوفا فى عهد الحكومات الليبرالية السـابقة وخاصـة فى عهد فاكتا وجيوليتى مع التزامها بالحـدود التى وضعها الدستور بصورة حرفية كما جاء فى نص القانون الألبرتينى (قانون أصـدره كارلو ألبرتودى سـافويا ، مؤسس الأسرة المالكة الايطاليـــة ، فى ٤ مارس ١٨٤٨ طبق عـلى مملكة سردينيا ثم أصبح دستور مملكة ايطاليا حتى أعلان الجمهورية

في يونيو ١٩٤٦) • وحقق موسوليني رغبات من سبقوه عندما خرج على ذلك القانون قائلا : « انه ليس بالمشجب الذى يجوز لنا تعليق مستقبل أجيال ايطاليا عليه » •

ويتباهى موسولينى فى ٢١ يونيو ١٩٢١ بأنه تمكن من ترويض البرلمان وبأن السلطة التنفيذية قد أصبح لها وجود في كل مكان وأنها تمارس صلاحياتها فى حياة الامة فى كل لحظة •• وواكب تركيز السلطة السياسية فى يد واحدة من جهة أخرى ، الغاء اللامركزية وكافة أنواع الاستقلالية المحلية • فألغيت المجالس البلدية ومناصب العمد المنتخبين ليحل مكانهم عمد يعينهم الملك (البوديستا) ووسعت صلاحيات مدراء شرطة الأقاليم • وصدر فى تلك الأثناء قانون الصحافة الصارم الذى أصبح الصحفيون ينتظمون بموجبه فى رابطة مهنية ذات تركيب هيراركى جامد •

ونجا موسولينى من محاولتين لاغتياله أصيب أثناءهما بجراح طفيفة • ففى ٧ أبريل ١٩٢٦ أطلقت الآنسة الأيرلندية العجوز فيوليت جيبسون النار مسدسها عليه فأصيب بجرح سطحى فى أنفه ، وفى ١١ سبتمبر ألقى الفوضوى جينو لوتشيتى قنبلة بدائية على حرس الرئيس • وكلفت المحاولة الثالثة الغامضة لاغتياله شابا بريئا اسمه أنتيو زامبونى حياته عندما انقض عليه السكادريستى فى التو ومزقوه اربا ظنا منهم أنه الجانى • واستغلت هذه المحاولة الاخيرة لدعم جهاز النظام القمعى • ففى ٩ نوفمبر أعلن بطلان حق ١٢٣ نائبا من نواب المعارضة فى الاحتفاظ بمقاعدهم فى البرلمان ، وفى ٢٥ نوفمبر صدر قانون « حماية الدولة » الذى ينص على توقيع عقوبة الاعدام على من يحاول اغتيال رئيس الحكومة • وبناء على ذلك تم تشكيل محكمة خاصة من قضاة عسكريين للنظر فى جرائم معاداة الفاشية ، والتى يصفها موسولينى بقوله : « أود أن أضيف أن المحكمة خاصة كما أسماها القانون ومكونة من شخصيات

فوق مستوى الشبهات اخترتها بنفسي » • وأعيد تشكيل جهاز القمع لرفع كفاءته في سنة ١٩٢٧ وذلك لتوفير الوسائل التي تضمن تنفيذ التشريعات الجديدة ، فأصبح ارتورو بوكيني رئيسا للشرطة التي بلغ عدد أفرادها ١٠٠٠٠٠ ، كما أصبح بوكيني موجه موسوليني الخفي • وكانت كل هذه التغيرات الأسس التي قامت عليها الأوفرا Ovra شرطة النظام السرية السيئة السمعة •

انتهت مهمة العنصر السكادريستي بعد كل تلك الخطوات وان استمر في ممارسة أنشطته الارهابية طيلة سنة ١٩٢٥ ، وأصبحت « اعادة الأمور الى طبيعتها » من اختصاص الشرطة • ويشير موسوليني الى ذلك حين يقول : « كان السكادريستي مجرد أداة من أدوات الفاشية وتشكيلا من تشكيلات الحزب وجانبا من جوانبه في مرحلة تاريخية معينة ولم يكونوا أكثر من ذلك في أى وقت من الأوقات» • وعين روبرتو فاريناتشي المتطرف سكرتيرا للحزب في ١٢ فبراير ١٩٢٥ • وكان توليه هذا المنصب مكافأة له على دوره الحاسم أثناء أزمة الأفنتين العصيبة ، كما كان مناورة تكتيكية بارعة في نفس الوقت للسيطرة على ميوله التآمرية القوية بتقييده بمسئوليات المنصب بحيث يحتكر لويجي فيديرتزوني وزير الداخلية تنفيذ الاجراءات القمعية الموجهة الى قوى المعارضة • وكان منصب سكرتير الحزب آنذاك مجردا من آية استقلالية ذاتية • فقد أصبح الحزب حزبا موحدا قولا وفعلا، اذ انصرف منذ مدة طويلة عن محاولة اعداد الكوادر القيادية لأن النظام كان يفضل الاستعانة بشخصيات الدولة الليبرالية القديمة السياسية • وكان الحزب قد استقر على ادارة شئونه التنظيمية عن طريق الاجماع لذلك أصبح لزاما عليه القضاء على كل خلافات جدلية داخل صفوفه حتى ينجز تلك المهمة بكفاءة • ففى قانون انشاء مجلس الفاشيين الأعلى الجديد والصادر فى أكتوبر ١٩٢٦ لم يرد ذكر لأى مناصب تشغل عن طريق

الانتخاب . وأدى أسلوب شغل المناصب بالتعيين حسب الأوامر الصادرة من الجهات العليا الى استقرار الحزب ولكنها أصابته في نفس الوقت بالشلل السياسى . وبعد استقالة فاريناتشى المتوقعة فى ٣ مارس ١٩٢٧ ، أصبحت تصفية الكوادر القديمة والعدول عن اعداد غيرها أمرا مفروغا منه . وكان « منع تسييس الحزب لمنع تسييس المجتمع » شعارا لبرنامج أيده موسولينى أثناء انعقاد المؤتمر الفاشى فى روما فى ٢١ يونيو ١٩٢٥ . ويعلق على المؤتمر قائلا : « لقد انتهى المؤتمر قبل ان يبدأ لان الحزب أصبح أمام الأمر الواقع ومتماسكا ككتلة من الصخر بصورة لم يسبق لها مثيل ، فكنت أضطر الى دفع الأعضاء للصعود الى المنصة لعزوفهم عن الكلام » .

لقد تركت القوانين البوليسية ووحدة الحزب بصماتها على نظام موسولينى الشمولى فى الوقت الذى اتجهت فيه جهوده القمعية لتوسيع نفوذه الى ضرب الطبقة العاملة . فقد اضطر العمال الى تقبل تخفيضات كبيرة فى أجورهم عندما واصلت الفاشية هجومها على ما تبقى من حقوقهم النقابية بعد اضطرارها تحت ضغط الضائقة الاقتصادية الى تخفيف ليبراليتها الاقتصادية الأصلية . فهاجم المجلس الفاشى الأعلى فى بيانه اشتراك النقابات الفاشية فى اضراب ميلانو فى ٢٤/٢٥ ابريل ١٩٢٥ . وكانت الكونفيندوستريا ، كبرى رابطات رجال الصناعة ، قد اعترفت بها ممثلا وحيدا للعمال فى اتفاقية قصر فيدونى فى ٢ أكتوبر ، وكان الثمن الباهظ الذى دفعته النقابات فى مقابل هذا الاعتراف هو الموافقة على الغاء لجانها الداخلية . ففقدت النقابات بتنازلها عن هذا الانجاز الهام الذى حققته الطبقة العاملة وسيلة تواجدها الوحيدة المنظمة فى داخل المصانع فدمرت بيديها وزنها التفاوضى . وفى ٦ أكتوبر كلف المجلس الفاشى الأعلى محكمة خاصة بالبت فى المشاكل النقابية ، ونظمت هذه المسألة بصورة نهائية بصدور قانونين فى

أبريل ويوليو ١٩٢٦ حرما الاضراب والاعتصام فجردا عن هذا الطريق الصراع الطبقي من أهم أدواته . وفي نفس الوقت زاد عدد ساعات العمل الى تسع بينما وصلت زيادة المرتبات بالنسبة لنفقات المعيشة الى مستوى يقل مائة نقطة عن ماكان عليه قبل الحرب .

ونظرا لعدم خضوع زيادة الاجور للتسوية عن طريق تفاوض الفرقاء بعد التغيرات السابقة ، أصبحت تلك الزيادات تعتبر هبة أو منحة من الحاكم . وبعد زيادة مرتبات الموظفين أعلن موسوليني بحبور : « ان سلوك الموظفين - كما كان وكما سيظل دائما - يبعث على الارتياح لأن من يخدمون الدولة يعلمون ولابد لهم ان يعلموا ، وأكرر ذلك مرة أخرى ، ان القلاقل هى أفضل وسيلة لعدم حصولهم على ليرة واحدة . لقد ولى عهد الشغب والمشاغبين وتكرار القلاقل بصورة مستمرة » . وأخيرا صدر قانون « بطاقة العمل » الوثيقة النقابية المركزية الفاشية العقائدية التى تمثل محاولة وقحة لانكار الليبرالية والاشتراكية والمطالبة بمساواة العمال برأس المال فى نفس الوقت . ويكتب موسوليني فى مايو ١٩٢٥ فيقول : « لا تعتبر النقابية الفاشية رأس المال عنصرا ينبغى كبته لأن ذلك مستحيل وغير معقول من الناحيتين العملية والتاريخية ، بل انها تنظر اليه على أنه عنصر حر قابل للتشكيل والتوسع » . ويمثل هذا الكلام نموذجا لتصوره عن التعاون الطبقي الذى استمر فى تأكيده استنادا على خبراته السابقة بالعمل النقابى وتمكنه من هذا الموضوع . فيقول : « ليس ثمة مشاكل نقابية هامة لم تسبق لى دراستها وحلها أيضا فى بعض الأحيان » . الا أن تأييده للنقابية القومية كان وثيق الصلة باحتقاره للجماهير كما يتضح من قوله فى أسف : « ان الطبقات المتدنية الملتصقة بالأرض والتى تمنعها بدائيتها من تقدير مزايا ما يسمى بوسائل الرفاهية الحديثة هى أكثر الفئات التصاقا بوطنها » .

وتبرز هذه الاشارات اللفظية القليلة لخبراته النقابية جوانب جديدة من شخصيته بصورة أوضح • لقد أصبح موسوليني اقوى السياسيين الذين عرفتهم ايطاليا المتحدة في تاريخها بحكم مناصبه كرئيس للحكومة او كوزير للداخلية والخارجية وكقائد للجيش والطيران والبحرية ورئيسا للحزب وزعيما للفاشية • كما أصبح قادرا على تصوير نفسه كمؤسس سلطة استبدادية جديدة وديكتاتورية أثبتت وجودها كما فعل في خطبته في ٢٧ مايو ١٩٢٧ بمناسبة صعود المسيح ، فيقول : « لقد أخرسنا كل صحف المعارضة وقمنا بحل كل الأحزاب المعارضة للفاشية ، وأنشأنا شرطة خاصة لكل منطقة ومكتبا للاحقة المطلوبين لمعاداتهم للنظام ومحكمة خاصة تؤدى عملها بصورة ممتازة » •

لقد أصبح موسوليني رئيس دولة بلا منازع ولكنه لم يكن قائد ثورة ناجحة وهو ما كان يطمح في الوصول اليه في شبابه • اذ أعاد نظامه التوازنات القائمة بين القوى المحافظة القديمة على مستوى سلطوى بالاضافة الى ما تضمنه من عناصر رجعية ، كما نجح في رتق الشقوق التى تركها الصراع الطبقي في ثوب الدولة الليبرالية القديمة المهلهل ولكنه لم يتمكن من تغيير القالب الثابت الذى كان يحدد كل قراراته الاقتصادية او تلك الخاصة بالمؤسسات والذى أسسته مراكز القوى القديمة والذى تعود أصوله الراسخة الى ما قبل ظهور الفاشية واستمر حتى بعد أفولها • كما تواءمت الفاشية مع الدولة مثلما فعلت في مرحلة سابقة مع توازن قوى الطبقات بتوطيدها لسيطرة البورجوازية •

وتقبلت استمرار الملكية وتجنبت المساس بالكنيسة الكاثوليكية وهاتان المؤسستان تمثلان استمراريتها مع الدولة الليبرالية القديمة • ولم تقترب طموحات الفاشية الشمولية من عتبات هاتين المؤسستين ولم تحاول التعدى عليهما في أى وقت من الأوقات •

ولم يفكر النظام الفاشي في يوم من الأيام في التعرض لسلطة الفاتيكان الدنيوية حتى يضمن رفع شأنه في داخل البلاد وعلى الصعيد العالمي ، ولرغبته في الحصول على اعتراف الفاتيكان بالنظام الذى فشلت كل حكومات ايطاليا الليبرالية في الحصول عليه منذ ١٨٧٠ ٠ وبدأت بالفعل مفاوضات بهذا الخصوص منذ سنة ١٩٢٦ ٠ وكان موسوليني يتابعها بصفة مستمرة وشارك في مراحلها النهائية بشخصه ، وتحمل مسئولية التنازلات الهامة التى حصل عليها الفاتيكان والتى كان من ضمنها الاتفاق مع البابوية الذى وصفه موسوليني بالمسئولية الجسيمة التى تنظم علاقات الماضى والتزامات المستقبل والتى احتكم فيها لضميره ليدله على الطريق الصحيح بعد تأمل عميق لأنه لم يجد في نفسه الجرأة على أن يطلب النصح من أحد ٠

وتحقق الهدف أخيرا بتوقيع مواثيق اللاتران في ٢١ فبراير ١٩٢٩ فأصبح بوسع موسوليني أن يصف نفسه برجل الدولة الذى تمكن من حل المعضلة الرومانية القديمة ٠ وأطلق عليه البابا صفة غير مألوفة عندما سماه «رجل القدر» ٠ ورد موسوليني له المديح عندما قال : «لقد أسعدنا الحظ بالتفاوض مع بابا ايطالى أصيل » ٠ ولكنه عاد واستباح لنفسه الهجوم على البابا بعد النقد الشديد الذى وجه للمواثيق ، فيقول : « اننا يا سادة لم نحى البابوية بل دفناها ٠٠ فاذا كانت الدولة الفاشية كاثوليكية الملة فهى فاشية أولا وأخيرا وحتى النخاع » ٠ ولا شك أنه كان يهدف من هذا الكلام الى ارضاء أجنحة النظام المعادية لرجال الدين ٠ وكان يحس أنه توصل بهذه الاتفاقيات الى حل وسط مفيد فيقول : « ان الحديث عن غالب ومغلوب في المحادثات أسلوب صبيانى ، فدعونا نتحدث بدلا من ذلك عن أوجه العدل والانصاف في هذه الاتفاقيات » وكان قد عقد العزم على استغلال المواثيق لصالحه بمجرد ظهور فرصة مناسبة ٠ وأجرى في ٢٤ مارس استفتاء قوميا بدلا من

الانتخابات لاعادة تشكيل مجلس النــواب الفاشي . وكان المطلوب من الجمهور التصويت بنعم أو بلا على قائمة موحدة لكل ايطاليا تشمل ٤٠٠ مرشح قام المجلس الفاشي الأعــلى باعدادها . وينبه موسوليني الشعب عشية اجراء الاستفتاء قائلا : « سيجرى الاستفتاء في حرية مطلقة .. ولست بحاجة لأن أذكركم أن الانسان يستطيع تكريس ثورة بالاســتفتاء ولكنه لا يستطيع اسقاطها عن هذا الطريق أبدا » . وكانت النتيجة ٨ر٥١٧ر٨٣٨ صوتا مؤيدا و ١٣٥٧٧٣ صـــوتا معارضا بفضل تزكية الكنيسة « لرجل القدر » .

وتجنب موســوليني أيضــا أى صدام مع الملكية التى عاشت لمدة عشرين عاما من الحكم الفاشي في وضع ســياسي هلامي دون أن يتعرض أحد لتلك الثنائية الى أن قضت نحبها في ٢٥ يوليو ١٩٤٣ (عندما عزل الملك موسوليني) . ولكن كانت قد توترت في ٩ ديسمبر ١٩٢٨ عند صدور القانون الخاص بتحويل المجلس الفاشي الأعلى الى مؤسسة دستورية . وكان اصــلاح البرلمان يتطلب تكليف هــذا المجلس باختيار ٤٠٠ مرشح للقائمة الموحــدة ، الأمر الذى كان يعنى في واقع الأمر اختيار ٤٠٠ نائب برلماني . وكانت هذه المهمة الدستورية من الخطورة بحيث اقتضت اصدار سند تشريعي . وكان ذلك يعني أن يكون للمجلس الأعلى رأى مسموع عنــد اختيار ولى العهد ورئيس الحكومة . فأثار هذا التدخل غــير المألوف في شئون الأسرة الحاكمة حفيظة فيكتــور عمانويل الثالث ، مع أن المسألة كانت مجــرد توزيع اختصاصات من الناحية الشكلية على مجلس أخــذ في فقــدان أهميتــه في تخطيط أسس النظام التنظيمية . ولم تصب الملكية بســوء من جراء هذا القانون واستأنفت تعايشها مع الفاشــية في سلام . ومدح موسوليني الملك عندما بلغت الأزمة أشــدها لتصرفه اللبق عندما قام باشعال مصباح نذرى في كنيســة الفاشي ببولونيا تحية لذكرى شهداء القمصان السود .

تركزت جهود موسوليني بعد توصله الى تسوية مؤقتة مع الفاتيكان والملكية على القيام باصلاحات أصبح السكوت عليها مستحيلا بسبب الأزمة التى مرت بها ايطاليا بعد الحرب • فيقول فى ٢١ يونيو ١٩٢٥ « لقد صوتنا على قوانين الفاشية وحماية الدولة وجاء الآن دور قوانين الابداع والبناء » • وهو وعد لم يتمكن من تحقيقه أبدا •

تضافرت عوامل سياسية وعقائدية وشخصية فى تبديد طموحات موسوليني الثورية ورغبته فى التجديد كما أصاب التصاقه الشديد بالسلطة شخصيته فى مقتل لأنه أصبح أسيرا لجهازه الادارى كما حطمته الآلهية التى فرضها على تصرفاته والتى لم يعد قادرا على السيطرة عليها • وسلبه اندفاعه فى التجاوب مع أساليب النظام الدعائية المتكلفة وما احتوت عليه من تهويل حيويته الفطرية التى كانت من أبرز خصائصه أيام نضاله السياسى • فأصبح لا يعبر عن ذاته الا فى أمور فرعية مثل التكتيك اليومى وفيما يسمى بالأسلوب الفاشى • ويؤكد اهتمامه غير العادى بالمشاكل الصغيرة والمنافسات الاقليمية حاجته لاثبات ذاته الذى كان يجد فى مثل هذه الصغائر متنفسا لها • وكان موسولينى يتباهى بذلك علنا كقوله أثناء اجتماع النظام الذى كان ينعقد كل خمس سنوات : « يستغرق التشريع وانشاء المؤسسات الجديدة وادارتها جزء من الجهد الذى أبذله •• وهناك جهود أخرى لا يعرف عنها الكثيرون شيئا •• فقد أجرى مثلا ما يزيد على ستين ألف مقابلة ، كما درست ملفات ١١٨٨٧ مواطنا وصلت سكرتارية مكتبى مباشرة » • كان يحاول بمثل هذه الجهود استعادة البعد الانسانى لصورته الذى يعترف بفقدانه • فكان يعيد كتابة نفس خطبه بصورة آلية كما يعترف فى نفس الخطبة السابقة : « لقد قمت بضبط محركى الداخلى وتقنين أداءه وتجنب كل ما يضيع الوقت بقدر المستطاع •• اذ لابد من انجاز الأعمال الروتينية بصورة آلية » •

وبالاضافة لذلك جردت الدعاية صورة موسوليني أيضا من صفاتها الانسانية بعد أن أصبح رمزا لسلطة لم يكن يملك سوى جزء منها · اذ كان وجهه العابس بنظراته الجامدة يطل على الجميع من كل الصحف والجدران بصورة نمطية لوضعه في قالب رجل الدولة الآلي ·

وكان نفس الأسلوب النمطي يتبع في خلق أسطورته باظهاره في أدوار مختلفة فنراه تارة في دور الطيار وتارة أخرى في دور دارس القمح أو الكوندوتييرى أو الاديب أو الفيلسوف أو الرياضي ·· الخ ·

وكان يأخذ كل هذه الأمور بجدية مفرطة دون نقد أو سخرية من ذاته · فيضع على رأسه قبعة قبيحة مفرطحة أو يرتدى ملابس عامل منجم غير متناسقة أو يسمح لهم بالتقاط صورته وهو عارى الصدر أثناء درس القمح فى مستنقعات البونتين لمجرد الاستعراض واستغلال سذاجة الجماهير ·

وكان يدرك في البداية خطورة الانصياع لمثل هذه الحركات المسرحية كما يتضح من قوله : « انني لا أريد أن يضعوني قبل الأوان في عالم غيبي محاطا بأساطير غامضة أو كاذبة أو تقليدية » · ولكن دفعه افتقاده للدافع الثورى وأنانيته البورجوازية وافلاسه الثقافي الى الاستسلام دون مقاومة لعبادة شخصه الذى زاد مع انحطاط شأنه تجسيده لنظام قمعي بوليسي · ويتضح ما سبق في ندائه لمؤتمر روما في سنة ١٩٢٥ : « كنت قد طلبت منكم منذ أربع سنوات أن تكفوا عن التعلق بشخصي ، ولكن ذلك يبدو الآن مستحيلا لأن كل حركة سياسية عظيمة تحتاج الى من يمثلها والى من يستشعر حماسها ويحمل شعلتها » ·

ومن المؤكد أن موسوليني كان يفضل الشق الأول من ثنائية « موسوليني ــ الفاشية » لأنه كان يعتبر الفاشية أداة ثانوية مهمتها الأساسية تخليد أسطورته · وكان يكرر كثيرا أن استمرار الفاشية أمر محتوم بل انه كان يتنبأ بمدة

استمرارها عند قوله : « كنت فى البداية أقول : ان الفاشية ستستمر ستين عاما ، أما اليوم فأقول بكل ثقة : ان القرن العشرين سيكون قرن الفاشية » . وكان استمرار الفاشية الذى يشير اليه ينطبق على شخصه فى واقع الأمر . اذ لم يفكر فى يوم من الأيام فيمن سيخلفه على رأس النظام بل انه كان يحبط كل محاولة داخل الحزب للتوصل لاختيار محتمل . وذلك لشعوره بأن نظامه وليد ظروف فريدة لن تتكرر ، ويبدو أنه كان قد اختار فى لا شعوره الملكية للقيام بهذه المهمة ، وهذا ما حدث بالفعل فى ٢٥ يوليو ١٩٤٣ عندما أثبتت أنها المؤسسة الوحيدة القادرة على الاستمرار .

ويقول موسولينى فى خطبة له بمناسبة عيد صعود المسيح الى السماء : « لابد لى من الاستمرار فى حكم ايطاليا عشرة أعوام أخرى لأن خليفتى لم يولد حتى الآن » .

وليس لنا أن نعجب لهذا الكلام فقد كان وجود مثل هذا الخليفة مستحيلا ! ويوضح خطاب فاريناتشى (سكرتير الحزب) لموسولينى فى ٢٢ يناير ١٩٣٣ هذه النقطة من قوله : «ان الدولة اليوم يا سيادة الرئيس ليست سوى الايمان بموسولينى لأننا لم نصل الى المرحلة التى تمنح فيها الدولة القوة للانسان بل مازال الانسان هو الذى يمنح الدولة قوتها . ولنا أن نتصور ما يمكن أن يحدث لو اختفى هذا الانسان » .

وكان تصور موسولينى الشخصى لدوره يدفعه الى اضعاف مجموعات الفاشية القيادية باستمرار مما أفقد الحركة أفضل عناصرها . كما كان يرتاب فى كل منافس محتمل ، لذلك اختفى عند تغيير الحرس القديم فى سنة ١٩٣٢ كل من ايتالو بالبو وديتو جراندى كما اختفى من قبلهما فاريناتشى ومن بعدهما ألفريدو روكو مؤسس التشريع الفاشى الذى قدم لموسولينى خدمات لا تقدر بثمن . ولم يواكب اختفاءهم بناء كوادر فاشية جديدة .

وكان تدخل موسوليني في خلافات مرءوسيه في الحزب أمرا مألوفا ، اذ كانت هذه الخلافات التي سرعان ما تحولت الى تصفية للحسابات الشخصية كل ما تبقى له من صور النضال السياسي .

وكان الخلاف ينتهي دائما بهزيمة أحد الخصمين بأمر من موسوليني الذي كان ينتظر حتى ينهك كل من الطرفين الآخر وحتى تخور قواهما وتنهار قدرتهما على الجدل . ثم يصدر قراره في تلك اللحظة لمجرد تأكيد للأمر الواقع فيشعر المنتصر بسعادة لا تستمر طويلا . فعلى سبيل المثال عندما اختلف فاريناتشي سكرتير الحزب مع لويجي فيديرتزوني وزير الداخلية في نهاية العشرينات حول دور كل من الحزب والدولة في ادارة الصراع مع المعارضة ، انتصر وزير الداخلية ولكن موسوليني دفع فيديرتزوني الى ترك منصبه بعد مضى بضعة شهور على استقالة فاريناتشي من سكرتارية الحزب .

والمثال الآخر لخلاف نشأ في سنة ١٩٢٧/١٩٢٨ بين الجنرالين بادوليو وكافاالليرو بخصوص مواضيع عسكرية وانتهى في البداية بهزيمة بادوليو الذي عين في وظيفة قائد الأركان الثانوية ، وفي نوفمبر ١٩٢٨ أجبر موسوليني كافاالليرو الذي حصل على لقب كونت على الاستقالة من منصبه كوكيل لوزارة الحربية .

وكان ينظر بعين الرضا لهذا النوع من الخلافات الذي يؤكد أهميته ويرفع من شأنه وان أضعف كفاءة قيادة الجيش العليا على القيام بعملها . وكان يتباهى بالفظاظة التي يحسم بها هذا النوع من الصراع على السلطة ، ويصف شعوره حين يقول : « انها قرارات لا يتخذها أحد غيري لذلك لا يستطيع أي انسان أو حتى أطراف النزاع أنفسهم ، الذين تسعدهم المفاجأة حتى لو

أدت الى تركهم لمناصبهم ، التنبؤ بها » • ويستعرض فى نفس الوقت براعته فى الوساطة ومهارته فى رأب الصدع •

وكان عدم سماح موسولينى بظهور الرأى الآخر وتشجيع الحوار مثل قادة الثورات الكبار هو العائق الأساسى أمام تحقيق طموحاته الثورية المحبطة • اذ كان يحافظ بحرص شديد على السلطة التى استولى عليها ويمارسها بحذر أشد • كما كان يكره الخلافات السياسية والعقائدية على عكس قادة الثورات الأصلاء • وكان ذلك بالاضافة الى فرديته السبب الرئيسى فى أن يفقد النظام الفاشى أى طابع سياسى الأمر الذى أصبح من سمات ذلك النظام • وكان موسولينى يريد الانحطاط بالحزب بحيث يصبح مجرد أداة لتنفيذ رغبات النظام ، فيصف مهمة الحزب « بأنها رسالة تبشيرية أكثر من كونها ممارسة للسلطة » فى خطاب تكريم الحزب الفاشى الذى كتبه تابعه المخلص أوجوستو توراتى ثم يذكر السامعين فى نفس المناسبة « بأن الحزب بجمهور أعضائه يؤيد سلطة الدولة بمحض ارادته ويؤمن بها ايمانا مطلقا » • وكان توراتى وجوراتى وستاراتشى الذين تولوا سكرتارية الحزب طيلة العشرينات شخصيات تافهة خانعة توافق على كل ما يقوله • ولم يكن موسولينى يفوت فرصة اظهار خنوع من يدورون فى فلكه كقوله : « ان الرفيق توراتى يحضر الى كل صباح لتلقى الأوامر » • ويبدو أنه لم يفطن الى ضعف الأسس التى كان يبنى عليها قراراته الا بعد أن اتضحت السهولة التى أطاح بها الانقلاب الملكى بالفاشية فى ٢٥ يوليو ١٩٤٣ •

وكان لانصرافه عن السياسة عواقب وخيمة ، فيكتب أوجو أوجيتى فى يومياته فى ٧ يوليو ١٩٢٩ ويقول : « ان بالبو يتباهى بأنه كف عن الحديث فى السياسة وأنه لم يعد يهتم بها وأنه يدع الآخرين يفعلون ما يريدون لأنه أصبح لا يهتم الا بالطيران المدنى » • ويعكس هذا الكلام

الشعور بخيبة الأمل الذى انتشر بين قيادات الحزب والأعضاء العاديين على حد سواء . وكان استبعاد الحوار الحر من السياسة يمنع الطبقة الحاكمة بالرغم من احتكارها للسلطة من اتباع سياسة بالمعنى المفهوم . ان من يطلع اليوم على أرشيف سكرتارية موسولينى الخاصة يجد أدلة تاريخية لا تحصى على ملامح النضال السياسى الذى كان يمارس فى عهده ، والذى كانت المؤامرات والابتزاز هى وسائله والصالونات وقاعات انتظار مكاتب الوزراء هى ساحته ، والتشنيع وترويج الاشاعات الكاذبة هى أهدافه . وكان موسولينى يستغل هذه التجاوزات ويغذيها أيضا حتى يثبت نقاء شخصه . وكانت تلك أمورا طبيعية فى ظل خط سياسى فشل فى اقامة علاقة بناءة مع الجماهير .

وساعد فى تحقيق دوافع سياسته الجماهيرية الانتهازية جهاز الدعاية الجبار الذى برز نشاطه أثناء أزمة سنة ١٩٣٠ الاقتصادية العالمية بشكل خاص حتى يستعيد تأييد الشعب الذى زعزعته رؤية ضحايا الأزمة الاقتصادية من أبناء الطبقة العاملة . ويدعى موسولينى فى ديسمبر ١٩٣٠ « أن من حسن الحظ عدم تعود الشعب الايطالى حتى الآن على تناول أكثر من وجبة فى اليوم ، وأنه لا يشعر بالحرمان مثل غيره لتواضع مستوى معيشته .. وأن الطبقات الغنية وحدها هى التى لا تكف بأنانيتها البشعة عن الصراخ والعويل لأنها لا تملك الا سيارتين » . وفى نفس ذلك الوقت توالت نداءاته بتطهير الحزب من فلول الليبرالية وأصحاب المهن الحرة من البورجوازية ، فيكلف سكرتير الحزب جوراتى بالتخلص من هذا العبء الذى لا فائدة من ورائه والذى يعوق مسيرة الحزب .

وتكررت التجمعات العملاقة والمظاهرات فى ساحات تزدحم بالناس ، والتى لم تكن تعبيرا صادقا عن مشاركة الجماهير بل بايعاز من النظام الذى كان يحاول توفير مناخ

من الحماس المصطنع ويستعمل الجماهير كمجرد أدوات طيعة في يده *

وفي نفس الوقت اكتفت بعض الطبقات ـ وعلى رأسها الطبقة العاملة ـ باتخاذ موقف المتفرج ، الأمر الذى دفع موسولينى الى القول فى خطبة له بمناسبة صعود المسيح الى السماء : « لن ننساق وراء أوهام مبالغ فيها عن دور عمال المدن ٠٠ فمعظمهم يكتفي بالابتعاد لأنه كف عن عدائه السابق للنظام ٠٠ انهم يمتنعون عن المشاركة ٠٠ لذلك علينا ترك مهمة التخلص منهم للطبيعة التى ستتولى تصفية ذلك الجيل من المكابرين الذى عجز عن استيعاب دروس الحرب والفاشية » ٠ واذا كان موسولينى قد فوض أمر الطبقة العاملة للطبيعة وقوانينها فان ذلك لم يمنعه من حشد كل أجهزة النظام لاستمالة الجماهير بالاتجاه الذى يريده ، ولكنه لم يحقق أيضا من هذه الناحية سوى نتائج هزيلة وخداعة ٠

ويقول المؤرخ المعاصر جيدو كواتزا : « لا تشكك شهادة الذين عاصروا تلك الأيام وحدها فى صدق تجاوب السواد الأعظم من الجماهير بل انه كان فى رأيى يمثل صدى ايجابيا لأبواق الدعاية وان خلا من الحماس ، كما كان يعتمد على طريقة برمجة ونوعية أدوات الدعاية واستخدامها بصورة شبه يومية للتأثير على الرأى العام بأكبر قدر ممكن من الفعالية بهدف استحداث تجاوب سلبى واستسلام خانع لها مع تجنب اثارة أية مقاومة تذكر » ٠

وكانت تلك الأدوات كثيرة وتستخدم بسخاء ، ونذكر منها : الشرطة السرية (الأوفرا) ، وزارة الثقافة الشعبية ، الميليشيا ، أساتذة الجامعات ، الحزب والصحافة ٠

ويشرح موسولينى وجهة نظره لأصحاب الصحف قائلا : «تجنبوا الكتابة عن كل ما يضر النظام واكتبوا عن كل

ما يخدمه .. الصحافة تخدم النظام عندما تساهم من خلال عملها في كل ما يؤيده ويحافظ عليه » ثم يختم الخطاب بخلاصة كاذبة وقحة عندما يدعى أن « الصحافة الايطالية صحافة حرة لأنها تخدم نظام واحد وتدافع عن قضية واحدة » . ويطالب المدارس بأن تجسد كل ما يتعارض مع عيوب الشعب الايطالى كالسطحية والاستخفاف والمبالغة فى التفاؤل ، ثم يخاطب اتحادات الطلبة قائلا : « انكم لا تنهلون من فيض العلوم الكبيرة والصغيرة فحسب بل انكم مبشرون وكهنة ورجال تقع على أكتافهم أخطر المسئوليات وهى دراسة آليات عمل الفكر والضمير والوجدان » .

وكانت كل الأدوات السابقة تعمل بمعزل عن بعضها فى الوقت الذى كان يستحدث فيه بقيادته المركزية والفردية تغييرات مفاجئة ، ويقود حملات سياسية قصيرة الأجل ، ويتبع سياسة تنقصها الاستمرارية ، مثل « معركة توفير الحبوب » و « مشروع استصلاح جميع الأراضى » و «مشروع تجميل روما » و « معركة السياسة الجماهيرية » . وانكمش أفق موسولينى السياسى لقصور مرونته العقائدية وميله للانتقائية كما يتضح من قوله : « تكمن قوة الفاشية فى قدرتها على استخلاص جوهر البرامج المختلفة وتمكنها من تطبيقه » . فقام من هذا المنطلق بسلب عناصر عقائدية مبدئية من كل طبقة من طبقات المجتمع على حدة وفعل نفس الشىء مع القوى السياسية التى كانت تمثل هذه الطبقات قبل ظهور الفاشية .

ولم يكن فيما فعله أية أصالة أو تجديد بل كان مجرد دمج سياسى لعناصر منفصلة عن بعضها من الناحية الاجتماعية . وكانت القاعدة التى التزم الجميع احترامها « أن يلزم كل فرد مكانه » وذلك بهدف شل الجماهير واتاحة فرصة استكمال البورجوازية الكبيرة لبسط نفوذها على نظام منغلق سياسيا وذى تركيب هيراركى متماسك . وتمثل الهيراركية مفهوما يتكرر ظهوره فى صورة العقيدة

الفاشية العالمية كنقيض لقاعدة المساواة الشيوعية التى يصفها موسولينى فى ٢٠ مايو ١٩٢٥ بالفشل التام لتعارضها مع الحياة والتاريخ بل ومع الطبيعة نفسها التى تتصف بعدم المساواة ، ثم يتبع هذا التنكر لقيم الطبقة العاملة برفضه للثقافة والتقدم أو بمعنى أصح بمحاربة كل القيم ذات الأصول البورجوازية الاجتماعية التى قد تمثل خطر انحلال ديمقراطى ، وذلك لتعارضها الاستراتيجى مع حاجة البورجوازية الى اعادة توحيد الطبقات الذى كانت الفاشية تؤيده أيضا ٠

وكان موسولينى يرفض المثقفين تماما والذين يقول عنهم : « اذا كان لابد للمثقفين من استعمال ما تعلموه فى الجامعات ، واذا لم يكن لديهم ما يفعلوه سوى تجريح ونقد ما قد ينقد فى حركة معقدة كالفاشية ٠٠ أقول لهؤلاء بكل صراحة اننى أفضل حفنة من السكادريستى على أستاذ جامعى عاجز ، كما أنصحهم بسرعة ابتلاع ثقافتهم أو لفظها من أجوافهم بسرعة أكبر » ٠

ويتفق هذا الكلام مع رؤياه الانتهازية لدور المثقفين الذى يشرحه على النحو التالى « ان مهمة الكاتب هى تحليل ما يسمى بالاستعمارى الفكرى فى المسرح والكتب والمقالات والمحاضرات ورفع مكانة ايطاليا مثلما فعلت الحزب والحركة الفاشية » ٠ ومن الأمثلة على تدهور ايطاليا الفاشية بصورة عامة ، المسرحية المزرية التى قام بها أساتذة جامعات ايطاليا ــ باستثناء اثنى عشر أستاذا ــ حين أصروا على أداء قسم الولاء للفاشية ، والخضوع الباهت الممل والتملق الذى توافق به جمهور مثقفى ايطاليا مع النظام ، والرقابة المزعجة والمفروضة على كل شىء ، وانضباط المنظمات الثقافية الصارم ٠ ويبدو أن موسولينى كان يشعر بهذا التدهور الا أن محاولات تبريزه كانت تتصف بالتكلف والغموض كقوله : « نمر بمرحلة انتقالية فرضت علينا مشاكل مادية وعملية مرهونة بوقتها ٠٠ ان

طبيعة الصراع من أجل البقـاء تجعلنا نتفهم تشـاؤم من يتنبأون بأفول فكر البشرية » ·

ولم يكن موسوليني يؤمن الا بقيم قليلة تحتـوى عـلى عناصر عقائدية صادرة من أكثر طبقـات المجتمع الايطالى رجعية ، مثل : التمسك بالفضيلة (فى ايطاليا ١٨٧٠٠ حانة أغلقنا ٢٥٠٠٠ منها ·· لقد أجزنا لأنفسنا اغـلاق تلك الأماكن التى تقدم للناس المتع الرخيصـة والمؤذية) والتباهى بالأصول الريفية (لقد أدى تصـنيع المدن الى عقم السكان) وبالرجولة كقيمة وسمـة من سـمات أسلوبه فى الحكم (يتساءل الكثيرون عن أسلوبى ··· ان فى ايطاليـا أيضا فريق من التعساء الذين يتخلون عن رجولتهم لأتفـه الأسباب بل ويطأونها بأحذيتهم) ·

وكان تمسك موسوليني باحياءالامبراطورية الرومانية يستند أيضا على تخلف وسطحية ثقافيـة ، وكانت الدعاية هدفه الأساسى · فكان طراز الحكم يتشبه بالطراز الرومانى وينطبق ذلك أيضا على بعض ابتـكارات الدوتشي المضحكة التى أدخلها على مبانى مدينة روما والتى يقـول عنهـا : « أفكارى واضحة وأوامرى دقيقة وأعتقد أنها (الأفكار) تمثل واقعا ملموسا · ستذهل روما ضيوفها القادمين من كل أرجاء العالم بعد خمس سنوات برحابتهـا ونظامها مثلمـا فعلت فى عهد الامبراطور أغسـطس ·· عليـكم تخليص شجرة أمجادنا من كل ما يعوق نموها · ستعبدون الأماكن المحيطة بمسرح مارتشـيللوس والـكابيتول والبانثيون ، وسـوف تخلصـونها من كل ما تراكم حولها أثنـاء عهـود الانحلال » · وبالرغم من ذلك ، لم يجـد التشـبه بالرومان صدى لدى الجماهير كما لم تلق اسـتثارة القـومية تأييدا واسعا ، ولا سيما جانبها المعادى للأجانب الذى كان يستهوى موسوليني والذى يعبر عنه فى سنة ١٩٢٥ بقوله : « اننـا شعب مضياف ونريد أن نستمر على هذا الحال حتى عند سوء استغلال ضيافتنا عندما تأتى شعوب بدائية الى مدننا الرائعة

وتتصرف باستهتار عندما يقتوم رجالها ونساؤها بالسير والتجول على أرضيات قصورنا الرخامية بأزيائهم البدائية التى تشبه ملابس الخدم » وكان يقصد الألمان بهذا الكلام الذى قاله فى سنة ١٩٢٥ ٠

وكانت أيديولوجية موسولينى تعتمد على الاستشراف العملى لافتقاد عقيدته السياسية الأصالة والدينامية، فيقول : « ان المذاهب السياسية ليست تمارين فى الخطابة بل أفعالا تؤثر على الحياة » ٠ لذلك اتصفت مشاريعه السياسية بانتهازية بحتة هدفها خدمة النظام كما فشلت فى اضفاء طابع الثورة على ديكتاتوريته ٠ وكانت العناصر الجديدة التى تميز بها نظامه كالنقابية واشتراكية الدولة تخضع باستمرار لاجتهادات متناقضة من اليمين مثل التعاون الطبقى ، ومن اليسار مثل التغلب على الرأسمالية والاشتراكية ٠ وكان الاتجاه اليمينى صادرا من عقيدة الدوائر الكاثوليكية الاجتماعية ومن بعض تيارات الدولية الثانية ٠

وكان موسولينى يستقى خطبه من المتدربين ٠ واستهدفت بعض الاجراءات العقابية استقلالية النقابات الفاشية التى تضامنت مع النقابات الأخرى ولكن سرعان ما طردت من المصانع بعد اتفاقية قصر فيدونى كما اكتمل اضعافها بتفتيتها الى ست منظمات مختلفة تحمل اسم « الرابطة القومية للنقابات الفاشية » فى نوفمبر ١٩٢٨ التى سلبها ميزة العمل تحت ادارة مركزية موحدة ويؤكد تناقض هذه الاجراءات الظاهرى مع اتجاهات سنة ١٩٣٢/ ١٩٣٣ اليسارية التزام النظام بالخضوع المتواصل لمشاريع الرأسمالية الكبيرة ٠

كانت فكرة معاداة النقابات التى استندت عليها قرارات ١٩٢٧ و ١٩٢٨ الاقتصادية تخدم سياسة تثبيت أقدام الاتجاهات المحافظة على الصعيد القومى ٠ وكان من

ضمن هذه القرارات قرار تركيز الاقتصاد وأتباع الاكتفاء الذاتى كنتيجة لأزمة ١٩٢٦/٢٧ فى ايطاليا• وكانت حماية الليرة بتثبيت سعرها أمام الجنيه الاسترلينى الى ٩٠ بدلا من ١٥٣ ، وحرب القمح ، واستصلاح الأراضى الزراعيةالشامل الذى يتفق مع مطالبة المضاربين وكبار الملاك بحماية منتجاتهم والتوسع فى الاصلاح الزراعى • كل ذلك كان يتفق مع رغبات المضاربين وكبار الملاك • وقد كانت اتجاهات النظام الزراعية تهدف فى واقع الأمر الى تحجيم الطبقة العاملة فى المدن كنموذج لسياسة النظام الاقتصادية الرجعية • وكان من نتائجها بروز أكثر طبقات الرأسمالية• الايطالية رجعية• ولم تكن تلك المشاريع آهدافا استراتيجية نهائية بل مجرد خطوات تكتيكية • اذ لم يكن النظام الفاشى يعوق نمو الصناعة لذلك احتوت البرامج السابقة على عناصر تحتمل التأويل • وكانت معركة القمح واستصلاح الأراضى الشامل يسمحان بزيادة استثمار رؤوس الأموال فى الأرض الزراعية ويشجعان ضم ريعها الى مجموع الدخل• وتمكنت الرأسمالية الايطالية مع بداية سنة ١٩٢٤ من القيام بعمليات استثمارية واسعة النطاق دون التعرض للمخاطر ، كما تمكنت من دخول السوق الدولية •

وبدأت ملامح تحول موسولينى نحو اقتصاد موجه يسارى الطابع فى الظهور على اثر آزمة ١٩٢٩ الاقتصادية فى ايطاليا والتى يصفها الكاتب السياسىالمعاصر فيتوريوفوا بقوله : « لقد كانت تلك الأيام سنوات الأزمة الكبرى التى اكتسحت العالم الرأسمالى بأسره وزعزعت الثقة فى نظامه ، كما كانت أولى سنوات الخطة الخمسية الروسية التى بعثت الرجاء والأمل فى ايطاليا وفى باقى العالم • لذلك اضطر الحزب الفاشى الحاكم الى التغيير تحت ضغط البطالة الملح» • ونادى الفيلسوف أوجو سبيريتو فى ذلك الوقت بانشاء نقابات للملاك وطالب باخضاع الملكية وقيادة الجهاز الانتاجى بأسره لسلطة المنظمات النقابية • وكانت تلك

ولكنها سرعان ما اختفت بصورة نهائية مع ابعاد جوسيبي بوتاي عن وزارة النقابات في نهاية سنة ١٩٣٣ اذ كان الآراء تمثل اتجاهات المعسكر اليساري الجريئة والتقليدية . النظام يفضل الحلول التنظيمية التقليدية ، فقام بالتالي بتأسيس ثلاث نقابات ذات طابع قمعي بيروقراطي وعلى أسس هيراركية سلطوية مركزية لكل من قطاعات الخدمات والاقتصاد الزراعي والصناعة ، كما قلص من صلاحياتها بشكل جذري • فتحولت الى أجهزة شكلية يقتصر نشاطها على المهام التقريرية الخاصة بشروط العمل والعلاقات الاقتصادية التي تربط الفئات ببعضها ، وتحكيم القضايا العمالية ، والمهام الاستشارية فيما يتعلق بعلاقة العمال بالادارة • وقام موسوليني ، كما نتوقع ، بدور كبير في تصفية مطالب النقابية اليسارية بتوجيه الاقتصاد • ولكنه تقدم بالرغم من ذلك بتنازلات كلامية كبيرة ولا سيما لوجود الأزمة التي وصفها بأنها أزمة نظام في خطاب له أمام الجمعية العامة لمجلس النقابات القومي حين يقول في ١٤ نوفمبر ١٩٣٣ : «لقد أدى تغلغل آثار الأزمة في بنية النظام الى اعتبارها من ضمن أزماته •• انها ليست مجرد صدمة بل علة خلقية • وأقول بثقة ان طرق الانتاج الرأسمالية ونظرية الليبرالية الاقتصادية التي تجسدها وتمجدها أمور قد عفا عليها الزمان » •

وينتهي الى الاستنتاج التالي : «النقابية اقتصاد منضبط وموجه في نفس الوقت لأنه لا انضباط بدون توجيه وتتفوق النقابية على كل من الاشتراكية والليبرالية لأنها تركيب جديد • والواقع الملفت للأنظار والذي لم يحظ بانتباه كاف هو تزامن انهيار الرأسمالية مع انهيار الاشتراكية » •

وكان الأساس الفعلي لادعاءاته هو حاجته الى برنامج للأزمة يشترك في مكوناته مع برنامج دول العالم الغربي الرأسمالية قاطبة ينسب في نفس الوقت الى الفاشية • لقد كان تدخل الدولة بحزم في الاقتصاد أمرا طبيعيا لتصحيح

وتسوية آثار الدورة الاقتصادية واضعاف النظرية الكارثية الخاصة بالأزمة على قدر المستطاع عن طريق المؤسسات • وانتهز رأس المال الايطالى فرصة الأزمة لفرض قراراته على الاقتصاد القومى •

وشكل هذا النوع من الدوافع عاملا حاسما فى ظهور إشتراكية الدولة عنصر العقيدة الفاشية الجديد • ويكتب موسولينى فى مقاله عن المذهب الفاشى لموسوعة تريكانى فيقول : « لقد دعمت تطورات السياسة العالمية منذ سنة ١٩٢٩ وحتى الآن تلك المواقف المذهبية • فالدولة وحدها هى التى تبرز فى الساحة ، والدولة وحدها هى التى تستطيع حل تناقضات الرأسمالية الشديدة • ان حل ما يسمى بالأزمة لا ولن يتم الا بواسطة الدولة وفى اطار الدولة » • ويتضح من كلامه تناقض اتجاهاته المذهبية ، اذ كانت ليبراليته الاقتصادية فى البداية تتفق مع مصلحة رؤوس الأموال الكبيرة فى التحرر من قيود نظام اقتصاد الحرب • وكانت تدخلية الدولة فى الثلاثينات تتفق مع اقتراح الرأسمالية التقدمية الخاص بالبحث عن وسيلة تحول دون الاتجاه الى تدنى نسبة الأرباح المستمر بصورة فعالة •

وأثرى انشاء مؤسسات جديدة الدولة الفاشية • فأنشأت فى سنة ١٩٣١ المؤسسة العقارية الايطالية التى كانت مهمتها مساعدة البنوك والمؤسسات الصناعية على الخروج من الأزمات الاقتصادية ، وفى ٢٣ يناير ١٩٣٣ مؤسسة اعادة بناء الصناعة التى كانت تقوم بتمويل الصناعة وتنفيذ التزاماتها • وبهذه الطريقة خلقت الفاشية نموذجا لرأسمالية الدولة الذى يدعم القطاع الخاص فى نفس الوقت • ودفع المجتمع ثمن اجراءات الانقاذ كما تحمل نصيب الأسد من نفقات الاستثمارات • واقتفت الفاشية خطى البلدان الأخرى غير الفاشية بصورة لا تحتمل اللبس فى محاولاتها لحل الأزمة الاقتصادية • فطبقت ترشيد النظام الجزئى الذى كان من أبرز سماته الاسراع فى تخصيص

رأس المال • وكان موسولينى يصف هذا الاجراء بأنه يخدم بقاء الأصلح كما يتضح من قوله : « •• لن نستطيع انقاذ الجميـــع بل ان البعض يســـتحق الذهاب الى الجحيم ، ومن ضمنهم رجال الأعمال الأفاقين الذين كونوا ثرواتهم الهائلة أثناء الحرب وبعدها • والذين يتصفون بالاستهتار بدلا من الاقدام على المشاريع الجريئة •• انهـم بهلوانات الصناعة والاقتصاد الذين لا تعرف صفقاتهم حدودا أو موانع •• انهم يتاجرون فى كل شىء بدءا بالأسمنت والمعادن الثقيلة كالرصاص وانتهاء بالشوكولاتة والحـرير الصناعى » • وكان من ضمن اجراءات الترشيد الأخرى توزيع المساعدات لصالح الشركات الكبرى وطرات تغيرات نوعيـه هامة عـلى مكونات البنية الانتاجية فتحول محور الاهتمام الى صـناعة المعـادن والآلات ، والكيمـاويات ومن انتـاج البضـــائع الاستهلاكية الى الأصول الثابتة • وألغى اصـلاح البنـوك الذى بدأ فى سنة ١٩٣٦ النظم المصرفية القديمة لتحل محلها مؤسسة ائتمانية دائمة والتى ضمنت الدولة دورها المصرفى ودورها فى تمويل الصناعة •

مازالت مناقشات المؤرخين حول منظور سياسة الفاشية الاقتصادية على المدى البعيد محتدمة حتى اليوم • وتدحض تحليلات اقتصادية ظهرت مؤخرا وتعتمد عليها صحة الآراء التى تصم الفاشية بالركود الاقتصادى أو بأنها كانت مجـرد أداة لتحويل الشعب الايطالى الى دولة من المزراعين ، والتى ترى فى الفاشية وعاء الليبرالية التقليدية وتبرز الجوانب البالية وغير المعقولة من ادارة الأعمال فى العهد الفاشى • ويعترف البعض للفاشـــية بترشـيدها الجـزئى والدينامى للرأسمالية الايطالية أثناء ضائقة أزمة عالمية صعبة بالاضافة الى زيادتها للاســتثمار فى الصناعات الأساسية والذى أدى بدوره الى معجزة ما بعد الحرب العالمية الثانية الاقتصادية • ويجمع الكل على تمكن الفاشية بالرغم من كل شىء من تخفيف نتائج الأزمة على الشركات الاحتـكارية والايطالية ، وان

كان ذلك على حساب العمال • وكان موسولينى نفسه قد اعترف بذلك أثناء أزمة الأجور التى ارتبطت بسياسة تثبيت الليرة فى سنة ١٩٢٩ حين يقول: «لقد وافق العمال والفلاحون الايطاليون على تخفيض أجورهم والذى نفخر بأنه وصل الى بضعة مليارات • لقد ساهموا من جانبهم باقصى ما يمكن عمله لضرورة خوض حرب الليرة » • وكان مازال حتى سنة ١٩٣٠ مستعدا للاعتراف بأنه قام من أجل تخفيض النفقات بتعريض فئات بأكملها لعذاب شديد كالعمال الصناعيين ، وعمال النقل البرى والبحرى والجوى ، وموظفى البنوك • وأن كل هؤلاء لم يتخلوا عن المسيرة بالرغم من ذلك •

وكانت العقبة الاخيرة والمستحيلة فى سبيل اضفاء بعد ثورى على صورة موسولينى هى تفاهة وسطحية حياته الشخصية • ويعترف هو باهتماماته الثقافية العادية حين يقول : « أقرأ فى أوقات فراغى النادرة كتبا قديمة وحديثة ولا سيما الكتب التاريخية والسياسية ، ولا أستبعد منها القصص التى تشجع المناقشة •• ليس لدى وقت كاف للذهاب الى الأوبرا وأفضل الموسيقى المرحة والشعر الغنائى، مثل أشعار فيردى وفاجنر الغنائية التى تمجد الحرب الى جانب موسيقى روسينى المرحة • ولا تندهشوا عندما اقول اننى لا أستسخف موسيقى الجاز بل أشعر أنها موسيقى رقص طريفة جدا • أقرأ فى الصيف أكثر من الشتاء ، وأقرأ ما يقرب من سبعين كتابا فى السنة • أقرأ بالفرنسية والألمانية والانجليزية • وأعمل ما بين ١٢ و ١٤ ساعة فى اليوم • وطريقة عملى منظمة ومنهجية للغاية » •

ولم يكن موسولينى يخجل من التباهى بما وصل اليه مثل كل المحدثين ، فكان يقول مثلا : « فى اسطبلاتى أجمل خيول رأيتها فى حياتى • وسائق سيارتى أجرأ سائق عرفته •• أتصدر الصنوف دائما عند مواجهة الخطر •• تصلنى استرحامات عديدة من اللاجئين الروس يرجوننى فيها أن أقوم باعادة أسرة القيصر للحكم ، كما أتلقى القصائد

من كل أنحاء العالم • فيمدحني العرب ببحور شعرهم الشرقية وكذلك يفعل الهندوس والرومانيون والأنجلو ساكسون بأشعارهم غير الموزونة •• وترسل الى الجماهير الهدايا كالحيوانات النادرة القادمة من أطراف العالم ، والببغاوات من أمريكا الجنوبية ، والخيول العربية والكتب والمخطوطات من كل مكان » •

وفي نوفمبر ١٩٢٩ ترك موسوليني مسكنه في فيلا رازيللا الذى كان يعيش فيه منذ قدومه الى روما بصحبة مدبرة منزلة العجوز الوفية ، وانتقل مع أسرته كلها الى فيللا تورلونيا القبيحة والغالية الثمن بحديقتها الفسيحة ، والتى كان موسوليني يشعر بانها تليق بمنصبه الجديد • وكانت حيـاته الاسرية لا تختلف عن النمط المألوف فى الأسر البورجوازية الايطالية الأخرى •

وكان موسوليني اخا حنونا فكان يعتبر شقيقه أرنالدو الذى خلفه فى رئاسه تحرير « ال بوبولو » معاونه المخلص الوحيد • وكان موسوليني مثل أى أب متفان يهتم شخصيا بمشاكل أولاده ومستقبلهم ، كما كان يحرص على ان ينشأوا نشأة طيبة • واحتفلت الأسرة وفق التقاليد بزفاف ايدا كبرى بناته الى جالياتزو تشانو فى سنة ١٩٣٠ • وكان موسوليني وأسرته يشعرون بالارتياح لهذا النسب الذى ربطهم بأسرة غنية من بين أفرادها أبطال مثل كونستانزو تشانو (والد العريس) الذى حصل على الميدالية الذهبية ، التى لا تمنح الا نادرا ، فى الحرب العالمية الاولى •

وكان جالياتزو شابا لامعا وسرعان ما أصبح ولى عهد بلاط موسوليني ، الأمر الذى أثار حفيظة رجال الحزب القدامى والأقارب والشخصيات الغريبة التى كانت تشكل حياة الدوتشي الخاصة • وكانت المرأة تلعب دورا هاما فى تلك الحاشية المتعددة المشارب والألوان ولا سيما عشيقاته العديدات •

واستمر تفضيله المبكر للعلاقات العابرة مع النساء على ما هو عليه عبر السنوات • وكانت حاجته الى المحافظة عـلى أسطورة رجولته تدفعه الى اتخاذ مواقف متعصبة علنية ضد الجنس الاخر ، فيقول أثناء مناقشة حق المرأة في التصويت في مجلس النواب في ١٥ مايو ١٩٣٠ : «لا نريد الاسترسال أو الدخول في جدل طويل بخصوص ارتفـاع أو انخفاض وضع المرأة •• ويكفينا الاعتراف بأنها متخلفة •• انني متشائم نوعا ما لانني اعتقد ، على سبيل المثال ، ان ليس لدى المرأة قدرة كبيرة على الربط بين الشيء ونقيضه ، الامر الذي يحول دون قيامها بالانجاز العقلي المتميز » • ويستند في رايه على حجة غريبة ، فيقول « لن يحدث جـديد في محيط الاسرة ، وذلك لسبب بسيط • اذ لا ينبغي عليكم توقع تغير حياة المرأة غدا بسبب هذه المسألة (حق التصويت) ••• ان ما يسيطر على حياة المرأة دائما حبها لآولادها او لرجل ما • وعدم حبها له يعني أنها رفضت انتخابه » •

وتمكن موسوليني بهذا الأسلوب من التعايش بسـهولة مع نماذج متباينة من النساء • فقد كانت زوجتـه راشـيل الزوجة وأم أولاده التي يحترمها ويحبها ككيان سام فقـ • وقبلت راشيل بعد خمسة عشر عاما من المعـاشرة الزوجيـة مجاراته في ٢٩ ديسمبر ١٩٢٩ عندما ما قام بمهزلة عقـد زواجه عليها في الكنيسة وذلك احتراما لرغبته في اضفاء الاحترام على مكانته ، كما عرضت نفسها لخطر الحمل وهي في سن متقدمة نسبيا وذلك تمشيا مع سياسة الدولةالسكانية وحتى تصبح قدوة لغيرها من النساء •

وكانت مارجاريتا سارفاتي التي زاملته لفترة طويلة في الأفانتي قد تبعته لتـدير الصـحيفة الفاشـية اليوميـة « جيراركيا » ثم أصبحت بعد ذلك كاتبة سيرته كما لعبت في حياته دور المثقفة التي تلبي حاجته الى الثقافة • وكان يقيم مع زوجات كبار رجال الحـزب وسـيدات الطبقة الراقيـة والصحفيات الأجنبيات علاقات جنسية لحظية ، فكان يضاجعهن

بسرعة ودون مقدمات عاطفية على الأريكة الحجرية الكائنة أسفل نافذة غرفة مكتبه العالية فى قصر فينيتزيا .

وكان هذا الأسلوب يعبر عن تصوره للسلطة الشخصية . اذ كانت تلك النساء يمثلن مجرد انتصارات تروى تعطشه لاثبات رجولته . وأخيرا كانت هناك كلاريتا بيتاتشى ، العشيقة التى اكتشف بين أحضانها لأول مرة الاخلاص والاستمتاع الصادق بالجنس . فقد كان يتجرد من دور الدوتشى ويترك لصفاته الانسانية فرصة الظهور . وربما تمكنت جاذبية كلاريتا من الانتصار على عقيدته السياسية . اذ كان تجاوبها العاطفى قويا بحيث تمكن موسولينى من خلال هذه العلاقة من اقامة صلة انسانية مع شخص اخر على مستوى الندية . اذ تعرف عليها فى سنة ١٩٣٢ عندما كان عمرها عشرين عاما الا أن علاقتهما الغرامية لم تبدأ الا فى سنة ١٩٣٦ وانتهت بمصرعهما معا .

ويصف الناشر باولو بونيللى سبب تعلقه بها بقوله : « ربما كان السبب هو رتابة حياته التى خلت من الأصدقاء والاسترخاء ، أو لعله شبابها وحيويتها وحبها للمرح وسرعة بديهتها واستعدادها للايواء الى صدره بخفر وامتنان . وأيا كان السبب ، فقد تعلق بالفتاة بلهفة وحنان وغيرة وعاطفة ملتهبة كانت كلها جديدة عليه » .

ولكن نقاء تلك المشاعر لم يتمكن من السمو بالعلاقة على نظيراتها التقليدية التى تشمل الزوج والزوجة والعشيقة ، والتى تعتبر عرفا يمتنقه ايطاليون كثيرون ويمارسونه . ولا نجد فى العلاقة أيا من عناصر التشويق أو الاثارة ، وان احتوت على قدر قليل منها ، وعلى نهاية مرتجلة وغير عادية بدلا من النهاية السعيدة المعتادة ، وذلك عندما قام الفدائيون الايطاليون باعدام العاشقين رميا بالرصاص فى يوم معتم من ربيع ١٩٤٥ فى المنطقة الجميلة المحيطة ببحيرة كومو .

لقد نجح موسولينى فى تنفيذ بعض القرارات التى اتخذها بنفسه وفى تكوين تصوره الخاص عن دوره . ولكنه

لم يبتعد كثيرا فى البداية عن أنماط الديبلوماسية الليبرالية التقليدية ، فسمح فى البداية لسالفاتورى كونتارينى ثم لدينو وجراندى بالتقارب الحذر مع الديمقراطيات الغربية وفق روح معاهد لوكارنو · وكانت الفاشية تمر فى ذلك الوقت بالمرحلة الزراعية من سياستها الاقتصادية ، وتوجه تعجل موسولينى للتجديد فى سنة ١٩٢٦ نحو التوصل الى نظام عالمى جديد بخصوص المستعمرات ليقوم بدور صمام الامن للضغوط المتزايدة الناتجة عن زيادة عدد السكان وما نتج عنها من تصورات خاصة بالاستعمار الزراعى · لذلك اعيد فتح ليبيا فى تلك الفترة باحتلال اجزائها الداخلية التى لم تكن قد احتلت حتى سنة ١٩٣٢ ·

كان موسولينى يميل الى تأكيد الجانب القومى للفاشية عندما قال : « يستحيل ان يفهم الاجانب الفاشيه لاختلاف ظروفهم التاريخية والجغرافية والاقتصادية واخلاقيه » · وقاوم اغراء التوسع الذى كان قائما انذاك بسبب المناخ العقائدى المناسب · اذ قامت فى ذلك الوقت فى شرق اوروبا على وجه الخصوص انماط مختلفة من النظم السياسية الدكتاتورية مثل نظم هورتى و بريمو دى ريفيرا و بيلسودسكى وفولديماراس وسالازار التى كان يربطها كلها بالفاشية معاداة الشيوعية · واختار موسولينى اتباع سياسة ابتعاد متوازنة بدلا من التقارب مع تلك النظم · فنجده يتبع تعبيره بالامتنان من الولايات المتحدة بالتباهى باعتراف الاتحاد السوفيتى بنظامه · وكان أثناء اتباعه لذلك الخط السياسى المعتدل ، يخص المانيا والنمسا بهجماته الكلامية النادرة والتى كانت كلها تدور حول مشكلة جنوب التيرول . فيقول : « نقول للشعب الألمانى ستجد الشعب الفاشى صديقا مخلصا يواجه بجرأة ولا يعرف الغطرسة أو يتصنعها · ان تلك الأيام قد ذهبت بغير رجعة » ·

وكانت التعديلات التى طرأت على خطه السياسى فى ذلك الوقت ، ليست سوى خلفية لتطلعه الى قيام ايكابيا بدون

القوة العظمى ، كما يتضح من قوله : « هل تجرأ أحد على وصف معاهدة فرساى بالكمال ؟ انها من صنع البشر لذلك اقول انها ليست كاملة » • وأضفت الازمة الاقتصادية العالمية على سياسته الخارجية تحولا وتعديلا حاسما ومكنته من تولى المسئولية الكاملة عن تسييرها • وساعدته فى تلك المهمة نفس الالمعية التى كان يستمتع بها اثناء الحقبة الاشتراكية اللامعة من حياته فتمكن من القيام بالمناورات الصحيحة • وكان الاستنتاج الذى توصل اليه ، هو ان النظام العالمى شأنه فى ذلك شأن نظام جيوليتى فى ايطاليا ، لن يتمكن من استعادة توازنه واستقراره المفقودين وسيتجه الى ازمة حاسمة • ويقول فى رسالة أكتوبر فى سنة ١٩٣٠ : « اننا نحارب عالما مصيره الزوال وان كان ما يزال قويا بفضل تجسيده لكمية هائلة من المصالح •• والفاشيون يعرفون ذلك •• ان معاداة الفاشية مازالت مستمرة والمعارضة مازالت حية لم تمت ولكن ساحة الصراع قد اتسعت لتشمل العالم باسره •• ففى كل مكان يوجد من يحارب الفاشية ومن يحارب معها » •

لقد أتاح انهيار التوازن الدولى بعد الحرب العالمية الأولى لموسولينى الفرصة المناسبة لاستخدام مواهبه الشخصية وعدم التزامه بالمبادىء ومرونته كما كان يفعل فى الماضى ولم تكن الرأسمالية قد توصلت آنذاك الى تلك الاستراتيجية أو ذلك النظام الفعال الذى يوحد الدول والذى حدد مسار السياسة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية • اذ كانت الراسمالية الايطالية تكتفى ، فى تلك الايام، بمجرد اصدار التوجيهات العامة بدلا من الاقتراحات المحددة فيما يتعلق بالموقف الدولى المطلوب •

وساد آنذاك اتجاهان رئيسيان : فكانت الدوائر المالية ومراكز الصناعة فى لومبارديا وفينسيا تمثلان الاتجاه الأول الذى ينادى بالعودة الى العلاقات الوثيقة والمتينة مع ألمانيا التى كانت سائدة قبل الحرب على أن يتسع نطاقها • أما

الاتجاه الثاني فكان يحبذ استئناف الحوار مع الدوائر الاقتصادية الأمريكية ، وكان على رأسه شركة فيات وأصحاب مصانع البلاستيك الجديدة ٠

ولكن الاتجاهين لم يكونا من الوضوح بحيث يؤثر أى منهما على قرارات الحكومة ٠ وفى نفس خطاب أكتوبر السابق الذكر يفصح موسولينى عن أولى التعديلات التى أجراها على اهدافه التى ربطها فى نفس الوقت بتصريحات مطمئنة عن رغبته فى السلام فيقول : « ان سياستنا الخارجية تهدف فى حد ذاتها الى تجنب الحرب وتوفير نفقاتها الباهظة»، ثم يتبع هذا الكلام ببعض التصريحات عن نواياه فيقول : « ان لسياسة ايطاليا الخاصة بالدانوب وشرق أوروبا أهمية حيوية ٠ اننا نحاول استغلال كل شبر من أرضنا ولكنها سرعان ما تكتظ بالسكان » ٠ ويبدى فى نفس الوقت مقترحات جديدة ذات طابع عالمى ولها دلالتها بقوله : «اننى أعلن اليوم أن الفاشية قد أصبحت عقيدة سياسية عالمية سواء من الناحية الفكرية أو المذهبية أو التنفيذية ٠٠ فهى ايطالية المكونات ولكنها عالمية الجوهر٠ لذلك نتوقع أن تظهر أوروبا فاشية تستلهم مؤسساتها النظرية والتطبيق من الفاشية » ٠

وتتضح الأسس الاستعمارية الخاصة للعقيدة الفاشية من مقال موسولينى الذى كتبه عن المذهب الفاشى فى سنة ١٩٣٢ وقال فيه : « ان الدولة الفاشية تعنى التطلع الى السلطة والقوة والسيطرة ٠ والتقاليد الرومانية القديمة بهذه المناسبة مبنية على مبدأ القوة ، ان مفهوم الامبراطورية فى المذهب الفاشى ليس مفهوما جغرافيا أو عسكريا أو تجاريا فحسب بل انه مفهوم أخلاقى ووجدانى أيضا » ٠

وكانت التجارة الخارجية تصلح كدعامة ممتازة وعملية لتطوير اقتصاد بلد كايطاليا يفتقر لمصادر المواد الخام ٠ ولكن المعوقات التى واكبت الأزمة الاقتصادية العالمية والأزمات التى أفرزتها على الصعيد العالمى كغزو اليابان لمنشوريا فى سنة ١٩٣١ بالاضافة الى الصعوبات التى واجهت

عصبة الأمم ، حالت كلها دون تنفيذ هـذا الحـل • وكانت السوق العالمية المغلقة والسوق الداخلية المختنقة بسبب عدم كفاية الاستثمارات الأساسية المطلـوبة لضـمان اسـتمرار الطلب على المنتجات الايطالية ، من العناصر الأساسية المؤدية الى اعتماد الحرب كوسيلة وحيدة تضـمن تشـغيل الصناعة وتحقيقها للأرباح • كما أن تغيير قيادة وزارة الخارجية التى انتقلت فى ٢٠ يوليو ١٩٣٢ من جـراندى الى موسـولينى ، أدى بدوره الى تغذية التطرف والتعجيل بسياسة الحرب التى كانت حرب الحبشـة أول تكريس عسـكرى واسـتعمارى وتوسعى لها • واستخدم موسولينى أيضـا فى هـذا المجال سياسة الخطين المتـوازيين التى أثبتت فعاليتهـا من قبل • فكان يحاول باستمرار التهرب من المـواقف المتشـددة ومن اتخاذ القرارات الحاسمة •

وكان يتأرجح بين التقارب مع الدول المهزومة (المانيا) من جهة والحرص على عدم التباهى بانتمـائه للمحـور فى معاملاته مع فرنسا أو انجلترا •

وتمخضت جهـوده النابعة من رغبتـه فى التحـكم فى التوازن الأوروبى الجـديد عن عقـد معـاهدة رباعيـة بين فرنسا وانجلترا وألمانيا وايطاليا تم توقيعها فى ٧ يونيـو ١٩٣٣ • ويقول عن هذه المناسبة فى البرلمان « ليست المسألة فى انشاء تسلسل هرمى دولى نهـائى وغير قابل للتغيير لأن مثل هذا التسلسـل قائم بالفعل •• ولـكن قيامه لا يعنى الوصاية أو الاستبداد أو فرض الرأى على الغير » • وكان هدفه من ذلك تغيير وضع ايطاليا ووضعها على قدم المساواة مع الدول الكبرى الأخرى على الصعيد الدبلوماسى •

وقوبلت المعـاهدة الرباعيـة ببرود واعتبرها الموقعون الآخرون مجرد أداة استشارية • ولكن موسولينى تمكن مع ذلك من اثبات مصداقية مكانته كوسيط والتى ما لبثت أن تلقت مزيدا من الدعم عندما أبرم معاهدة عدم اعتداء مع الاتحاد السوفييتى فى ٢ سبتمبر ١٩٣٣ • ومنحت هـذه

المعاهدة لخططه التوسعية حرية حركة لم تكن تملكها من قبل • وكان من ضمن أهداف المعاهدة الرباعية الطموحة : اعادة توزيع ثروات العالم وتشكيل تسلسل هرمى بين كل دولة وأخرى • ونجح فى أول اختبار لمصداقيته عندما حشد أربعة فرق على حدوده مع النمسا فور بلوغه نبأ اغتيال المستشار النمساوى دولفوس أثناء محاولة الانقلاب الفاشلة التى قام بها النمساويون النازيون الفاشلة للاستيلاء على الحكم • وادانته للحادث التى أبرق بها فى الحال لنائب المستشار شترهامبر واعلانه تأييده غير المشروط لاستقلال النمسا •

وأجبر رد فعل موسولينى هتلر على التراجع عن تنفيذ خطته • كما اقنع حل الازمة بهذه الصورة الايجابية موسولينى بأنه قد ضمن أخيرا احترام القوى الاوروبية الاخرى ، وان الوقت قد حان للقيام بمغامرة عسكريه فى افريقيا لرفع مكانة ايطاليا الدولية دون التعرض لمخاطر كبيرة • وعمت الفرحة والحماس للمغامرات الدولية ارجاء البلاد • اذ قام جهاز دعاية النظام بنشر اخبار المبادرات السياسية الخارجية لالهاء الشعب عن ظروفه الداخلية السيئة • وشجعت دوائر صناعية مختلفة هذا الاتجاه ، فكان ألبرتو بيرللى مثلا يحبذ انشاء منطقة حرة للتغلب على آثار الأزمة الطاحنة ، وكان ذلك هو نفس اتجاه دوائر صناعة النسيج والمواصلات والصناعات اليدوية والمضاربين على الأرض الزراعية •

وفى ٣ أكتوبر ١٩٣٥ بدأ العدوان على أثيوبيا الذى يعتبر نموذجا لحرب الابادة والاحتلال الفاشية ، والتى كانت بالرغم من ذلك تسير على خطى الدبلوماسية الليبرالية القديمة وتتبع الأنماط العسكرية التقليدية بصورة حرفية • وكان موسولينى الذى تمكن من اسكات أصوات المترددين فى صفوف القوات المسلحة ، قد حدد فى ديسمبر ١٩٣٤ خريف العام القادم موعدا لبدء العمليات العسكرية • وقام

بتعيين الجنرال اميلنودى بونو فى ٧ ينـاير ١٩٣٥ قائدا للحملة وسط استحسان الدوائر المختلفة • وكان السياسى الفرنسى بيير لافال قد ضمن له قبل ذلك بيوم واحد مساندة فرنسا • اذ كان هتلر قد أصبح عـدو فرنسـا وانجلترا الرئيسى ، الأمر الذى دفع الدولتين الى شراء تأييد ايطاليـا ضد ألمانيا بأية ثمن • وفى أثناء اللقاء الذى عقد فى ستريزا بين الدول الثلاث فى أبريل ١٩٣٥ ، لم تعترض الدولتـان على هجوم ايطاليا على أثيوبيا الا بطريقـة رسـمية وغـير محددة لم يأخذها موسولينى بجدية •

وعندما أدانت عصبة الأمم العدوان بعد بداية الحرب وفرضت على ايطاليا العقوبات ، انتهز موسـولينى هـذه الفرصه لتقويه تماسك الجبهة الداخلية ضد ما أسماه بتآمر ٥٢ دوله على ايطاليا •

وظل محتفظا بهدوء اعصابه عشية الحرب عـلى عكس الدوائر العسكريه التى سـاد بينهـا القلق • ويكتب اليـه الجنرال بادوليو رئيس الاركان فى ذلك الوقت فى صـيف ١٩٣٥ قائلا : «اكرر لسعادتكم أنه من واجبى لفت انظاركم الى أن الوضع الحالى يعد من وجهة نظرى ، من أدق اللحظات التى مر بها الوطن فى تاريخه القومى العاصف » • وأثار وجود الاسطول البريطانى المكثف فى البحر الأبيض مخاوف الدوائر المحافظة والكاثوليكية فى ايطاليا • وكانت أوامر موسولينى لدى بونو غير قابلة للنقاش كقوله : «ابدأ الزحف فى الساعات الاولى من الثالث من أكتوبر » • وكانت القوات الاثيوبية قد انسحبت لمسافة ٨٠ كيلو مترا داخل حـدودها حتى تمنع أية شبهة فى أن ايطاليا هى المعتدية • وبحلول يوم ٦ أكتوبر كان هجوم الجيش الفاشى قد فقد اندفاعه •• وأخـذ صبر موسولينى فى النفاد • اذ كان يريد تقـدما سريعا يبيد العدو ليرفع مكانته ، فقد كانت الجولة التى يعد لهـا عـلى الصـعيد الدبلوماسى مرتبطة بسـير العمليـات

العسكرية - لذلك تدفقت الأوامر المحمومة من روما على دى بونو « لابد من أن تصبح منطقة التيجرى حتى ماكالى فى أيدينا قبل منتصف نوفمبر » • وكان دى بونو يتردد فى تنفيذ تلك الأوامر لصعوبات فى الامداد كان يصعب التغلب عليها، ولكن موسولينى استمر فى الاصرار على رأيه ، فيقول: « ان التنسيق بين الاحتياجات السياسية والعسكرية ، يجعلنى آمرك باستئناف العمليات باتجاه ماكالى تكازى من صباح ٣ نوفمبر •

لقد كان كل شىء على ما يرام فى يوم ٣ أكتوبر وستسير الأمور من الآن فصاعدا بشكل أفضل • وسقطت ماكالى يوم ٨ نوفمبر • وفى الحال أصدر موسولينى أمره باستئناف الزحف على أمبا آلاجى فورا • وأصبحت الأمور لا تطاق ، وبدت أوامر موسولينى ، حتى فى نظر جنرال فاشى مثل دى بونو كارثية من الناحية الاستراتيجية ، فرفض اطاعة الأوامر لأول مرة •

وفى نوفمبر عين بادوليو فى منصبه • وأدى تعيين قائد الأركان الذى ذاع صيته أثناء اعادة احتلال ليبيا ، والمؤمن بفلسفة الحرب الفاشية ، والذى يجسد أيضا ما اشتهر به أبناء موطنه بيدمونت من اجتهاد ، الى تغيير مسار الحرب أو بمعنى آخر طبيعة الحرب أكثر من طريقة ادارتها • فأصبح هدفها المعلن ابادة القوات الحبشية بالكامل واحتلال أثيوبيا برمتها • واستخدم كل من القصف الجوى والغاز وغاز الخردل بصورة مروعة لتحقيق هذا الهدف • وخلاصة الكلام ، أنه قد استخدمت فى تلك الحملة ، التى تخيل بونو أنها آخر حروب القرن التاسع عشر الاستعمارية التقليدية ، أكثر أسلحة الحرب الحديثة فتكا •

وانهارت المقاومة الحبشية تماما -- ودخل بادوليو آديس بابا العاصـــمة فى ٥ مايــو ١٩٣٦ -- وكان امبراطــور أثيوبيا (النجاشى) قد فر من البلاد .

ولم يسد الفرح بمناسبة هذا الحدث الذى أعتبر نصرا مؤزرا الأوساط الفاشـية فحسب بل شــمل كافة الفئـات والطبقات . ويكتب أحد القمصان السود المجهـولى الاسـم لموسولينى قائلا : « لن يظل ايطالى واحد بلا عمل بعد عام ١٩٣٦ » .

الفصـــل الـــرابع

الهـــــاوية

١٩٣٦ ـ ١٩٤٣

يقـــول موســــوليني في ٩ مايـــو ١٩٣٧ احتفـــالا بامبراطوريته الاستعمارية ، وبعد مرور عام على انتصاره في أثيوبيا : « تدور الاحتفالات بمناسبة مرور عام عـلى تأسيس الامبراطورية الرومانية الحديثة في جو من شـعور الشعب العارم بالفرح ، وفي زهـو له ما يبرره ، وفي ظل ثلاثة شعارات تبشر بالخير : المجد والقوة والسلام » . وظل يعتبر هذا الحدث لمدة طويلة أهم انجازاته السياسية ، وان لم تخـل سعادته مما يكـدر صـــفوها . اذ كانت أرض الامبراطورية لا تتجاوز المنـاطق التي تحتلهـا الحاميـات الايطالية ، وسادت في داخل البـلاد حرب عصـابات ضارية بصورة مستمرة كانت من أسباب انهيار الاحتـلال الايطالي السريع في سنة ١٩٤١ ـ أى بعـد خمس سـنوات فقط من احتلال اثيوبيا ـ عنـدما تعرض لهجـوم قوات بريطانيـة ضعيفة نسبيا أثناء الحرب العالميـة الثانية . كمـا لم يكن العائد الاقتصادى من المستعمرات بالحجم الذى كان يتمناه موسوليني عندما أعلن أمام مؤتمر النقـابات الثالث « ان ما تنتجه الامبراطورية من قطن وبن ولحوم ودجاج وصوف ومعادن ثمينة على رأسها الذهب سيساهم بصورة فعالة في معركة الاكتفاء الذاتي » . ولكن صادرات المستعمرات لم

تشـكل أكثر من ٢٪ من اجمـالى واردات ايطاليا فى سـنة ١٩٢٨ بينما بلغت مصروفاتهـا عشرة امثـال حجم تبادلها التجارى • اذ كان حوالى نصف ما تحتاجه المستعمرات من مواد غذائية مستوردا • كما اقتصر توطين أسر الفـلاحين الايطاليين ـ أحد اركان سياسة النظام السكانية ـ عـلى بضعة آلاف فقط كان من ضمنهم الألف وثمانمائة أسرة التى أبحرت الى ليبيا فى قافلة مكونة من سبع عشرة سفينة بقيادة الجنرال بالبو •

وادت فظاعة التدخل الايطالى فى اثيوبيـا الى اهتزاز المصداقية التى تمكن الدوتشى من اكتسابها عـلى الصـعيد الدولى باتباع سياسة اللعب على حبلين • اذ فقدت اثيوبيـا أثناء الحرب من ١٩٣٥ الى ١٩٣٦ ٢٧٥٠٠٠ قتيل ، كمـا قتل ٧٥٠٠٠ اثيوبيا فى حرب العصابات التى استمرت فى السنوات التالية ، و ١٨٠٠٠ فى عمليات التطهير التى كان يقـوم بهـا الجيش الايطالى ، و ٣٥٠٠٠ فى معسـكرات الاعتقال ، و ٣٠٠٠ نتيجة للاجراءات الانتقاميـة ، كمـا حكمت المحـاكم العسـكرية عـلى ٢٤٠٠٠ بالاعدام رميـا بالرصـاص • وفى ذلك الوقت اخـذ بنـدول دبلوماسـية موسولينى فى التحـول باتجـاه المانيا بشـكل واضح ، مع ما ترتب على ذلك من اضطراره للتنازل عن ما تبقى له من حرية التحرك السياسى • اذ انضم الى مراكز القـوى التى كانت تقيد حرية قراره الاستراتيجى فى ايطاليا حليف قوى قدر له فى النهاية أن يؤثر تأثيرا بالغا على قراراته السياسية الخارجية • ولكن العملية لم تتم بتلك البساطة لأن خضوع موسولينى النهائى لهتلر لم يتحـول الى أمر واقع الا أثنـاء سنوات الحرب العالمية الثانية ، وان كانت ملامحه قد بدات فى الظهور منذ سنة ١٩٣٦ •

وفى تلك الأثناء تحول سخط موسولينى السابق عـلى هتلر ، الذى كان يرفض مقابلته بالرغم من الحـاح الأخير على طلب مقابلته المستمر خـلال عامى ١٩٣١ و ١٩٣٢ ،

بنفس السرعة التى اختفت بها السخرية التى قابل بها هتلر لأول مرة فى صيف ١٩٣٤ فى فينسيا • ويظهر موسولينى تبرمه من احتكار النازية لأسطورة التفوق العرقى ، فيتباهى قائلا فى سنة ١٩٣٤ : «ان ثلاثين قرنا من التاريخ تسمح لنا بالنظر بثقة ورثاء الى تلك المذاهب السياسية التى ظهرت على الجانب الآخر من الآلب بين شعوب تنحدر من قبائل لم تكن تعرف الكتابة حتى تدون تاريخها فى الوقت الذى كانت تفخر فيه روما بأغسطس وقيصر وفير جيل » • بيد أن ذلك كله لم يمنع حرمانه من الاستقلالية العقائدية والسياسية من القضاء عليه فى النهاية • وكانت النازية والفاشية تسعيان لتحقيق هدف محاربة الشيوعية الاستراتيجى المشترك ، مع وجود فروق معينة فرضها اختلاف واقع البلدين القومى • وكان هتلر قد استفاد من ناحية هذا الهدف من الخبرة التى اكتسبها أثناء الكفاح الذى قادته النازية ضد الطبقة العاملة الألمانية والتى طبقها على كل المؤسسات ابتداء بالمصنع ورئاسة العمال وانتهاء بالمجتمع ككل وسلطة الدولة ، والتى أفرزت نظاما له سماته الخاصة • واختفت من ألمانيا الهتلرية كل بقايا الصراع الطبقى الذى استمر فى ايطاليا حتى فى داخل المنظمات النقابية الفاشية تحت ظروف صعبة وبصورة محدودة ، فأدى فى النهاية الى زعزعة النظام • وكان تفوق هتلر العقائدى نتيجة للأبعاد الواسعة التى اتخذتها هزيمة اليسار فى ألمانيا مقارنة بما حدث فى ايطاليا • وكان التوسع بالاضافة لمحاربة الشيوعية العامل الثانى الذى جمع بين النظامين • اذ كان سعيهما المستمر لقمع أى خلاف طبقى ، يفرض عليهما تحويل واقع الصراع من أراضيهما الى الخارج أى الى الصراع والتنافس مع الدول وتصادم الشعوب مع بعضها • وكانت سياسة التوسع تفرض اختيار نظام اقتصادى موحد يستطيع تخطى الأزمات • وكانت البنية الاقتصادية الألمانية المتينة فى صالح تفوق هتلر أيضا • لذلك تضمنت أول اتفاقية تبرم بين روما وبرلين فى ٢٣

أكتوبر ١٩٣٦ والتى تمت أثناء رحلة تشانو الى ألمانيا على عنصرى محاربة الشيوعية والتوسع ، وان لم تصل الاتفاقية الى ذلك التلاحم العضـوى الذى اتصفت به علاقة الدولتين قبل نشوب الحرب العالمية الثانية ٠ اذ كان موسولينى مازال مستمرا فى تقـديم التنـازلات فى سـبيل تحقيق السياسة المتقلبة التى كان يتبعها ، فيقول : « ان خط برلين ــ روما ليس جدارا عازلا بل محورا يمـكن كل الدول الأوروبيـة المحيطة به والتى تريد التعـاون والسـلام من العمـل مـع بعضها » ٠ ولكن سرعان ما يظهر الجانب العقائدى فى كلامه حينما يقول : « ٠٠ لا غرابة فى رفعنـا اليوم راية محاربة الشيوعية لأنها فى الواقع رايتنا القديمة» ٠ ويتضح منظور الحلف الجديد التوسعى من تحديده مناطق نفوذ للبلدين فى المستقبل : البحر الأبيض بالنسبة لايطاليا ، وشرق أوروبا والبلطيق بالنسبة لألمانيا ٠

وكان تدخل البلدين فى الحرب الأهلية الأسبانية باسـم محاربة الشـيوعية خطـوة أخرى هامة عـلى درب التقارب بينهما ٠ واستخدمت لأول مرة فى أسبانيا خطة تكرر ظهورها دون تعديلات تذكر حتى ٢٥ أبريل ١٩٤٥ ٠ وبدت مساهمة ألمانيا فى الحرب وكأنها « بروفة » للحرب العالمية الثانيـة التى كانت تعـد لها منـذ ١٩٣٧ ٠ اذ تم اختبـار الرجال والعتاد ، كما جربت وسائل الابادة المتطورة التى استخدمت بنجاح فى بدايات الحـرب العالمية الثانيـة ٠ وكان تدخـل النازية والفاشية فى الحرب الأسبانية سببا فى اشعال بؤرة نشطة معادية للشيوعية لمدة ٣ سنوات ، حالت دون تشـكيل جبهة معادية لهتلر وحققت لألمانيا فوائد اقتصادية هامة ٠ وكانت أهداف ايطاليا الفاشية من التدخل ــ بعكس ألمانيا الهتلرية ــ ذات قيمة عملية ضئيلة ٠ اذ لم يكن التوصـل الى خيار استراتيجى لتحييد الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض يحتاج الى مغامرة عسكرية استمرت ثلاث سـنوات وتكلفت ٣٠٠٠ قتيل و ١٤ مليـار ليرة (ضـعف ميزانيـة ايطاليا العسكرية) ، ونتج عنها خسـارة كميـة هائلة من

المعدات شملت : ٢٥٠٠٠ بندقيــة ، و ٢٠٠٠ مدفع ، وما يزيد على ٧٥٠ طائرة أو ما يوازى ثلث ما تملكه ايطاليا من عتاد . وقد حالت تلك الخسائر بطبيعة الحال دون تعويض ما فقد في الحرب الأثيوبية من أسلحة ومهمات .

لقد خلق الانتصار في أفريقيا لدى موسولينى انطباعا خاطئا بأنه قائد عسكرى ملهم ، وبأن جيشه قوى . لذلك نجده يساند قرار « ولى عهده » تشانو ـ الذى أصبح وزيرا للخارجية منذ ٦ يوليو ١٩٣٦ ـ بالتدخل فى أسبانيا الذى جر على بلاده الخراب والذى اتخذه لمجرد اشباع رغبته فى اثبات ذاته . وظلت تقارير القائد العام فى أسبانيا تذهب رأسا الى تشانو لمدة عام كامل ، بينما اقتصرت مهمة ممثـل وزارة الحربية ألبرتو باريانى ، الذى عينـه موسـولينى مكان بايستروكى العنيد ، على مجرد الشكليات .

وكان الجانب العقائدى سبب التزام موسولينى بالتدخل فى الحرب الأهلية الأسبانية ، نظرا للمكانة المحورية التى أصبحت معاداة الشيوعية تحتلها فى سياسـته الخارجيـة ، كما يتضح من ندائه للشـعوب الأوروبيـة فى ١٨ ينـاير ١٩٣٨ : « ان الشيوعيـة هى الخطر الوحيـد الذى يهـدد حضارتنا وسلامة أراضينا ومدنيتنا » . وفقد دور موسولينى كمناضل ضد المعاهدات الظالمة أى معنى بعد انتصـاره فى أثيوبيا واختلال التوازن الدولى الذى خلقته معاهدة فرساى بشكل غير قابل للاصلاح .

تبلور منظور موسولينى السـياسى والعقـائدى بشـكل نهائى أثناء رحلته لألمانيا فى سـبتمبر من نفس السـنة . وكانت تلك أول مرة يسـافر فيها للخـارج منذ لوكارنو . لذلك لم يتـوان فى ابـراز طابع رحلتـه غـير العادى : « لا يجوز مقارنة زيارتى لألمانيا بالزيارات الدبلوماسية أو السياسية المماثلة ... اذ لا يعنى حضورى الى هنـا أننى سأزور مكانا آخر غدا » . وانبهر موسولينى باستعراض

القوة والحماس الذى استقبل به والذى أعده جهاز الدعاية النازى ، والذى يصفه قائلا : « استقبلت فى عاصمة الرايخ استقبال الفاتحين ٠٠٠ فقد اصطف مليونان من سكان برلين على جانبى الطريق لمسافة ١٥ كيلو متر وهم يرددون بلا انقطاع « دوتشى ، دوتشى ، دوتشى » ٠ وأدرك موسوليني بعد زيارته لمصانع كروب فى ايسن ومن لقاءاته مع الآلة العسكرية الألمانية أن قوتها بلا حدود وأنها تستطيع تنفيذ مشاريع كانت تبدو مستحيلة حتى ذلك الوقت ٠ وحاول أثناء الزيارة توثيق الروابط بين البلدين بشكل ملموس باستخدام شعارى محاربة الشيوعية والاكتفاء الذاتى : « ان للنازية والفاشية عدو واحد فقط ، موجود فى كل مكان ولا يخدم الا الدولية الثالثة سيده الوحيد » ٠ وبات واضحا أن هتلر قد سيطر على شخصية موسولينى باستعماله لجاذبيته التى لا تقاوم مع ما تحتويه من قوة تمثل عنصر السلطة الفعال الذى كان يستهوى موسولينى على الدوام ٠

وتوالى تدهور علاقته بالديمقراطيات الغربية بسرعة بعد عودته الى ايطاليا ٠ ففى ٢٦ نوفمبر ١٩٣٧ ، وقعت ايطاليا على حلف معادا الكومنترن الذى سبق لألمانيا واليابان التوقيع عليه فى العام السابق ، ثم أعلن فى ١١ ديسمبر انسحاب ايطاليا من عصبة الأمم وسط جو مشحون بالتوتر ، كما يتضح من الوصف التالى : «لم يتبق سوى دقائق على الحادية عشرة مساء ٠٠٠ لقد ظهر الآن سعادة سكرتير الحزب ستاراتشى فى الشرفة ٠٠ انه ينادى قائلا : « أصمتوا أيها القمصان السود فالمجلس الأعلى يقترع على القرار الآن » ٠ ويصمت الجمهور فى الحال ٠٠ وبعد دقائق تفتح نوافذ قصر فينسيا ويظهر أعضاء المجلس الأعلى والدوتشى فى الشرفة الوسطى ٠٠ وبعد قيام سكرتير الحزب بتهدئة الجماهير ، يبلغهم قرار المجلس ٠٠ : « أيها القمصان السود، لقد وافق المجلس على قرار الدوتشى بالانسحاب من عصبة الأمم » ٠ ويدوى فى الحال تصفيق حار فى أرجاء الميدان ٠

كان ادخال الموضوعات العرقية فى سياسة الفاشية من أهم نتائج تأثرها بالنازية • اذ لم تعد المسألة مجرد عنصرية مقننة مثل تلك التى كانت تمارس فى آثيوبيا ، والتى كانت تشبه نظام جنوب افريقيا العنصرى ، والتى لم يكن لها اطار سياسى نظرى ولم تتخذ طابع الممارسة السياسية• ولم يشرع الدوتشى فى وضع صياغة مبدئية لها الا بعد عودته من المانيا ، فنجده يقول : « لسنا مغولا ولا حاميين أو ساميين • وما دمنا لا ننتمى الى تلك الاعراق فلابد أننا آريون قدموا من الشمال من وراء الألب•• لذلك أرى أننا آريون خالصون من حوض البحر الأبيض المتوسط » •

وانتشرت النية المعادية للسامية فى مطبوعات النظام ، وتعرض الرأى العام لحملة دعائية منظمة لم يسبق لها مثيل تكشف محتوياتها عن أصولها الألمانية • اذ لم يكن فى ايطاليا المناخ الذى سمح لمعاداة السامية بأن تصبح جزءا أساسيا من العقيدة الهتلرية • كما أن الفاشية لم تتواءم مع معاداة السامية الا بصورة جزئية لأن موسولينى كان يستخدمها لتحقيق أهداف سياسية لا علاقة لها بالعراق من قريب أو بعيد • ولم يتبناها سوى جناح الحزب المتطرف المتعصب للألمان والمؤمن بنظريات هتلر ، مثل فاريناتشى وبريتشوزى، أما موسولينى وغيره من قيادات الحزب فلم يستخدموا معاداة السامية الا لحشد الطاقات العقائدية تمهيدا لما أسموه بالموجة الثالثة التى كانت تستهدف تحضير الأمة لدخول الحرب •

خلفت هزيمة القوات الايطالية فى جوادالاخارا بأسبانيا فى مارس ١٩٣٧ الذهول والحسرة فى نفوس الشعب ، ولا سيما لكونها نتيجة جهود الايطاليين المعادين للفاشية الذين كانوا يحاربون هناك •• واهتز موسولينى شخصيا بسبب الهزيمة • اذ اتضح له ضعف استعداد الجيش بصورة لا تقبل الشك ، الا أنه أخذ يتخبط فى ايجاد المبررات كقوله : « •• انها انتصار وليست هزيمة ولكنها الأحداث التى منعتنا من استغلال الفرصة » • وكان الانتصار

على الأثيوبيين قد ترك في نفس الشعب شعورا خطرا بالشبع والاسترخاء ، فلم تعد محاربة الشيوعية التي كان يروج لها الحزب تفي بغرض تحريك الروح العقائدية ، بعد أن قام الحزب الشيوعي بممارسة نشاطه في الخفاء • وكان تمسك سكرتير الحزب ستاراتشي بالشكليات مضحكا ومثيرا لسخرية ونفور الشعب ، كمنع استخدام الكلمات الأجنبية ، وفرض استعمال « يعيش الدوتشي » عند التحية • لذلك أصبحت معاداة السامية وسيلة مساعدة استعان بها الدوتشي، بالاضافة الى احيائه لمعاداة البورجوازية لالهاء الشعب عن التفكير في الأزمة التي خلقتها هزيمة جوادالاخارا وقيام ألمانيا بضم النمسا الى أراضيها •

وقضى تدخل ألمانيا في النمسا في ١٢ ــ ١٤ مارس ١٩٣٨ على سمعة ايطاليا الفاشية الى حد بعيد • اذ اضطر موسوليني الى الاعتراف بالأمر الواقع الذى كانت قرارات حليفة تواجهه به • فيقول في تلك المناسبة : «لسنا من أنصار مكيافيللية حقيرة •• بل اننا نعتقد أن في حالة وقوع حدث لا مفر من وقوعه فخير لنا أن نؤيده بدلا من أن يتم رغما عن أنوفنا أو من أن نتعرض لأخطار محاربته » • وتتخلل محاولاته للدفاع عن نفسه في ١٦ مارس واقعية مريرة ، بعد أن انتقل زمام المبادرة على الساحة الأوروبية الى هتلر بعد ضمه للنمسا • ولم يتبق لموسوليني الا محاولة الانتقام لنفسه بوسائل عقائدية محضة حتى يقاوم روح الاكتئاب والارتباك التي سادت صفوف نظامه •

وفي ٢٥ أكتوبر ١٩٣٨ مهد للموجة الثالثة بخطبة خاصة ألقاها أمام ملس الحزب الفاشي القومي يعرف فيها البرجوازية ــ مع شيء من التساهل لارضاء مثاليات ماضيه السياسي ــ بأنها كيان سياسي أخلاقي يقول عنه «البرجوازى عدو الرياضة بل عدوها اللدود وعدو كل ما يمكن مزاجه •• انه مسالم بطبيعة الحال ، كما أنه طيب القلب ، متدين ورقيق المشاعر وعطوف في كل الأحوال ، الا أنه عقيم

يحسب لكل شيء الف حساب .. والمبالغة في التحسب عدو العفوية والفطرة الأصيلة في الانسان » . ويسترسل موسوليني في وصف الضربات الموجعة التي سيسددها لذلك الخصم لاجباره على الركوع على قدميه ، مثل : اتباع الخطوة الرومانية ، تحريم استعمال الكلمات الأجنبية ، اثارة القضايا العنصرية ، الزام الموظفين بارتداء الزى العسكرى (لابد من تحويل ايطاليا الى ثكنة عسكرية) ، المحور (المحور رمح يخترق أمعاء البورجوازيين الذين يغازلون فرنسا من جهة ، ويعتبرون انجلترا المثل الأعلى لكل الدول بل ولكل انسان مهذب من جهة أخرى) . وتوجه بندائه في المقام الأول لجماهير الشباب التي سبق له اختيارها لتجاوبها عندما فعل نفس الشيء عندما انسحب من الحزب الاشتراكي ، ولكن كان في كلامه هذه المرة نبرة تضليل وتكلف للمضمون الخفى الذى كانت تحمله في طياتها : الاستعداد للحرب .

وكان التفكير في الحرب هو العنصر الذى يربط بين المواضيع المختلفة التى تضمنتها حملة التمهيد للموجة الثالثة . وكانت أسطورة الاكتفاء الذاتي التي وصفها بأنها معركة استقلال اقتصادى لم ولن يفر منها أو يتلكأ في الانضمام اليها مخلوق ، والدعاية المضادة للبورجوازية ، كانتا تخفيان خلف حتمية الحرب واقعا يخدم كتلة رجال الصناعة والمال والزراعة التي كانت المستفيد الأول من قرارات الاكتفاء الذاتى . التى قامت الفاشية بارساء قواعدها منذ الثلاثينات للتغلب على الأزمة الاقتصادية في تلك الأيام . وذلك عن طريق النهوض بالصناعات الحربية والأساسية وتخفيض الاستهلاك الى أقصى درجة ممكنة .. وفي المرحلة اللاحقة التى بدأت في ٢٣ مارس ١٩٣٨ أصبح بناء الاقتصاد الايطالى الجديد يهدف الى تحقيق استقلال كامل فيما يتعلق بالحصول على المواد الخام مع تحويل الصناعات الأساسية الى انتاج ما تحتاجه البلاد للدفاع عن نفسها .. ولم يتم تنفيذ هذه الاتجاهات الا في ١٩٣٧ عندما اتضحت العلاقة بين الاكتفاء الذاتى والحرب للجميع .

وانشغل موسولينى آنذاك بتنسيق سياسة الاكتفاء الذاتى بنفسه متغلبا على قلة صبره المعهودة على المسائل الاقتصادية . ولكنه لم يحقق مع ذلك سوى نتائج متواضعة . ويقول فى تلك المناسبة : « ان التخلى عن سياسة الاكتفاء الذاتى فى عالمنا المعاصر الذى تحول الى ترسانة للسلاح يعنى ببساطة أننا سنصبح فى حالة قيام حرب تحت رحمة أولئك الذين يملكون ما يحتاجون اليه ويستطيعون شن الحرب دون التقيد بوقت أو امكانات معينة » . . وكان تقييمه السطحى لبعض الاوضاع كقوله ان دولا عديدة ستبدى استعدادها لتزويد ايطاليا بما تحتاج اليه من فحم ، وتوقعاته غير العملية بظهور اختراعات جديدة كحديثه عن « انتصارات عبقرية الباحثين ورجال الصناعة الايطاليين وانتصار العقيدة السياسية بفضل الشعور بالحاجة ولدواع قومية » يتناقضان مع وضوح رؤية رجال الأعمال الذين استغلوا الاكتفاء الذاتى لمصلحتهم الخاصة . ففى الوقت الذى حصلوا فيه على ضمانات كبيرة بخصوص الانضباط الاجتماعى وفرص لتحقيق ارباح بلا حدود ، لم يسمحوا لموسولينى او لنظامه بأى تدخل يذكر فى شئون الانتاج .

ولم يكن حل مشكلة تحويل الصناعة الى الانتاج الحربى لتتم الا بتغيير بنية المصانع ، فضلا عن ضرورة تحديثها من الناحية التقنية ، وتطبيق المواصفات التى تسمح بانتاج العتاد والأسلحة والمركبات واستغلال طاقة المصانع وقدرات العمال الى أقصى حد مستطاع . وكانت الامكانات المتوفرة فى ذلك الوقت لا بأس بها . اذ شملت ٨٧٦ مصنعا اضافيا تخضع لادارة التسليح العامة والتى كان يعمل فيها ٥٨٠٠٠٠ عامل يخضعون للنظام العسكرى . ومع ذلك ، لم يفكر أحد فى تجهيز المصانع للانتاج الحربى بجدية ، فكان أصحابها يطبقون مواصفات مختلفة تماما عن المطلوب . وكانت اتجاهاتهم الرئيسية نحو استمرار الانتاج بصورة طبيعية لتلبية احتياجات السوق المدنية ، وضمان ذلك الاستمرار .

فقد استولت عليهم حمى الانتاج بفضل سياسة الاكتفاء الذاتي والخلافات القائمة فى داخل البلاد • وفى الحالات النادرة التى كانت تكلف فيه المصانع بانتاج معين ، كان النظام يدفع لأصحابها أسعارا باهظة لضمان تعاونهم • فكانت الحكومة تدفع نسبة تصل الى ١٥٪ من السعر مقدما لانتاج مدافع قد لا تظهر أول نماذج لها الا فى ١٩٤١ • وبعد أن فرض موسولينى ضريبة مركبات لمدة ٣ سنوات على كل سيارة جديدة لتسهيل انتاج مركبة موحدة طبقا للمواصفات التى تقدمت بها القوات المسلحة فى ١٩٣٧ ، تعهدت شركة فيات بانتاج شاحنات وسيارات جيب للأغراض العسكرية وكان انتاجها الشهرى خلال سبتمبر ١٩٣٩ قد وصل الى ٥٩٤٠ سيارة مدرعة شاحنة وسيارة نصف نقل للأغراض المدنية ، و ٥٠ مركبة عسكرية و ٣٥٠ شاحنة للقوات المسلحة فى نفس الشهر • كما انتجت فى شهر واحد ٩ دبابات وآلية نصف مجنزرة • ولم يكن ذلك بسبب التخريب لأن وجهات نظر أنييللى صاحب فيات والقيادة العامة كانت متفقة مع بعضها تماما • فكان الجنرال فافاجروسا مدير الانتاج الحربى يحرص على استمرار الانتاج على ما هو عليه اثناء تلك الفترة من الانتاج الصناعى المدنى • فأثبت موسولينى بذلك بصورة لا تقبل الشك عجزه الكامل عن الافلات من تأثير رجال الصناعة •

وأدى اشتراكه فى قضايا الاستعدادات العسكرية الى نتائج هزيلة • فكان اقحامه لاجتهاداته الخاصة فى تفسير هزيمة (جوادالاخارا) فى كل خطوة جديدة ، وترديده المستمر لأسطورة فرصة النصر الضائعة لمعارضة الحقائق يحولان دون اجراء عملية تطهير فعالة فى صفوف قيادات الجيش للتخلص من القادة غير الأكفاء • ولم يكن موسولينى يشترك شخصيا فى الخلافات الحادة القائمة فى صفوف القوات المسلحة بل كان فاريناتشى يطلعه على نتائج المداولات الجارية التى كانت تدور أساسا حول ميكنة القوات المسلحة ، وطرق تطوير وسائل الحرب الخاطفة ، وتشكيل فرق جديدة

مكونة من كتيبتين . وقام الجميع بتقييم أحداث جوادلاخارا التي كانت أهميتها تتجاوز مجرد الوقائع العسكرية . وبدأت الفرحة الغامرة التي استولت على الجميع بعد النصر في الحبشة والذي عزز نظرية الحرب الخاطفة ومعنويات الجيش ، في الاصطدام بواقع النقص في المعدات والذي أدى الى هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية . وقام فاريناتشي المؤيد للنازية والذي كان يعتبر القوات المسلحة حليف الفاشية الرئيسي في اطلاق الموجة الثالثة بمهاجمة باريانى ومشروعه الخاص باعادة تنظيم الجيش وتشكيل فرق جديدة مكونة من كتيبتين مع تطبيق مواصفات خاصة بالتسليح . وكان ألبرتو باريانى من الجناح المعتدل الذى يضم تشانو وجماعته . وكان رد فعله لنقد خصومه هو اتهامهم بالانهزامية . لقد أثار غضبه بصورة خاصة تقييمهم السلبى لكفاءة المدرعات التى كانت وزارة الحربية قد طلبت صنع كمية كبيرة منها . وبالرغم من أهمية القضايا التى كان يتناولها هؤلاء الأشخاص بالنسبة للنظام الحاكم الا أن خلافاتهم بشأنها اتخذت طابع خلافات مراكز القوى فى داخل الحزب . الأمر الذى لم يؤد الى تحسن مستوى التسليح بل انتهى به الى التدهور المريع .

وامتنع موسولينى كعادته عن اتخاذ موقف فى البداية ، واكتفى بوصف المناقشات بأنها ايجابية ومثيرة للاهتمام بصفة عامة . وكان ضم ألمانيا للنمسا هو الحدث الذى فرض عليه التدخل مرة أخرى فى شئون التسليح . فألقى خطبة أمام مجلس الشيوخ فى مارس ١٩٣٨ ، وكانت تلك هى المرة الثانية التى يعلن فيها اهتمامه باستعداد البلاد من الناحية العسكرية بعد خطبته التى ألقاها فى أبريل ١٩٢٥ . فاقترح حلا وسطا من الحلول التى اشتهر بها . فكان رأيه عدم اغضاب فاريناتشى لأنه كان سيصبح وزيرا للدولة بعد مدة وجيزة ، ولأنه كان قبل كل شىء يستمتع بتأييد الألمان . وكان باريانى وقيادة الجيش من ناحية أخرى فى وضع قوى ويحظيان بمساندة الملك . لذلك شجع موسولينى الحرب

الخاطفة ، وعبر عن رأيه بحرص فيما يتعلق بميكنة القوات المسلحة لاتفاق لهذا الرأى مع رأى باريانى منافس فارينا تشى . أما فيما يتعلق بتشكيل الفرق ، فقد ابتدع تشكيلا جديدا يجعل كل فرقة تتكون من اربعة كتائب . وهو رأى لا يختلف كثيرا عن رأى باريانى الخاص بفرقة الكتيبتين ، واللتين اضاف اليهما موسولينى كتيبتين من الميليشيا . وكان لهذا التلاعب بالألفاظ وما صحبه من رياء عواقب وخيمة فيما يخص صياغة تخصيص سلطة اصدار الاوامر التى يقول عنها موسولينى : « لقد حلت ايطاليا الفاشية مشكلة من ينفرد بسلطة اصدار الأوامر التى أقلقت البلاد الأخرى . فرئيس الدولة يصدر التعليمات السياسية والإستراتيجية الخاصة بادارة الحرب ، ويعتبر رئيس الاركان والجهات المعنية مسئولان عن التنفيذ . لذلك ستخضع ادارة الحرب ، كما حدث فى الحبشة ، لقيادة الملك وتوجيه من شخص واحد فقط دون سواه ، وهو من يحدثكم الان » . ويعتبر الرأى السابق صياغة حديثة للثالوث ! .. سلطة واحدة موزعة فى آن واحد على ثلاث جهات !

وكانت للهوة السحيقة التى تفصل بين مشاريعه الخيالية وقدراته الفعلية على ادارة العمليات العسكرية نتائج ضارة . كما كانت تنبؤاته المتهورة والخاطئة مثل ما أعلنه أثناء المناورات الكبرى التى جرت فى صقلية فى سنة ١٩٣٧ كقوله : «لن يجرؤ انسان مهما بلغ به الجنون ان يتخيل تعرض بلادنا للغزو .. لن يطأ شواطئنا أحد ولا حتى جندى واحد » ، وحماسه الصبيانى للخطوة الرومانية ، تنم كلها عن جهله الفاضح بالأمور العسكرية الذى قضى عليه فى النهاية . ويكتب جالياتزو تشانو فى يومياته فى فبراير ١٩٣٩ فيقول : « ان موسولينى يهتم شخصيا بأدق التفاصيل وأتفهها .. اذ كثيرا ما يقف لمدة نصف ساعة كاملة خلف الستائر الزرقاء لمشاهدة الجنود أثناء سيرهم . وكان يصر على أن يقوموا بالنفخ فى الأبواق ودق الطبول بصورة مستمرة .. انه يهتم بالشكل أكثر من اهتمامه بالمضمون» .

ومع ذلك ، دفعت الخطبة التى القاها موسولينى أمام مجلس الشيوخ كونستانزو تشانو - والد جالياتزو - الى إقتراح مشروع قانون مكون من مادتين ينص على انشاء رتبة مارشال امبراطورية ، ومنح هذه الرتبة «لجلالة الملك وسعادة بنيتو موسولينى زعيم الفاشية» • وتمت الموافقة على القانون وسط هتاف الحاضرين • وتقبل الملك القانون على مضض ، فاحتج فى البداية ثم ما لبث ان وافق على مساواته بموسولينى مع ما فى ذلك من خرق للعرف •

يصف موسولينى ما حدث فى ميونيخ فى سنة ١٩٣٨ بأنه شيء عظيم انه يعنى نهاية البولشفيه والشيوعية فى أوروبا ونهاية اى نفوذ لروسيا فيها • وكان دور موسولينى كوسيط فى حل الأزمة التشيكوسلوفاكية فى سبتمبر ١٩٣٨ فى مؤتمر ميونيخ آخر نجاح سياسى هام له • واحتفى الرأى العام الايطالى بموسولينى كداعية للسلام بصورة لم تحظ بها فتوحاته العسكرية فى يوم من الأيام • ولكنه اكتشف فى ميونيخ أيضا أن الديمقراطيات الغربية عاجزة عن التصدى لمطامع هتلر ، وأن التوازن الدبلوماسى الأوروبى قد اختل تماما وبصورة جعلت قيام الحرب لا مفر منه •

أرجع موسولينى توطيد علاقته بالنازية لاستسلام الانجليز والفرنسيين فى ميونيخ •• وسبق الحملة المعادية لفرنسا ، والتى كان موسولينى وراءها ، توقيع الحلف العسكرى بين ايطاليا وألمانيا الذى شجعه ريبنتروب قبل ٢٨ أكتوبر بمدة بسيطة • وكانت الضغوط التى مارسها الألمان على ايطاليا للاسراع بالانضمام للحلف الفولاذى تعود لاعتبارات سياسية وعقائدية • اذ كان ضباط النازى لا يثقون بكفاءة القوات المسلحة الفاشية • وكتب الجنرال فون بلومبرج وزير الحربية الألمانى تقريرا سلبيا عن مناورات المشاة فى جبال الأبنين وعن أداء الطيران والبحرية الذى حضره فى يونيو ١٩٣٧ • وكان رأى الجنرال هالدر رئيس الأركان الألمانى فى النماذج القليلة التى شاهدها من

الدبابة الايطالية م ـ ١ أثناء مناورات أغسطس في وادى نهر البو سيئا للغاية · وكان احتلال ألبانيا العامل الذى دفع الألمان لفرض الحلف العسكرى على ايطاليا حتى يقيدوا حركتها في المجال العسكرى فيحيدوا بذلك أية مغامرة عسكرية محتملة قد تخل بالخطة الألمانية المرحلية الدقيقة التى أعدت استعدادا للحرب · ولعبت أحداث ألبانيا دورا هاما في احياء الحلف المعادى للفاشية الذى اشتركت فيه الولايات المتحدة والذى حاول هتلر عن طريق دسائس دبلوماسيته منع قيامه · وفي ٢٢ مايو ١٩٣٩ تم التوقيع على الحلف الفولاذى ، وفي ١٥ مارس احتل الألمان بوهيميا ومورافيا (الأجزاء الباقية من تشكوسلوفاكيا) ، وفي ١٢ أبريل أعلن اتحاد مملكتى ايطاليا وألبانيا تحت التاج الايطالى ·· وكانت كل تلك التواريخ وثيقة الصلة ببعضها ·

ذهل موسولينى من اقدام هتلر على احتلال بوهيميا ومورافيا · ويكتب تشانو في يومياته يوم ١٣ مارس قوله : « لم يكن موسولينى يعير الأزمة التشيكوسلوفاكية اهتماما خاصا » · وعندما جاء الأمير فون هيسن ليبلغ موسولينى بالأمر الواقع ، منع الأخير الصحافة من ذكر أى شىء عن هذا الموضوع الذى يقول عنه : « سيسخر منى الايطاليون ·· اذ كلما احتل هتلر بلدا بعث الى برسول » · ويصف تشانو الذى كان يراقب أحداث تلك الفترة عن كثب موسولينى بأنه كان مهزوزا ومهموما ومكتئبا · وفي وسط هذا الجو المفعم بالتوجس والاحباط نتيجة الشعور بقوة الحليف الألمانى التى لا حدود لها ، أصبح المشروع الألبانى الذى كان يعد له منذ فبراير جاهزا للتنفيذ · وكانت ألبانيا محتلة بالفعل بفضل مؤامرات تشانو التى جعلت منها لقمة سائغة · واستطاعت الفاشية بفضل احتلال ألبانيا تضليل الرأى العام الايطالى مرة أخرى حول عدم تكافؤ طرفى المحور · وفي ٢٣ مارس أمر موسولينى الحملة بالتحرك ، فنزلت القوات الايطالية

على شواطىء ألبانيا في دوراتزو ، وانتهت الحرب في ١٢ أبريل • وحدث ذلك في الوقت الذى حقق فيه فرانكو نصره النهائي في اسبانيا ، والذى أمر فيه هتلر الجنرال كيتل بالهجوم على بولندا في أول سبتمبر •

ولم يشعر موسوليني أن الأحداث على وشك الانفجار بالرغم من اقتناعه منذ مدة طويلة بحتمية نشوب صراع عالمى • وبالرغم من تحصين نفسه خلف متاريس الولاء للصداقة الألمانية ، الا أنه كان يأمل دائما أن يتأجل الصراع لان نظامه لم يكن مستعدا • فيؤكد عشية التوقيع على الحلف الفولاذى في حديث مرتجل في تورينو طبيعة الحلف السلمية ويستبعد نشوء أزمات حادة أو خطيرة في أوروبا تستدعى قيام حرب • ويقول في مذكرة استعرضت أثناء مباحثات تشانو وريبنتروب في مايو ١٩٣٩ : ان احتمالات النصر في الحرب لن تتوفر الا اذا قامت بعد سنة ١٩٤٣ ، كما صاغ في المذكرة المراحل المطلوبة لاعداد ايطاليا للحرب في ثمان نقاط • كان أولها ضرورة انتظار المعرض الدولى المزمع اقامته في روما في ١٩٤٢ لما سيأتى به لخزينة الدولة من عملات صعبة وآخرها ضرورة تجديد سلاح المدفعية بالكامل • وكان موسوليني يشعر بالمرارة من عجزه عن السيطرة على مشاريع هتلر • ويرسل أتوليكو سفير ايطاليا في برلين تقارير مقلقة عن الاستعدادات التى تجرى لشن الحرب ، في الوقت الذى لم تكن ايطاليا تعرف فيه شيئا عن المباحثات الجارية بين ألمانيا والاتحاد السوفيتي • واضطر تشانو في النهاية الى السفر الى ألمانيا لاستطلاع الأمر بنفسه ، وتبليغ هتلر بضرورة الانتظار ثلاث سنوات على الأقل ، واستغلال تلك الفترة للدعوة الى انعقاد مؤتمر دولى • وقابل تشانو هتلر وريبنتروب في ١١ و ١٢ و ١٣ أغسطس على التوالى في سالزبورج وبريشتسجادن قبل نشوب أزمة دانزج بمدة بسيطة • وكان على الفاشيين في هذه المرة التخلى نهائيا عن أية آمال خاصة بتأجيل قيام الحرب • اذ كانت ألمانيا قد

قررت الهجوم على بولندا في آخر أغسطس ، وكانت نصيحة هتلر للايطاليين بتجنب التحرش بيوغوسلافيا .

وتضاربت ردود أفعال موسوليني حول أحداث تلك الفترة كما يقول تشانو . اذ أعد نفسه لاحتمال من اثنين الابتعاد عن المانيا بصورة تحفظ ماء الوجه في حالة هجوم الديمقراطيات الغربية انتهاز فرصه انتصار الديمقراطيات في حالة حدوثه لتصفية حساباته مع يوغوسلافيا بصورة نهائية (يوميات تشانو ١٥ أغسطس) ويستطرد تشانو في يومياته قائلا : « يعتقد موسوليني في نفس الوقت أن الديمقراطيات الغربية قد لا تتحرك وأن ألمانيا قد تحقق انتصارا باهرا لا يريد أن يحرم من جني ثماره .. وكان يخشى غضب هتلر في نفس الوقت . اذ ان الغاء الحلف أو أى اجراء مشابه قد يدفع هتلر الى تأجيل مشاريعه الخاصة ببولندا لتصفية حساباته مع ايطاليا » .

كانت ردود فعل موسوليني اذن تتصف بمزيج من القلق والانتهازية . اذ اتحدت تدخلية ماضيه مع انتهازيته الجديدة . ودفعه ادراكه لضعف استعدادات ايطاليا من الناحية العسكرية ، وعدم وجود بدائل لخطط هتلر الى البحث عن مصلحته الخاصة في ظل الخيار الألماني ، الأمر الذى أشعره بالذل والمهانة . فقام باخطار الألمان أن ايطاليا لا تنوى الاشتراك في الصراع الذى سيبدأ في ٢٦ أغسطس . وكان هذا القرار ضربة موجعة للدوتشي في رأى تشانو ، اذ وجد موسوليني نفسه معزولا على هامش الأحداث لأول مرة .

وبدأت مرحلة الحياد بعد اعلان ايطاليا عدم اشتراكها في الحرب . وكان الحياد صدمة قوية لنظام ظل يروج للحرب لسنين طويلة . حاول الفاشيون التنفيس عن غضبهم باعلان استنكارهم لخديعة النازى الذين وقعوا الحلف السوفيتى الألمانى دون تكليف أنفسهم مشقة ابلاغ شركائهم بالخطط العسكرية التى سبق لهم اعدادها . وبلغت هيستيريا

معاداة الألمان ذروتها عندما أدت الى تشكيل وزارة جديدة وتولى أنصار مجموعة تشانو المتعصبين للحياد مناصب هامة . وفسرت خطبة لوزير الخارجية أمام مجلس النواب أنها تمهيد لقطيعة متيرة مع المانيا ، وكان فى معسكر تشانو — الذى كان مساهما فى مصانع ترنى — مجموعات احتكارية من اصحاب مصانع الحديد والصلب وشغل المعادن أو حزب الاعمال الحرة الذى لم يكن يهمه سوى الاستفادة من المانيا ومن اسواق الحلفاء المفتوحة امامه اى الحصول على الفحم من الألمان وادوات الانتاج من الولايات المتحدة ويصف تشانو هذا الاتجاه بقوله : « لقد اتت سياسة الحياد بثمارها ، وارتفعت الاسعار فى البورصة الى السماء ، وبدات الطلبيات فى الوصول من فرنسا .. والسفن المكتظة بالبضائع تجوب البحار بعد أن تضاعفت أسعار الشحن » . ولكن كان استمرار الحياة مستحيلا بالنسبة للفاشية التى كانت مؤشراتها السياسية والاقتصادية كلها تتجه نحو الحرب .

وفى هذه الساعات الحرجة ، دفعت الفاشية ثمن عدم وجود كوادر قيادية تتولى التصدى لموسولينى وولائه وصداقته للألمان . وكان كل ما تبقى من تناقضات فى علاقته بهتلر مجرد شعوره بخيبة الامل من اللطمات التى تلقتها انانيته .. واستمر فى اصراره على مواصلة ولائه للألمان بصورة كان خصومه من الايطاليين لا قبل لهم بمحاربتها . فقد تمكن هتلر منذ مدة طويلة من كسب ثقة موسولينى العمياء باعتماده على عاملين رئيسيين : منطق القوة وديناميه الفعل . وعاد موسولينى مرة آخرى الى التلاعب بتواريخ دخول الحرب التى سبق له تحديدها ، ففكر فى أن يكتب لهتلر يبلغه بأنه حدد دخول ايطاليا الحرب فى سنة ١٩٤٢ . وفى يناير أخذ فى التحدث عن النصف الأول من سنة ١٩٤١ ، وأثناء انعقاد مجلس الوزراء فى ٢٣ يناير اقترح النصف الثانى من سنة ١٩٤٠ أو ربما النصف الأول من ١٩٤١ الذى كان يحبذه بحجة « أن الاستمرار فى الحياد

حتى نهاية الحرب سيجعل من ايطاليا قوة أوروبية من الدرجة الثانية » · وبعد مقابلة هتلر في ١٨ مارس قرر دخول الحرب بسبب حنقه على الشعب الايطالى لأنه لا يشاركه حماسه للحرب فيصفه بأنه شعب من الخراف ، وبسبب شعوره بالاحباط الذى جعله يقول : « ستنطلق المدافع من تلقاء نفسها قريبا ·· اذ يستحيل أن أصبح أنا بالذات مثار سخرية أوروبا وان استمر في تجرع الاهانات » · وشرع في كتابة الخطط الاستراتيجية بنفسه وعممها على كبار القادة العسكريين في ٣١ مارس · وكانت خطته تقتضى اتخاذ موقف دفاعي في جبال الألب الفرنسية ، وموقف دفاعي في بحر ايجه وليبيا ، وترقب حذر في مواجهة يوغوسلافيا، والانتظار في البانيا ، والهجوم في كسلا وجيبوتى والدفاع في كينيا · وكان على البحرية القيام بشن حرب هجومية في كل البحار ، وكان على الطيران مساندة الأسلحة الأخرى· كانت القضية اذن دخول الحرب وتحمل مسئولية البدء في العمليات العسكرية مع اتخاذ وضع دفاعى على كل الجبهات·

وكانت الترتيبات الاستراتيجية تعكس بصدق أهداف ومطامع الفاشية التى أعدها لدخول الحرب · وقضى الحصار البحرى الذى فرضه الانجليز على السفن التى تنقل الفحم ، وما تردد من اشاعات عن قرب مصادرة الولايات المتحدة لمواد خام وآلات مخصصة لايطاليا على أحلام رجال الصناعة الايطاليين الخاصة بقيام منافسة تجارية في الأسواق · وأصبح تكامل اقتصاد المانيا وايطاليا أمرا قائما لأن المانيا كانت بمفردها تؤمن ٦٠٪ من احتياجات ايطاليا من الفحم· ونظرا لتفوق الألمان بصورة لا تقبل المناقشة ، أصبح على ايطاليا البحث عن مجال للتوسع الاقتصادى حتى لو كان على حساب دول ذات دخل قومى ضئيل وذلك بالاستيلاء على مصادر المواد الخام التى تضمن لها قدرا من الحرية في التسويق ومن الاستقلال في أهدافها الانتاجية · وكان الايطاليون يتابعون ما يفعله الحليف الألمانى عن كثب حتى

لا ينفرد بانتصاراته العسكرية فتزداد الفجوة السياسية والاقتصادية التى تفصل البلدين اتساعا ٠

وتظهر هذه الاتجاهات فى عمليات الايطاليين العسكرية فى أشهر الحرب الأولى بوضوح ٠ فكانت ايطاليا تشن حربا موازية لتلك التى يشنها الألمان ، أى أنها كانت ترفض أى تزامن بين الخطوات التى تتخذها وتحركات الألمان الاستراتيجية ٠ لذلك سعت لتحقيق أهدافها فى ميادين قتال ثانوية مثل اليونان ٠ ومن جهة اخرى ، شاركت ايطاليا فى الصراع الدائر مع فرنسا وانجلترا بشكل محدود وبتردد شديد يكفى بالكاد لتزويد موسولينى « بحفنة القتلى » التى كان يريد استغلالها لضمان مقعد على مائدة المفاوضات المقبلة ٠ فقامت ايطاليا بالهجوم على فرنسا فى يونيو وبهجوم محدود فى برقة (ليبيا) فى سبتمبر ٠ وكان تنفيذ هذين النوعين من الحرب مستحيلا لنقص شديد فى الاستعدادات العسكرية ٠ وكانت الثقة الشديدة فى سرعة انتهاء الحرب والتى زاد من قوتها سقوط النرويج والدانمارك وهجوم الألمان الكاسح فى بلجيكا وهولندا ثم هجومهم على فرنسا تستخدم فى دحض حجة عدم كفاية الاستعدادات ٠

ولكن الأمال المعقودة على الحرب الخاطفة سرعان ما تبددت أمام المقاومة غير المتوقعة التى أبداها الانجليز ٠ فقد كان موسولينى يعتقد أن كل شىء سينتهى فى سبتمبر ـ أكتوبر ١٩٤٠ على أسوأ التقديرات ، الأمر الذى جعله يأمر بتسريح ٦٠٠٫٠٠٠ جندى للمساعدة فى حصاد محصول الخريف والذى كانت له آثار مدمرة على قراره بمهاجمة اليونان فى نفس الوقت ٠ كما قام بتولى مسئولية ادارة العمليات العسكرية بالكامل اختصارا للوقت ، اذ كانت « سلطة الانفراد باصدار الأوامر » غير واضحة ومثار سوء فهم وتناقضات ٠ ونظرا لعدم تحديد الاختصاصات والمهام

بوضوح ، أخذ كل من موسولينى وبادوليو فى عرقلة الآخر الى أن وقع بينهما الصدام الذى أدى الى استقالة الجنرال البيدمونتى العجوز فى ديسمبر ١٩٤٠ · لقد كان من نتائج اختيار موسولينى القيام بدور له هذه الأهمية فى ادارة الحرب انه دفع ثمن أخطاء لم يكن السبب فيها بصورة مباشرة · لذلك لم يتمكن فى ٢٥ يوليو ١٩٤٣ من القاء تبعة الهزيمة العسكرية على غيره · ومما يلفت النظر قيام موسولينى بمحاولته اليتيمة فى ذلك التاريخ لابطال تصويت المجلس الفاشى الأعلى على سحب الثقة منه باعلان أنه أسند سلطة الانفراد باصدار الأوامر للملك ، ولكن بعد فوات الأوان ·

أصدر موسولينى بالرغم من معارضة بادوليو أوامره بالهجوم على فرنسا الذى أدى الى ما سمى بحرب الأيام الثلاثة السيئة السمعة من ٢١ الى ٢٤ يونيو ضد بلد كان قد هزم بالفعل · وتجاهل موسولينى أيضا معارضة الجنرال جراتزيانى ، وأصدر الأمر بزحف محدود على مصر حتى سيدى برانى من ١٤ الى ١٨ سبتمبر · وكان يحاول عن هذا الطريق اللحاق بانتصارات هتلر والوصول الى مركز قوة يمكنه من انتظار غزو انجلترا ومفاوضات الصلح التى كان لابد لها أن تتبعه · وكانت مثل تلك القرارات لاعتبارات سياسية محضة · فقد جعلته انجازاته المبدئية العابرة يعتقد أنه يستطيع الاستغناء بسهولة عن القيادات العسكرية البارزة التى أبدت التردد وعدم الثقة بالنفس فى رأيه · وشعر بفرحة غامرة بعد فشل الألمان فى النزول على شواطىء انجلترا لأنه تصور أنه سيصبح الطرف الرابح الوحيد من شريكى المحور · اذ أنه لم يدرك فى تلك الأيام ، على عكس بادوليو ، أن أى أمل فى حرب قصيرة الأمد تحفظ لايطاليا فرصة الاستمرار فى القتال بكرامة قد ولى الى الأبد · ورفض موسولينى عرض هتلر بارسال فرقة مدرعة لمساعدته عندما تقابلا فى ٤ أكتوبر ، وأمر جراتزيانى بمواصلة

الزحف على مصر ابتداء من ١٥ أكتوبر حتى يحقق نصرا ايطاليا خالصا . ولكن سرعان ما حل الاكتئاب والسخط المعتادان مكان الفرحة عندما غزا النازى رومانيا فى ١١ أكتوبر واحتلوا مصادر نفط فى غاية الأهمية . وتوالت ردود أفعاله لذلك الحدث بسرعة . وكان قد انتهى من اعداد خطط الهجوم على اليونان من ديسمبر ١٩٣٩ ، وفى ١٤ ديسمبر استدعى بادوليو وروواتا لابلاغهم بتنفيذ أمر الهجوم على البلقان ابتداء من يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٤٠ . وحاول القادة العسكريون المناورة لتعطيل تنفيذ القرار الا أن تنفيذها بدأ بالفعل فى ٢٨ أكتوبر ... ولكن سرعان ما تحولت العملية العسكرية الى كارثة . اذ لم تتقدم القوات الايطالية بل تمكنت بالكاد من صد الهجوم اليونانى المضاد . وظهر نقص الأسلحة والمواد الغذائية والعتاد بشكل واضح فى ظروف حرب الشتاء القاسية فى الجبال الواقعة على الحدود الألبانية اليونانية .

وكان لابد من الاعتراف بفشل فكرة الحرب الموازية بعد انتهاء الحرب فى اليونان . اذ أصبح أى خيار عسكرى أو حتى آية خطة عسكرية لا يتمشى مع مشاريع الألمان الاستراتيجية مفارقة تاريخية . اذ لم يعد بمقدور هتلر تحمل أو اصلاح نتائج مغامرات حليفة المزعج . وفرضت ظروف الحرب الطويلة على الجيش الايطالى الاعتماد على آلة الحرب النازية بصورة نهائية . ومن ذلك الوقت أصبحت حرب ايطاليا لصالح الألمان . وازداد هذا الواقع وضوحا بعد تقديم لادوليو استقالته وقبولها فى ٤ ديسمبر ، وحل كافاللرو الحائز على رضا الألمان والذى كان مستعدا للقيام بدور فنى وتنفيذى محض ــ كان موسولينى يريده لبادوليو ــ مكانه . وحاول النظام الفاشى بعد هزائم أفريقيا والبلقان خلال سنوات ١٩٤١ و ١٩٤٢ ممارسة الحكم عن طريق اجراء حركات تطهير مسرحية وخلق موجة جديدة من التعبئة العقائدية . اذ واكب تبادل المناصب بين بادوليو

وكافالليرو ، تغيير مماثل في قيادة الحزب ، فتبادل كل مو
ايتوری موتی وادیلكی سيرينا منصب سكرتارية الحزب
وأخذ جهاز الدعاية الجبار في استغلال تواجد معظم الوزرا
في جبهة القتال لاقصى درجة ممكنة • وكتب موسولینی لهتلر
في ٢٢ نوفمبر في رسالة مؤثرة يقول : « لقد مررت أنا
أيضا بأسبوع أسود ولكن الامور بدات في التحسن» • وقطع
فترة صمت طويلة عندما القى خطبة في روما في ٢٣ يناير
عبر فيها عن ايمانه بالنصر حين قال : « ان الانتصار على
المحور يحتاج قيام انجلترا بانزال قواتها على شواطيءالقارة
الأوروبية •• وهو ما لا يجرؤ انجليزی واحد على مجرد
تخيله مهما بلغ من الخبل أو من اضطراب في الوعي نتيجة
شربه الخمر أو تعاطيه المخدرات » • ويدل هذا الكلام في
ضوء ما حدث فيما بعد على خطأ تنبؤاته • وحاول موسولینی
اتباع نشاطه الدعائي بمبادرات عسكرية نشطة • فذهب الى
ألبانيا من ٢ الى ٢٠ مارس حيث شاهد فشل الهجوم الايطالي
المضاد • وكانت انتصارات هتلر تمثل بالنسبة له فكرة
تسلطية لا يستطيع الفكاك منها (لابد لنا من الانتصار على
اليونانيين قبل ان يطلق الالمان طلقة واحدة) وذلك لرفضه
الاعتراف بأن الحرب الموازية لم يعد لها مكان • ودخلت
القوات النازية أثينا قبل الايطاليين الذين فقدت مكانتهم
العسكرية بعد ذلك أية مصداقية •

وأخذت القوات الايطالية في احتلال دول مهزومة للقيام
أساسا بمهام آمنية • وفشل موسولینی حتى في القيام بهذا
الدور عندما حاول حكم دول صناعية ومتمدنة ، وان كانت
فقيرة ، بأسلوب حكمه للمستعمرات • فكانت الوسائل التى
اتبعها نظام الاحتلال الايطالي في البلقان تقليدية وقاسية ،
لا تقيم أی اعتبار للنظام الثوری الجديد الذي كانت تبشر به
الفاشية ، كما يتضح من تفضيلها التعامل مع أكثر العناصر
السياسية والاجتماعية رجعية مثل الحرس الأبيض في
سلوفينيا والأوستاتشی في كرواتيا • لذلك اضطر الايطاليون

الى اتباع سياسة قمع قاسية ضد حركات المقاومة التى قامت نتيجة لفساد وتآمر الطبقات البورجوازية المحلية ٠

وقضى رجال العصابات في اليونان ويوغوسلافيا على أحلام موسوليني بتولى وضع قيادى فى أوروبا ، كما حرمه هجوم هتلر على روسيا من قيادة حرب عقائدية ضد البولشيفية التى كان يوليها اهتماما كبيرا ٠ لقد تركه هتلر بمفرده في البحر الأبيض حتى يقوم بمواجهة انجلترا ٠ لذلك انفرد موسوليتى بتحديد كم ونوعية مساهمة ايطاليا في الحرب ضد الاتحاد السوفييتى ٠ فقام في ١٩٤٢ بزيادة رجال أول فصيلة ايطالية يرسلها الى روسيا (الفيلق الايطالى) مبررا عمله بقوله : « لابد أن أقف الى جانب الفوهرر فى روسيا كما وقف الى جانبى فى اليونان وكما يفعل الآن فى شمال أفريقيا ٠ وسيكون وزن جيش المائتى وألف رجل فى روسيا أكبر بكثير من الستين الفا الذين كانوا يشكلون الفيلق الايطالى » ٠ وكان ما يزال خاضعا لفكرة ضرورة ابراز قتلاه على مائدة المفاوضات ٠ كما كان يحلم بنهاية سريعة للحرب ولا سيما بعد التطورات الأخيرة التى حدثت فى شمال أفريقيا ٠ ففى صيف ١٩٤٢ أوشك روميل بهجومه المضاد على احتلال مصر ، كما بدا أن النظام الدفاعى البريطانى عن قناة السويس على وشك السقوط ٠ وفى تلك الأيام طار موسولينى الى أفريقيا وقد تمنطق بسيف الاسلام، الذى كان قد أهداه اياه أحد كبار ملاك الأراضى الليبيين ، استعدادا لدخول الاسكندرية دخول الغزاة الفاتحين ٠ ولكنه عاد الى ايطاليا فى ٢١ يوليو وهو يجر أذيال الخيبة ٠ اذ سرعان ما فقد هجوم المحور اندفاعه وتوقف تماما عند العلمين ٠

ولعله أدرك فى تلك الأيام لأول مرة أنه خسر الحرب وأن نظامه على وشك الانهيار ٠ ويتضح تدهور موسولينى الصحى من وصف جيوسيبى بوتاى « ان شحوبه وخديه المترهلين

ونظراته المرهقة الذابلة ، وشفتيه المزمومتين فى مرارة ، تدل على أن المرض (قرحة المعدة) قد عاوده .. انه منهار نفسيا اكثر من كونه مريضا جسميا ، اذ لم يعد قادرا على التغلب على تقدمه فى السن .. فقد قتل بيده موسولينى الذى كنا نعرفه فى يوم من الأيام » . وفى نهاية يوليو ، انتقل موسولينى الى ريتشونى حيث خضع للعلاج حتى منتصف اكتوبر . كان شيئا قد تحطم بداخله لأنه عاش لفترة طويلة متوحدا بصورة كاملة مع السلطة ، فبدت أزمة النظام وكأنها مرض أصاب جسمه الذى كان يسميه دائما محرك السلطة . ومع انهيار صحته انهارت الجبهة الداخلية أيضا .

وعبثا حاول موسولينى بين ١٩٤٠ و ١٩٤٢ بعث الحياة فى الحزب من جديد بتبديل شخصيات مختلفة على منصب سكرتير الحزب . فرحل ستاراتشى ليحل محله ايتورى موتى الى أن استقر أديلكى سينيزى فى المنصب اخيرا . وكان هذا النوع من لعبة الكراسى الموسيقية يعكس عجز النظام عن العثور على قيادة جديدة لتحول الحزب الفاشى الى تكتلة بيروقراطية سياسية وظيفتها الأساسية توفير المواد التموينية للشعب . وفى ديسمبر عين موسولينى فيديرسونى سكرتيرا للحزب ، الشاب الذى يبلغ ثمانية وعشرين عاما وتنقصه الخبرة والذى كان بالرغم من ضعف أدائه شديد الاخلاص للدوتشى .

واضطر موسولينى بعد جولة تفتيشية قام بها فى مقاطعات ايطاليا الرئيسية لاحياء الحماس السكادريستى القديم ، الذى صفاه منذ عشرين عاما ، الى الاعتراف باستيائه فى مايو ١٩٤٢ أمام مجلس قيادة الحزب « لم يعد يساورنى أدنى شك فى انتشار الفوضى والتخريب والمقاومة السلبية فى كل مكان . وأن النظام يجهد نفسه ويستنزفها ، كما أن العشرات من الرفاق يستهلكون فى أنشطة الاتحادات

والوزارات ولكن دون جدوى » . ولم يكن الأسوأ قد وقع بعد ... ففي شهرى نوفمبر وديسمبر ١٩٤٢ حدث تحول رئيسى فى مسار الحرب العالمية ، عندما لحقت بالمحور هزيمتان عسكريتان فى العلمين وستالينجراد . عندئذ أخذ النظام فى البحث عن وسيلة لمواجهة فشله السياسى النهائى .

وكانت أزمة المصداقية التى أصابت النظام بأسره قد زادت من عزلة الفاشية لاقتران اسمها بفشل ايطاليا فى الحرب . وكانت أسباب أزمة النظام الحقيقية معاناة الجماهير الشديدة وظروفها الاقتصادية السيئة التى زادتها الحرب سوء بافقارها المتواصل للطبقات الكادحة . اذ كانت أسعار المعيشة ضعف ما كانت عليه أثناء سنة السلام الأخيرة ، فى الوقت الذى بلغت فيه الأجور خلال عشرين سنة من الفاشية أدنى مستوياتها . وبدأ رجال الأعمال أيضا فى مراجعة أنفسهم وحساباتهم بعد تعرض تورينو فى تلك الشهور لغارات جوية شديدة . وتغيرت اتجاهات ادارة شركة فيات تغيرا كبيرا ، وظهرت أسماء بيريللى ودونجانى وتشينى فى اطار محاولات الفاشية التحول نحو البورجوازية . اذ كانت متطلبات المجهود الحربى والدعم اللذان تقدمهما الدولة يحولان دون قيام قطيعة بين البورجوازية الايطالية والنظام . ومع ذلك ، ساد الشعور العام بالرغبة فى سرعة انتهاء الحرب التى أضرت بوسائل الانتاج والمؤسسات الصناعية .

وانهار عمودان من أعمدة الفاشية الرئيسية : قوتها التى فقدت سمعتها بسبب الهزائم العسكرية ، وموسولينى نفسه الذى سقط فى نظر رفاقه فى الحزب لما خلقه عن نفسه من انطباع سيىء كقائد عسكرى مرتجل تعوزه الخبرة . وأخذت مراكز القوى (الملكية والاشتراكيون القوميون) التى ظلت لسنوات تؤثر على قراره فى النشاط دون أن يشعر . وفى ١١ أكتوبر جاء هملر الى روما ثم تبعه جورنج . اذ أراد الألمان فى تلك الأيام محاولة تكوين

نواة قيادية يعتمد عليها لتحل مكان موسولينى أو حتى تتصدى على الاقل لأية اتجاهات معادية لهم • وبدأت فى الوقت نفسه سلسلة من المؤامرات المعقدة التى اشتركت فيها الأسرة المالكة وشخصيات بارزة من الجيش والشرطة والكارابينيرى بل وبعض أنصار الحكومة الفاشية الذين أرادوا اتاحة الفرصة للملك فيكتور عمانويل الثالث للتدخل لايجاد حل سريع لحرب غير متكافئة • وكان التآمر بين السراى وبادوليو هو الذى أدى الى انقلاب ٢٥ يوليو ١٩٤٣ وخاصة بعد النصر الذى أحرزه عندما عين فى ٣١ يناير ١٩٤٣ الجنرال امبروزيو المخلص للملك مكان الجنرال كافاللرو الموالى للألمان •

وربما كان موسولينى على علم بتلك المؤامرات المختلفة، ولعله كان قد سمع أيضا بعمليات جس نبض الحلفاء الحذرة والتى كانت تبحث عن افضل طريقة تستطيع ايطاليا اتباعها للخروج من الحرب • اذ كانت خطوات مشابهة قد اتخذت منذ ديسمبر ١٩٤٢ بواسطة دبلوماسيين ايطاليين مختلفين • وعلى اية حال ، فان الذى لا شك فيه هو أنه كان يجهل ابعاد وتفاصيل تلك المحاولات ، لتعوده على مدى عشرين عاما على احتقار مساعديه فضلا عن تخريبه لأية محاولة من داخل النظام لترشيح خليفة له • كما كان يعلم أنه ليس عليه أن يخشى من جراندى تشانو وبوتاى اللذين لا يشكلان خطرا الا اذا ساندتهما السراى • وكان موسولينى مازال يثق فى الملك لعجزه عن ادراك مدى تمسك الملك الضئيل الحجم بعرشه • وأخيرا كان من ضمن العوامل التى أطاحت بموسولينى عدم وجود كفاءات سياسية بديلة •

حاول موسولينى فى البداية السيطرة على أزمة شتاء ١٩٤٣ بمفرده ، واستعاد كلامه نبرات الثقة القديمة عندما تناول أمام مجلس الوزراء موضوع التآمر مع الحلفاء بازدراء وقاحة فقال : « لن تستطيع أية حكومة مهما كان

اتجـاهها تغيير موقف الحكومة الانجليزية والأمريكيـة ، ويستطرد فى خطبة أخرى تحتوى عـلى ابتزاز مقنع لجنـاح الفاشية المؤيد للنازية قائلا : « وأقول أخيرا أنه من صـالح ألمانيا أن تظل ايطاليا واقفة على قدميها لأن سقوطنا سيؤدى الى استسلام الألمان » .

ويهاجم الانجليز بعنف امام البرلمان فى ٢ ديسمبر ثم يلقى خطبة امام مجلس قيادة الحزب يخصصها للحديث عن الأسلحة السرية الألمانية . وفى خطبة ٣ يناير التقليدية ، يبرز الجوانب العقائدية للحرب فيقول : « انها حرب دينية وصراع بين الأفكار » وذلك حتى يلهى الرى العام عن واقع فقدان أراضيه المرير . وقام بعد ذلك باجراء تغيير شـامل فى القيادات ، فجدد فى ١٩ ديسمبر قيادة الحزب بالكامل ، وحـل امبروزيو مكان كافالليرو ، وتخلص فى فبراير من تشانو وبوتاى وجراندى بل ومن كل الـوزراء تقريبـا باستخدام آساليبه المعهودة . فقد اكتشف وزير المواصـلات جورلا ، على سبيل المثال اقالته عنـدما قام عمـال السـكة الحديدية بفصل مقصورته عن القاطرة بعد سـماعهم نشرة الأخبـار فى الراديو . ولم يكن جورلا يعلم وقتهـا بوجود برقية مقتضبة على مكتبه فى روما ، جاء فيها (لقد قررت تغيـير الوزارة . أرجـو وضع منصبكم تحت تصرفى . موسولينى) ولم يكن الدوتشى يريد اجراء مجرد تغيير عادى فى المناصب بل كان يريد تنحية حكومة آلفت أصلا من أجل اتباع الحياد . فقام بعدها بتأكيد استعداد النظام للاستمرار فى الحرب ، كما حاول خلق الانطباع لدى الرآى العام بأنه قد أحدث تغييرا جذريا ، فى الشخصيات والأفكار ، فى الوقت الذى آخذ فيه فى تملق الألمان باشهار خط الحكومة الجديدة المتشدد . ومع ذلك ، كان أعضاء الوزارة الجديدة أضعف شأنا من الذين سبقوهم . فاضطر موسـولينى الى اضطلاعه شخصيا بادارة الشئون الخارجية ، كما احتفظ لنفسه أيضا

بوزارة الداخلية ووزارة الحربيــة بطبيعة الحــال • وكان الحل العملى الوحيد فى ذلك الوقت جمع اكبر قدر من السلطة والمسئولية فى يده ، الأمر الذى قوى العلاقة بين موسولينى والفاشية وحرم النظام من احتمال استمراره تحت قيــادة زعيم آخر •

وعــلى هــذا النحــو تفتتت وحدة الشعب بالتدريج • فاضرب ٣٠٠٫٠٠٠ عامل وتوقف الانتاج الحربى الفــاشى تماما • وبدأت الشعارات المعــادية للفاشــية فى الظهــور وتباطأت الشرطة فى التصــدى للمضربين • وفى النهــاية ، اضطرت الفاشية الى الرضوخ لكل طلبــات العمال الخاصــة بالأجور • وكان ذلك الحدث علامة هامة فى مسلسل أزمات مارس ١٩٤٣ التى تمثل أول نكسة فعلية تعرض لها النظام على الصعيد الداخلى • وعاد شبح الصراع الطبقى الذى كان الجميع يعتقد أنه ولى بلا رجعة منذ عشرين عاما الى الظهور • وكان هتلر فى غاية الدهشة مما يحــدث لانه لم يكن يعقــل كيف يقوم شعب بالاضراب وفى ثمانية مصانع دون أن يجرؤ أحد على التدخل • واهتز موسولينى وبدا وكأنه عاجز عن تحليل الأمور كما يتضح من قوله : «لن أعطيهم سنتيما واحدا ••• لسنا دولة ليبراليــة حتى نخضع لابتزاز من يكفــون ساعة عن العمل للاستراحة فى احد المصانع » ، ولكنه ما لبث واستجاب لمطالب العمال • ويظهر التخبط ومحاولة الدفاع عن النفس من تقييمه لوضع الجبهــة الداخليــة فى خطبــة ألقاها فى ١١ مارس قال فيها : « لن تجدوا الحمــاس فى نفــوس الايطاليين وفى نفــوس أى من الشــعوب المشتركة فى هذه الحرب •• ان البحث عن الحماس حمــاقة ومضيعة للوقت •• ابحثوا بدلا منه عن الأهم ••• عن الانضباط» • ولم ينتبــه موســولينى بالمــرة الى الجــذور المادية لعزلة نظــامه الســياسى ، وفضــل تبريرها باســتعمال احتقاره الشــديد المعهــود للجمــاهير ، كمــا لم ينتبه الى التبسيط

المخل الذى كان يحلل به المشاكل فى الجبهة الداخلية الى الفئات التالية : أسر الشهداء ومعنوياتهم مرتفعة جدا ولن تقبل أسرة منهم صلحا مهينا أو تتمناه لأنه يعنى أن تضحياتهم كانت عبثا ، أسر من يقاتلون في الجبهة ومعنوياتهم ممتازة ، المقاتلون العائدون من الميدان ومعنوياتهم ممتازة أيضا ، وهناك أخيرا القاعدة العريضة من الفاشيين وهم أفضل عناصر الجبهة الداخلية وأسماها · والى جانب هؤلاء أقلية من المعوقين ذهنيا وبدنيا والتى تشمل العميان والمشوهين ومن سقطت أسنانهم وضعاف العقول وكلهم حمقى » · ولم تؤد الاجراءات التى اتخذها فى بداية ١٩٤٣ الى أية نتيجة · اذ استبدل فيدوسونى بسكورتزا المتشدد كما أقال رئيس الشرطة سنيزى ·

وكانت خطوات خصومه بالمقابل أكثر نجاحا · فقد دفع الخوف من الخطر الأحمر الذى أثارته اضرابات مارس الملك الى الاسراع فى تنفيذ مؤامرته · اذ كان لابد من الاسراع في العمل حتى ينتزع المبادرة بالاطاحة بالفاشية من أيدى الشعب فيتم التغيير المطلوب بأقل قدر ممكن من الاضطرابات · واتضح أن السراى تنوى اسناد الحكم لحكومة عسكرية لا تتردد فى استخدام القمع وتحظى بمساندة الجيش غير المشروطة · وكان بادوليو هو الشخصية التى حظيت بتأييد الجميع بما فى ذلك الحلفاء ·

ولكن الألمان لم يقفوا مكتوفى الأيادى · فقد فشلت محاولة موسولينى وهتلر أثناء لقائهما فى سالزبورج فى أبريل ١٩٤٣ فى التوصل لاستراتيجية مشتركة للمواءمة بين احتياجات جبهة البحر الأبيض ومتطلبات الجبهة الروسية · وكانت نتيجة اللقاء الملموسة الوحيدة نصيحة هتلر للايطاليين بتشكيل وحدات خاصة من الميليشيا على غرار وحدات الحرس الهتلرى « الاس اس » حتى تضمن حماية النظام فى الداخل · وتلكأ الألمان فى تنفيذ وعودهم الخاصة

بالدعم العسكرى لانتهاء الوجود العسكرى الايطالى فى شمال أفريقيا بسقوط تونس فى ٨ مايو · وعرض هتلر علـــى موسولينى فرقا المانية ، فرد الأخير عليه بأنه يريد طائرات ··· وبدا كل منهما يشك فى الآخر لأول مرة · فقد كان هتلر متأكدا من أن قيادة الجيش ستخـون موســولينى وان رفض الفرق الالمانية كان سببه نيــة ايطاليـــا الخروج من الحرب · وفى الفترة الواقعة بين ١٠ و ١١ مايو أعد الالمان خطتى « الاريك » و « قسطنطين » لاحتلال ايطاليا والبلقان عسكريا فى حالة خروجها من الحرب· وبدا فى تلك اللحظات أن موسولينى قد خرج من الساحة · اذ أن انهيار ايطاليـــا الوشيك عجل بوقوع صدام بين الالمــان من جهــة والجيش والبيت المالك الايطالى من جهة اخرى ·

وفى تلك الأثناء قام موسولينى بمحاولة ضعيفة لايجاد مكان لنفسه على الساحة الدبلوماسية بالبحث عن حل سياسى للحرب · وكانت مبادرته تعتمد عــلى قيــام ايطاليا والمجر ورومانيا بتلك المحاولة · وأجرى فى نفس الــوقت عملية تطهير واسعة النطاق فى صــفوف مديرى الشرطة والفئــة المتوسطة من المــوظفين الاداريين · وتغير المــوقف بصــورة مفاجئة عند قيام الحلفاء بانزال قواتهم على شواطىء صقلية فى ليلة ٩ ــ ١٠ يوليو · ففى تلك اللحظة ، انفجر التناقض بين احتيــاجات هتلر الاســـتراتيجية التى تتطلب تخفيض المشاركة الألمانية على الجبهة الايطالية الى اقصى درجة ممكنة دون التعجيل بحدوث الأمر المحتوم ، ومطالب هيئة الأركان الايطالية التى شــعرت بأنهــا لا تســتطيع تأمين الدفاع عن أرض الوطن · وأبرق موسولينى لهتلر فى ١٧ يوليو بضغط من الجنرال أمبروزيو لخوفه من انهيار جهاز نظامه فجأة ، مستخدما نغمة ابتزازية غير مألوفة : « لا يمــكن أن يكــون الهدف من التضحية ببلادى تأجيل هجوم مباشر على ألمانيا · ان ألمانيا أقوى من ايطاليا اقتصاديا وعسكريا · ان بلادى التى دخلت الحرب قبل الموعد المتوقع بثلاث سنوات ، وبعــد

حربين قد استنزفت بالتدريج بعد استهلاك مواردها في أفريقيا وروسيا والبلقان · أعتقد أيها الفوهرر أنه قد آن أوان قيامنا معا بدراسة الموقف لاستخلاص النتائج التي تخدم المصالح المشتركة ومصلحة كل من بلدينا » · وربما كان موسوليني قد اقتنع بأن موعد الانسحاب من الحرب قد حان ، ولكنه لم يكن يريد أن يقدم على ذلك الا بعد موافقة هتلر · اذ كان يعلم تماما أن الفاشية لن تتحمل رد فعل ألماني لخيانة ايطالية (انكم تطالبون بالانفصال عن ألمانيا بكل بساطة ··· ولكن ماذا سيفعل هتلر ؟ هل تعتقدون أنه سيسمح لنا باجراء المفاوضات) ، ورغبة الانجليز والأمريكيين في عقابها ·

وسنحت فرصة دفع الحليف الألماني لاتخاذ موقف ايجابي عندما جاء هتلر الى فلترى في زيارة خاطفة في ١٩ يوليو · ولكن سنوات من الخضوع النفسي والسياسي للفوهرر جعلته عاجزا عن مقاومة عناده ، كما أنه لم يجرؤ على ابلاغ هتلر بالطلبات التي اتفق عليها مع أمبروزيو والضباط الكبار الآخرين ·· وكان في هذا الموقف نهاية موسوليني ·

وكانت مقترحات النازى تتلخص فيما يلي : تولى الدوتشي لكل السلطات ، تقييد حركة الأسرة المالكة ، زيادة عدد القوات الألمانية بقيادة ألمانية في العمليات العسكرية · وكانت مقترحات كيتل النهائية لأمبروزيو بنفس الوضوح : تولى ألمانيا مسئولية مسرح العمليات في ايطاليا بصورة كاملة لخلق منطقة عازلة تحمى الرايخ الألماني · وعندئذ اختفى ما تبقى من ولاء لموسوليني وحلفائه من نفس ملك ايطاليا · وكان فيكتور عمانويل الثالث قد قرر منذ مدة انهاء الحرب بالنسبة لايطاليا حفاظا على عرشه ، ولكنه ظل يأمل حتى آخر لحظة أن يتم ذلك بسهولة وبالاتفاق مع الألمان · وكان موسوليني في نظره يملك الأوراق الرابحة

اللازمة لمكانته الشخصية عند هتلر ، ولكن اتضح بعد لقاء فلترى انه لا يستطيع الاقدام على تصعيد الخلاف مع هتلر الى درجة القطيعة • لذلك اضطر الملك على غير رغبة منه الى أخذ زمام الأمور بيده لأن المزيد من التردد كان يعنى نهاية كل شىء • اذ بدا أن تحول ايطاليا الى دولة تابعة لألمانيا مسألة وقت ليس الا ، الأمر الذى لابد وأن يؤدى الى سقوط الملكية • لذلك أصبح الوضع يستحق المخاطرة بتصعيد الأحداث والتخلص من موسولينى الذى كان يمثل العنصر الذى لا تقوم للخطة الألمانية قائمة بدونه ثم القيام بتغيير التحالفات بعد ذلك • وأصبحت الفرصة مواتية للملك عندما طالب قادة الحزب الفاشى بايحاء من جراندى بانعقاد المجلس الفاشى الأعلى بصورة عاجلة بالرغم من عدم انعقاده منذ بداية الحرب •

وأخطأ الجميع فى فهم تلك المبادرة ••• فتصور الألمان أنها تعنى نجاح مجموعة فاريناتشى الموالية لهم فى سعيها لمواجهة مع جناح تشانو المعتدل • ووافق موسولينى على انعقاد المجلس بقلة صبره وتبرمه الساخط المعهودين اللذين كان يقابل بهما مقترحات زملائه • وكانت تلك هى الروح التى حضر بها الجلسة التاريخية التى انعقدت فى ليلة ٢٤ يوليو ١٩٤٣ وحصل جدول الأعمال الذى تقدم به جراندى على تأييد واسع من قادة الحزب (١٩ مؤيدا ، ٧ معارضين ، امتناع واحد عن التصويت ، وتأييد واحد لجدول أعمال فاريناتشى) وما استتبعه من هجوم شخصى شديد على الدوتشى ، طالب فيه المجتمعون باعادة كل وظائف الدولة بما فى ذلك الصلاحيات والمسئوليات التى نصت عليها القوانين والدستور الى الملك والمجلس الفاشى الأعلى والحكومة

والبرلمان والنقابات • وانتقدوا موسولينى أيضا بعنف على قيادته العسكرية المرتجلة • ولم ينفعل موسولينى من كل ذلك بل أخذ يراقب ما يجرى دون أدنى شعور بالتقدير للمحاولات التى قام بها سكورتزا وجالبياتى الوفيين لابطال الأصوات المعارضة • وعندما طالب جراندى فى نهاية الجلسة طرح اقتراحه للتصويت ألقى موسولينى بالأوراق التى كانت فى يديه بعدم اكتراث متعمد دون أن ينطق بكلمة ودون أن تصدر منه حركة واحدة ، وطلب من سكورتزا فى استكانة أنيطرح الاقتراح للتصويت •

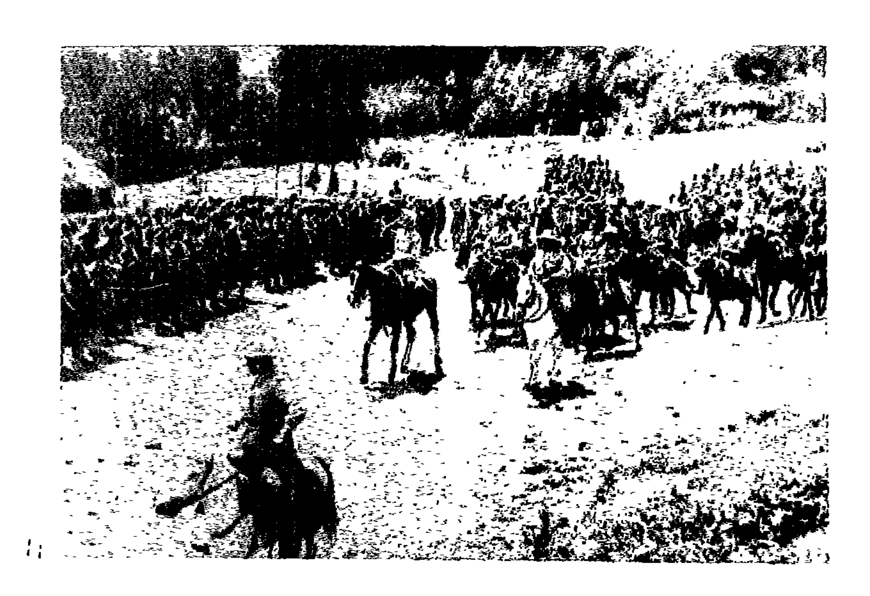
ان ما اتصف به موقف موسولينى من استسلام وعدم مبالاة يجعلنا نشك فى أنه كان يتمنى فى قرارة نفسه الخروج من الساحة السياسية والتحرر من أعبائها الثقيلة • وربما كان ذلك هو سبب تأييده بصورة لا شعورية لمبادرة خصومه • ولكن كان موقفه فى الواقع ينم عن احتقاره التقليدى لأصحاب المراكز العليا من الفاشيين • وبعد انتهاء الجلسة طلب لقاء عاجلا مع الملك لأن موسولينى كان حتى ذلك الوقت مازال يعتقد أنه يستطيع السيطرة على الأزمة بسهولة عن طريق انتهاز الفرصة لاعادة تشكيل الحكومة ، واعادة مسئولية القيادة العليا للقوات المسلحة ، التى كان قد تولاها فى يونيو ١٩٤٠ ، الى الملك • ولم يتصل بأحد كما لم يتخذ أى احتياط فى الساعات التى سبقت لقاءه بالملك • وقام بمفرده وفى العزلة التى كانت تحيط به دائما بمراجعة الاجراءات التى كان يريد عرضها على الملك ••• وذهب اليه وباله خال من أى شىء •

وكانت مبادرة الفاشيين المعتدلين فرصة سانحة بالنسبة للملك سمحت له بالتدخل أو اضطرته على أية حال للتبكير

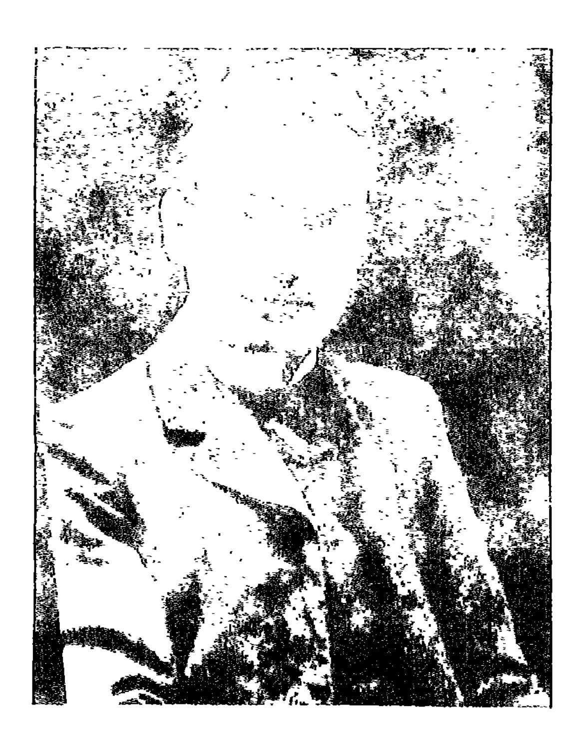
بموعد الانقلاب الذى أعـد بتفصـيل دقيق ، والذى كانت أغلبية زعماء الحزب الفاشى ومن وقعوا على اقتراح جراندى لا تعلم عنه شيئا • واعتقل موسـولينى فى عصر يـوم ٢٥ يوليو فى فيللا سافويا • ولم يترك الملك له فرصة للكلام بل أخذ يردد « آسف •• آسف•• لم يكن هناك أى حل آخر»•• وكانت تلك هى الكلمات الأخيرة التى تم بها توديع موسولينى بعد عشرين عاما من التفـانى المطلـق فى أداء مهمتـه الدكتاتورية •



موسولينى يقود قادته العسكريين أثناء تأدية تمرين رياضى



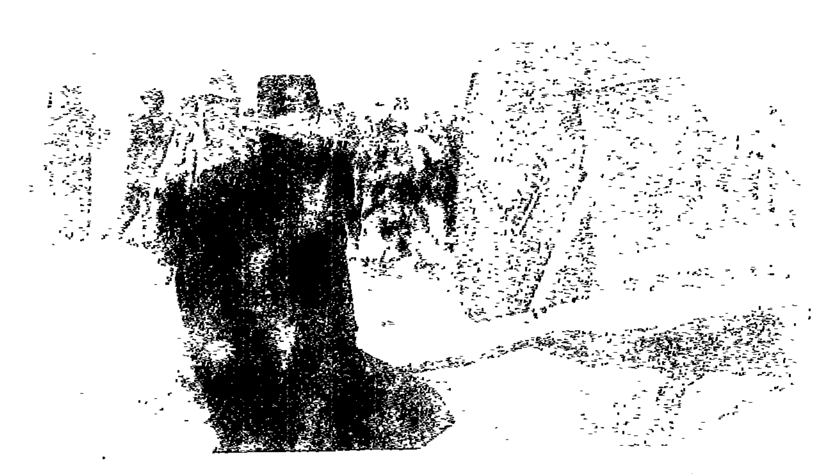
المارشال بادوليو يدخل أديس أبابا على رأس قواته ١٩٣٦



موسولينى الثائر الشاب فى سويسرا ١٩٠٤



موسولينى جندى فى الميدان فى بداية ١٩١٧



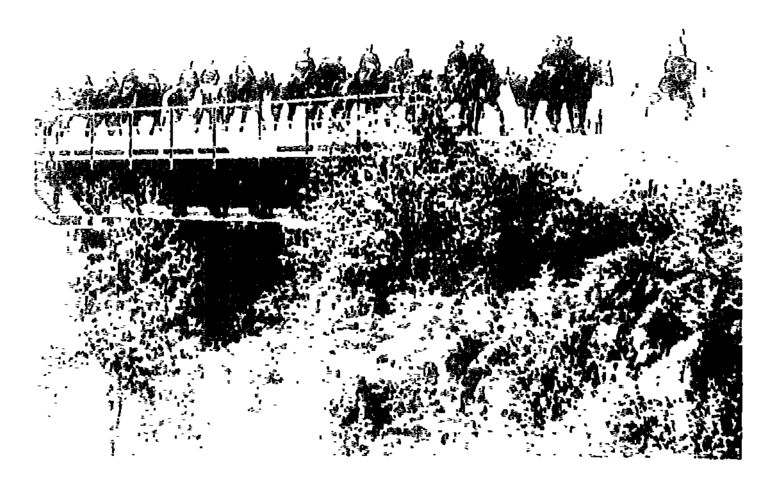
موسولينى يصل إلى فيينا بعد أن قام الكوماندوز الألمان بإخراجه من سجنه فى سبتمبر ١٩٤٣



جثمان موسولينى فى تابوت بعد أن أعاده الأمريكيون وسلموه لزوجته راكيلى فى ١٩٥٧ أحد القمصان السود يحيى تابوت موسولينى



موسولينى (فى الوسط) مع الرئيس النمساوى دولفوس (فى أقصى اليسار)



سلاح الفرسان الايطالى يعبر الحدود اليونانية لغزو اليونان

الفصل الخامس

النهاية

(١٩٤٣ ـ ١٩٤٥)

لم يصدر أى رد فعل للانقلاب من صفوف الفاشيين ٠ اذ كان احترام المؤسسات ركيزة العقيدة الفاشية على الدوام٠ وأدى توحد النظام بشكل متزايد مع الدولة تحت اشراف موسوليني الى تقلص دور الحزب والميليشيات٠ لذلك انهارت الفاشية فور تحالف المؤسسات (الملكية ، الجيش ، البيروقراطية الوزارية) ضدها وقبل أن تدخل ضدهم فى معركة ٠ ويتضح ذلك من لهجة الخطاب الذى كتبه موسولينى لبادوليو فى فجر يوم ٢٤ يوليو وقال فيه : « أريد أن أؤكد للمارشال بادوليو أننى لن أخلق له أية متاعب بل سأبذل كل جهدى للتعاون معه لما أحمله فى نفسى من ذكريات لتعاوننا فيما مضى » ٠ فقد أدرك الدوتشى أنه انتهى بعد اعتقاله فى جزيرة بونتزا فى ٢٨ يوليو ثم فى جزيرة لامادالينا فى ٨ أغسطس٠ ولم يبذل أية محاولة للعودة للسلطة أثناء حكم بادوليو الذى استمر ٤٥ يوما ، بل عكف على ترجمة « قصائد بربرية » لكاردوتشى الى الألمانية وقراءة مؤلفات نيتشة التى كان هتلر قد أهداها اليه ، وفى تجاذب أطراف الحديث مع حراسه لمدد طويلة ٠ ويقول عن نفسه فى تلك الأيام : « عندما يسقط شخص ونظامه ، فلابد وأن يكون مثل هذا السقوط

نهائيا ... ولا سيما اذا كان الشخص المعنى قد تجاوز الستين . وكان موسولينى يشعر بالاعياء والشيخوخة والعزلة بعدما تحولت شخصيته وقوته الى حطام . وعندما طار اليه سكورتزيني والكوماندوز الألمانى لاطلاق سراحه من الفندق الصغير الذى وضعوه فيه فى الجران ساسو بجبال الأبروتزى ، طلب منهم نقله الى مسقط رأسه فى روكا ديللا كاميناتى بمقاطعة رومانيا ليستجم من عناء العمل والمرض . ولكن هتلر كان يريد له مصيرا مختلفا ولم يكن موسولينى يملك سوى الطاعة .

وفى ٨ سبتمبر وقعت ايطاليا الهدنة مع الحلفاء . وفرض هروب الملك والمارشال بادوليو الى برنيديزى ، وانقسام التراب الوطنى الى منطقتى احتلال على الألمان تشكيل حكومة صورية لضمان استمرار الدولة ومساندتها فى نفس الوقت لجهود المحور بعدم اضطرار الالمان لدخول الحرب مع ايطاليا . وكان هتلر قد تأكد أثناء فترة اعتقال موسولينى من عدم قدرته على الوثوق فى الشخصيات السياسيةالفاشية ، ومن عدم وجود بديل مناسب لموسولينى . لذلك أجبر موسولينى بالرغم من اعتقاده بأن حياته السياسية قد انتهت على رئاسة حكومة فاشية جديدة لا أمل منها ولا رجاء . وأعلن فى ١٥ سبتمبر ان بنيتو موسولينى قد استرد قيادة الفاشية فى ايطاليا . وفى ١٨ سبتمبر أذاعت محطة ميونيخ اول خطبة لموسولينى الذى عاد الى ايطاليا فى ٢٣ سبتمبر . وفى ٢٧ سبتمبر ترأس أول اجتماع لمجلس الوزراء فى روكا ديللا كاميناتى . ويعتبر ذلك التاريخ ، يوم ميلاد الجمهورية الاشتراكية الايطالية ، محاولة أخيرة وضعيفة قام بها موسولينى للربط بين ذكريات ماضى نضاله الثورى وأسلوب حكمه الدكتاتورى الساخر والقاسى الذى كان قد تعود عليه .

وكانت الأوليات السياسية من وجهة نظره هى الولاء للحليف الألمانى ، ومشروع معقد يهدف الى تحقيق « المصالحة

الوطنية » بين الايطاليين ٠ وكانت اعادة تكوين حزب فاشى جديد يستطيع مؤازرة الدولة وتكوين جهاز سلطة فعال يكسب مؤسسات النظام الجديد المصداقية هى المشكلةالوحيدة التى ظلت بلا حل ٠ وادى عدم وجود جيش والأزماتالشديدة التى تعرضت لها فصائل مختلفة من الشرطة الى عدم احترام الراى العام الايطالى والالمان على حد سواء للجمهورية الجديدة ٠ وبالرغم من رئاسة موسولينى لنصف بلد استولى الحلفاء الألمان على مقاطعتين منه (جنوب التيرول وأجزاء من ساحل الادرياتى) ، ودون حدود متفق عليها ، ووزارات صورية مبعثرة على شواطىء بحيرة جاردا ، ودون تلك الاستقلالية التى كان النظام يستمتع بها ازاء الألمان حتى ٢٥ يوليو ، كان موسولينى بالرغم من ذلك كله يستطيع انتهاز الفرصة لوضع معتقداته الثورية موضع التنفيذ بابتكار سياسة جديدة ٠ كما كان يستطيع فى ذلك الوقت الذى تحرر فيه من المسئولية ، التى طالما بددت طاقته وحماسه العدوانى الذى كان من أهم صفاته فى العشرين عاما التى استغرقها استيلاؤه على السلطة ، للقيام بالدور الذى أسنده اليه هتلر بدينامية أكبر ٠٠٠ ولكنه عاد الى نهج العشرينات القديم ٠ فانقسم زعماء الفاشية المتبقون الى معسكرين متناحرين فى اطار النشاط السياسى الداخلى المحدود الذى سمح به الألمان للجمهورية الاشتراكية الايطالية ٠ فاجتمع انصار تحول الحزب الفاشى الجديد الى الديمقراطية واقامة حوار مع قوى معاداةالفاشية المعتدلة ، والذين كانت أهدافهماجتماعية أساسا فى معسكر، بينما اجتمع فى المعسكر المقابل فاريناتشى وبافولينى ـ سكرتير الحزب الجديد ـ اللذان تجمد تفكيرهما فى قالب ديكتاتورى صلد ٠ وكان مساعدو موسولينى المقربين من أهم العوائق فى سبيل نجاح محاولة الحصول على تأييد الرآى العام للجمهورية الجديدة وارساء قاعدة جماهيرية واسعة لها ٠ وكان التنظير الفاشى الجديد يعنى فى تلك الشهور

الاخيرة تحولا كاملا عن الأدوار التقليدية السابقة • فنجد مثلا الفاشية الجمهورية تجمع العناصر الثورية فى جناح معتدل يميل لليبرالية فى الوقت الذى تجمعت فيه عناصر السكادريستى فى جناح محافظ ورجعى • وانضم للمعسكر التقدمى نقابيون ثوريون ومحافظون مستنيرون ، وفاشيون قدامى من الذين انضموا للحزب أيام الزحف على روما وعانوا خلال عشرين عاما من تهميش ادوارهم . بالاضافة الى أصحاب الصحف اليومية الكبرى فى شمال ايطاليا • وكان هذا الانقسام الى معسكرين يحمل فى طياته تناقضات لم تحسم من أيام التعاون بين الطبقات • وفى واقع الأمر كانت محاولة اخضاع خبرة العشرين عاما الماضية من الفاشية لنقد ذاتى شامل هى هدف التقدميين الرئيسى • لذلك يعتبر نقد الماضى هو الفرق الجوهرى بين المعسكرين • وكان أهم شعارين رفعهما فاريناتشى « لن ننكر ماضينا ! » و « سنظل فاشيين ! » •

وكان موسولينى يتارجح بين المعسكرين بشكل متواصل ، فيؤيد احدهما ثم الآخر • اذ كان عاجزا عن ادارة الخلاف بينهما بصورة تمكنه من توجيه الحركة بكفاءة • وانضم فى البداية للمتشددين • وكان من أشد أنصار عدم التنكر لعشرين عاما من الفاشية • فهاجم فى التعميم الذى أصدره فى ٦ ديسمبر ١٩٤٣ والذى أرسله للمحافظين حرية الصحافة التى كانت قد ظهرت فى الفوضى التى تلت ٨ سبتمبر ، فوصفها بأنها « ثرثرة غير مسئولة تفوح منها رائحة الدعاية الانتخابية ومعاداة الرومانية » • ويقول عن رغبة البعض فى الانفتاح أنه مثل « موال ينشده عاشق تحت نافذة رجال تختلف أفكارهم واتجاهاتهم فيردون عليه بأعيرة نارية » • ويستطرد قائلا : « علينا أن نسىء الظن بأولئك الذين يتمسكون بالشق الثانى من ثنائية فاشية ـ جمهورية ••• لأننا كنا وسنظل فاشيين لذلك نؤكد الشق الأول » • وفرط موسولينى فى حياة صهره ارضاء

لسكرتير الحزب المتطرف بافوليني ولاشباع شهوة الآلمان فى الانتقام دون ان تطرف له عين • وفى ١١ ينـاير ١٩٤٤ أعدم جاليانتزو نشانو مع دى بونو وباريسكى وتشـانيتى وماريتيللى فى سجن فيرونا رميا بالرصاص بعد محـاكمة صورية • وكان ذلك اكبر قربان قدمه موسـوليني لمحـراب « نظرية الخيانة » التى كان فاريناتشي وجماعته يستخدمونها لتفسير كل ما حدث قبل وبعد ٢٥ يوليو • وعنـدما تنـاول موسوليني سياسة التأميم انحاز للجانب الآخر • ففى ١٢ فبراير أقر مجلس الوزراء قانونا خاصـا بتـأميم المصـانع (مادة ٤٦) • وكان الهدف منه توفير الأسس اللازمة لقيام بنية اقتصادية جديدة (مشاريع قوانين تاركى للثالث عشر من يناير) • وتضمنت الاتجاهات الخاصة بالتأميم سـمات غوغائية ظهرت بوضوح عشية اضراب مارس ١٩٤٤ الكبير • اذ كان الغرض من مشروع القانون أن تتـولى الدولة ادارة المصانع فى قطاعات البـلاد الرئيسـية • وكان المرسـوم التشريعى يؤكد نفس المفهوم فى صياغة نظرية مشـابهة ، والذى تم توضيح الأهـداف الرئيسية من الاجـراءات فى مقدمته : التغلب على الفروق الطبقية وزيادة قدرة كل قطاع على الانتاج • وكانت تلك الأهداف تمثل نموذجا للتعـاون الطبقى فى ادارة المصانع • وهو اتجاه يستحق التأمل بالنظر الى فشل الأسلوب الجمعى الخـاص بالشـيوعية • تجـاهل المشرعون الأدوات اللازمة لتنفيذ التأميم بصورة عملية لأن الهدف من تلك القوانين كان دعائيا فى المقام الأول • وكان جل ما يهم موسولينى اثبات صدق نيته للعودة للجذور التى كانت تعنى قبوله ضمنا نقد خصوم فاريناتشي لعشرين عاما من الفاشية • وساهم من كانوا يساعدونه من المنظرين الذين كان من بينهم الشيوعى المنشق بومباتشى فى زيادة ارتباك أفكاره • ولم يعد موسولينى يملك أى مجـال للمناورة فى ظروف لا تسمح له باستعمال تكتيكاته المفضلة والتى لا غنى له عنها ، وأصبح الحديث عن التأميم عديم الجدوى • وكانت المصانع التى طبق فيها بالفعل تمثل قطاعات فرعيـة مثـل

صناعة الورق ونشر الكتب . واستقبل العمال التاميم بعدم اكتراث تام ، كما قام أصحاب المصانع الذين انزعجوا فى البداية باتباع أسلوب التعويق ، بينما قام الألمـان بتخريب تنفيذ التأميم .

وعاد موسولينى فى وقف سياسة الارجوحة الى انتهاج موقف وسطى بين المعسكرين ، فقام بالوساطة بين انصـار الاتجاهين فى خطبة ألقاها فى المسرح الغنـائى (تيـاترو ليريكو) بميلانو فى ١٦ ديسمبر ١٩٤٣ .

وكان الخلاف بين المعسكرين قد اتخذ صورة جدل نشط عندما أصبح الخيار بين الحزب الواحد والتعددية السياسية . وظهر فى صفوف الفاشيين المتشددين بعد ٨ سبتمبر ، كرد فعل لنظرية الخيانة ، رفض واضح لحزب جماهيرى يتعايش مع الدولة مثل الحزب الفاشى القديم . وأصبح الاتجاه نحو تكوين حزب متميز يظهر بوضوح مما كتبه فاريناتشى فى ٥ ديسمبر ١٩٤٣ فى صحيفة « النظام الفاشى » ، والذى قال فيه : « خير للحزب أن يتكون من صفوة منتقاة من أن يتكون من أغلبية فاسدة » . وكان كل ما يهم جناح الفاشية الجديدة المعتدل هو التوصل الى الحصول على تأييد الرأى العام . لذلك رفض أعضاؤه مفهوم حزب الأقليـة المتميزة الذى كان من وجهة نظرهم يضعف الاتصال بين زعماء الفاشية وجمـاهير الشعب . واتخذت تلك المواقف طابع التعـددية السياسـية بشكل متزايد . وفى خريف ١٩٤٤ ، تناولت أشهر صحف ايطاليا اليومية الموضوع وكان على رأسها « لاستامبا » التى تصدر فى تورينـو عنـدما عرضت الاتجـاهين الرئيسيين بقولها : «لقد ثبت أن الحزب الموحد لا يملك قدرة كافية على حسن اختيار من يقودون الحزب ، الأمر الذى يسمح بتسلل الخونة الى صفوفه » . وفى مقال آخر : « لا يعنى ذلك اننـا لا نستطيع تقريب المسافة الفاصلة بيننا وبين بعض الحركات السرية أو رأب الصدع القائم بيننا وبينهم من خلال حـوار

صريح » • وتدخل موسوليني نتيجة لردود أفعال المتشددين وصخبهم في الحوار ، وعبر عن رأيه في حديث اذاعي عنوانه « المناقشة البيزنطية » في ٣ ديسمبر • ويتضح من العنوان تبرمه الشديد بالمتحاورين وحذلقتهم والذي ادى الى تأييده للمتشددين حين قال : « انني لا أفهم كيف تسمح لتلك الأحزاب بممارسة حقوقها المدنية في الوقت الذي تعوق فيه الحزب الفاشي بل وتحرم نشاطه في ايطاليا المحتلة ••• اننا نرحب بكل من يؤيد برنامجنا وايطاليا والجمهورية والتأميم سواء كان من داخل صفوفنا او من خارجها ، وسواء كان يحمل بطاقة الحزب أم لا ••• ولا يمكننا عمل اكثر من ذلك » • ويتبع في خطبته في المسرح الغنائي لهجة أكثر حذرا ، فنجده يؤيد استمرارية النظام المحببة الى فاريناتشي ، فيقول : « مازلنا وسنظل دائما فاشيين لأننا وهبنا أنفسنا للفاشية كما فعلنا في سنة ١٩١٩ ••• لذلك ننتهج خطا جديدا بعودتنا الى مواقفنا المبدئية » • ويرفض بعنف مطالب من يريدون التعددية الحزبية والدعوة لاجراء انتخابات « أقول لكم بكل صراحة أن الدعوة لاجراء انتخابات مضيعة للوقت لآن حدود الجمهورية غير ثابتة بسبب العمليات الحربية الجارية » • وكان تصوره لدور الحزب الفاشي الجمهوري في الحياة العامة أكثر غموضا ، ويكتفي بالقول بعدم جدوى آية مناقشة عن التعددية الحزبية لعدم صلاحية السجل المدني الذي لا غنى عنه في هذه الأمور • واعترف بأن المعسكرين متفقان تماما مع ما جاء في خطبته ، والتي شعر الجميع أنها تعني العودة الىالقيام بمبادرة سياسية قوية • ويختتم خطبته وسط تصفيق حاد بقوله : « سندافع عن وادي اليو بأظافرنا وأسناننا لأننا نريد أن يظل وادي اليو جمهوريا الى أن يأتي اليوم الذي تنضم ايطاليا كلها اليه » • ولم تخف على سامعيه النبرة الحادة التي استعملها في تلك الخطبة مع الحلفاء الألمان •

كانت خطبة المسرح الغنائى خطبة وداع فى واقع الأمر ، لأن التجربة الجمهورية كانت قد فشلت بالفعل • ولأن موسولينى لم ينجح هذه المرة فى العثور على شركاء متجاوبين يمدونه بالمساعدة المادية والكوادر السياسية التى كانت سبب نجاحه فى الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ و ١٩٢٥ • اذ أظهرت جماهير الشعب عداءها بصورة متزايدة ، فلم تنقطع سلسلة الاضرابات منذ نوفمبر / ديسمبر ١٩٤٣ كما ظهرت اعمال الشغب خارج المصانع ايضا • وكان اتفاق مصالح البورجوازية الكبيرة مع الراسمالية الامريكية النامية ، والموافقة على اعادة توزيع ثروات العالم ، والنظام العالمى الجديد الخاص بتوزيع العمل ، من العوامل التى فرضت على نظام سالو الاعتماد على الطبقات الفقيرة المكونة من البورجوازية الصغيرة العاجزة عن تعبئة صفوفها التى لم تكن تملك حلولا للمشاكل • اما من ناحية المؤسسات، فكان ما تبقى من الوزارات المتعثرة على شواطىء بحيرة جاردا بالكاد قادرا على ضمان استمرار جهاز الدولة الادارى فى العمل • ولم يكن الحزب الفاشى الجمهورى او الحكومة يستطيع وضع نهج سياسى خاص بهما بسبب الشلل الذى كانا يعانيان منه بسبب سيطرة الألمان من جهة وضعفهم من جهة أخرى •

لقد تحولت القوة ـ دعامة الفاشية الاساسية طيلة العشرين عاما الماضية ـ الى ركام • ولم يتبق من جهاز الفاشية القديم الفعال والقاسى سوى مخلفات تبعث على الرثاء قوامها خمس او ست فصائل من الشرطة وشراذم من المغامرين والمرتزقة الذين لا يعتمد عليهم والذين كانت خلافاتهم المستمرة تحول دون قيام أى تنسيق فعال بينها • وأدت سيطرة المقاومة الشعبية على المناطق الصناعية الرئيسية فى ايطاليا (بيدمونت ، لومبارديا ، ليجوريا) ونترك أمر محاربتها للألمان الى تبدد أحلام الفاشية الخاصة بالحصول على المصداقية • كما تحطم رمز آخر من رموز قوة النظام ••

فقد تبخرت أسطورة موسوليني بعدما أصبح السياسى العجوز مجرد شبح مضحك للوجه العدواني الذى كان يطل على المظاهرات الشعبية من شرفة قصر فينيتسيا ·

ومع اقتراب حياته العاصفة من نهايتها ، ظهرت عيوب موسوليني واضحة للعيان · فلم يجد فى نفسه الصفات اللازمة للاقدام على عمل ذي قيمة بل قرر البحث عن حل وسط معقد · كما اقترب في الشهور الاخيرة بصورة ملحوظة من الجناح المعتدل الذى كان يسعى منذ بداية ١٩٤٤ للتفاهم مع اعداء الفاشيه · وكان وهم موسوليني الاخير ، انه يستطيع بالتلويح المحافظة على النظام ، وعلى الملكيه الخاصة ، وبتكرار شعارات معاداة البولشيفية المستهلكة استقطاب القوى المعتدلة المعادية للفاشية · وحاول بصورة عامة ان يسلك نفس الطريق الذى سلكه من قبل فى سنة ١٩٢٢ ، ولكن هدفه هذه المرة لم يكن الوصول للسلطة بل مجرد النجاة بنفسه ··· اذ كانت كل تلك الافكار التى راودته فى تلك الأيام الحاسمة هى أمله فى انقاذ حياته · وكان الالمان قد تخلوا عنه عندما تفاوضوا مع الحلفاء على عقد هدنة فى ايطاليا ــ اذ كان موسوليني لا يعرف شيئا عن الاتصالات التى جرت بين الجنرال الألمانى فولف والان دالاس رئيس مكتب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى سويسرا بخصوص استسلام القوات الألمانية فى ايطاليا ــ كما كان محاطا بمؤامرات رخيصة اشترك فيها العسكريون بهدف التخلص منه واستبداله بالجنرال جراتزيانى · كما لم يثق فى خطة بافولينى ببناء مكان حصين فى وادى فيلتللين للدفاع عن الفاشية المحتضرة · واستغل موسوليني ما تبقى لديه من وضوح رؤية سياسية فى محاولة احياء معارضة مرتجلة اشتهرت باسم البونتى (الجسر) · وكانت هذه الحركة التى قامت بايحاء من الصحيفة اليومية « لايطاليا دل بوبولو » تتضمن شخصيات غريبة · وكان هدفها كما قال موسوليني للسفير الألمانى فون ران فى ٣١ مارس ١٩٤٥ :

« لقد سمحت لبعض الاتجاهات المعارضة بابداء رأيها لتضليل أعدائنا الى أن تقوى شوكة الفاشية الجديدة في ايطاليا ٠ ان من يحاولون الآن التنصل من الفاشية سينضمون اليها بدلا من انضمامهم لهيئة التحرير القومي العدو الأكثر خطورة » ٠ وكانت هذه الخطة خيالية ومشوشة ، كما أن المتطرفين والألمان منعوا الصحيفة من الظهور ٠٠٠ وعندما تمكن موسوليني من التصريح لها بالصدور مرة اخرى في ٢٢ ابريل كان الوقت قد فات ٠

وعندما التقى موسوليني في اسقفية ميلانو بممثلي هيئة التحرير بعد وساطة الكاردينال شوستر ، أدرك ان محاولاته الأخيرة للنجاة بحياته لم تنفعه في شيء ٠ وفي ٢٥ أبريل تمردت عليه أهم مدن الشمال ، وتقدمت قوات الحلفاء المنتصرة في كل وادى البو دون ان تواجه بمقاومة تذكر ٠ وطلب ممثلوا رجال العصابات من موسوليني الاستسلام دون قيد أو شرط في خلال ساعتين ، كما سمع من جراتزياني أن استسلام المانيا بات وشيكا ٠٠٠ بذلك لم يعد أمامه آية فرصة اخرى ٠ فغادر مكان المفاوضات مع هيئة التحرير الوطني، وترك ميلانو التي شهدت مولد الفاشية الى الأبد٠٠ وحدث ذلك في مساء ٢٥ أبريل في الساعة الثانية بعد الظهر ٠ وتحولت احلام الجمهورية الفاشية بالقتال والقيام بدفاع اخير مستميت عن نفسها الى هروب مضطرب وعشوائي لا يلوى الا على النجاة بالنفس ٠ وأخذ موسوليني في التنقل من مكان الى آخر في الشوارع المتعرجة المحيطة ببحيرة جاردا كالفأر في المصيدة ٠٠٠ وفي هذا المكان دارت أحداث حياة موسوليني الاخيرة ٠ وظل في كومو بعد أن وصل اليها حتى فجر ٢٧ آبريل ، ثم تحركت قافلة صغيرة مكونة من قيادات الحزب والسكرتيرات اللاتي اصطحبن معهن الوثائق والنقود، بحراسة حافلتين من الجنود الألمان باتجاه الحدود السويسرية القريبة ٠ ولكن تبين من استطلاع المكان أن الذهاب الى

سويسرا أصبح مستحيلا • وانضمت للقافلة فى كتيبة مدفعية المانيا مضادة للطائرات قوامها مائتى رجل • واعتقد الجميع أن القافلة بعد انضمام هذه القوة اليها ستتمكن من الوصول الى منطقة ميران العسكرية التى يسيطر عليها الألمان دون الاصطدام بالحواجز التى أقامها رجال العصابات على الطريق • ولكن أوقفت فصيلة من رجال العصابات الشيوعيين قافلة موسولينى فى ٢٧ أبريل ثم اصطحبوه الى قرية دونجو الصغيرة التى حضر اليها من ميلانو القائد فاليريو (فالتر أوديزيو) مندوب القيادة العسكرية للمقاومة فور سماعه الخبر • وتسلم موسولينى رغم تردد رجال المقاومة المحليين ••• وانتهى كل شيء عصر يوم ٢٨ أبريل • أعدم موسولينى وعشيقته كلاريتا بيتاتشى التى تبعته حتى النهاية رميا بالرصاص • وفى الساعة الحادية عشرة مساء علقت جثتيهما من القدمين على صارى محطة بنزين بميدان بياتزال لوريتو فى ميلانو والى جوارهما جثث من أعدموا فى دونجو من قادة الحزب •

••• عندما أسر موسولينى كان يرتدى معطفا عسكريا ألمانيا وكان يقبع فى مؤخرة حافلة عسكرية ألمانية •



اقرأ فى هــذه الســلسلة

احلام الاعلام وقصص اخرى	برتراند راســل
الالكترونيات والحياة الحديثة	ى ٠ رادونسكايا
نقطـة مقـابل نقطـة	الدس هكســلى
الجغرافيـا فى مائة عام	ت ٠ و ٠ فريمـان
الثقـــافة والمجتمـــع	رايموند وليـامز
تاريخ العلم والتكنولوجيا (٢ جـ)	ر ٠ ج ٠ فوربس
الأرض الغـــامضة	ليســـترديل راى
الرواية الانجليـــزية	والتـــر آلن
المرشد الى فن المسرح	لويس فارجـاس
آلهــة مصر	فرانسوا دوماس
الانسان المصرى على الشـاشة	د٠ قدرى حفنى وآخرون
القاهرة مدينة الف ليلة وليلة	اولج فولـكف
الهوية القومية فى السينما العـربية	هاشـم النحـــاس
مجمـــوعات النقــود	ديفيـد وليـام ماكدوال
الموسيقى ـ تعبير نغمى ـ ومنطق	عـــزيز الشــوان
عصر الرواية ـ مقال فى النوع الأدبى	د٠ محسن جاسم الموســوى
ديـلان توماس	اشراف س ٠ بى ٠ كوكس
الانســان ذلك الكائن الفــريد	جـون لويس
الرواية الحـــديثة	جـــول ويست
المسرح المصرى المعـــاصر	د٠ عبد المعطى شعراوى
على محمــود طـه	انــور المعـــداوى
القــوة النفســية للاهــرام	بيـل شـول وادبنيت
فن الترجمــــة	د٠ صــفاء خلوصى
تولســـتوى	رالف ئى ماتلـو
ســـتندال	فيكتــور برومبير

افريقيا الطريق الآخر	بادى اونيمود
السحر والعلم والدين	فيليب عطية
الكون ذلك المجهول	جلال عبد الفتاح
تكنولوجيا فن الزجاج	محمد زينهم
حروب المستقبل	مارتن فان كريفلد
الفلسفة الجوهرية	...وندارى
الاعلام التطبيقى	فرانسيس ج • برجين
تبسيط المفاهيم الهندسية	ج • كارفيل
فن المايم والبانتومايم	توماس ليبهارت
تحول السلطة (٢ ج)	الفين توفلر
التفكير المتجدد	ادوارد ويوتو
السيناريو فى السينما الفرنسية	كريستيان سالين
فن الفرجة على الافلام	جوزيف • م • بوجز
خفايا نظام النجم الأمريكى	بول وارن
بين تولستوى ودستويفسكى (٢ ج)	جورج ستاينر
ما هى الجيولوجيا	ويليام هـ • ماثيوز
الحمر والبيض والسود	جارى ب • ناش
انواع الفيلم الاميركى	ستالين جين • سولومون
رحلة الأمير رودلف ٢ ج	عبد الرحمن الشيخ
رحلات ماركوبولو ٣ ج	عبد العزيز جاويد
الفيلم التسجيلى	محمود سامى عطا الله
الرومانتيكية والواقعية	يانكو لافرين
نظرية التصوير	ليوناردو دافنشى
تاريخ العلم والحضارة فى الصين	جوزيف ليدهام
الحب	د • ليوبوسكاليا
كنوز الفراعنة	ت•ج•هـ• جيمز
اطلالات على الزمن الآتى	د • السيد نصر الدين
الرواية اليوم	مالكولم براد برى
مشكلات القرن الحادى والعشرين	يوسف شرارة

السينما العربية	اعداد / مونى براح واخرون
دليل تنظيم المتاحف	آدامز فيليب
سقوط المطر وقصص اخرى	نادين جورديمر وآخرون
جماليات فن الاخراج	زيجمونت هبنر
التاريخ من شتى جوانبه (٣ جـ)	ستيفن أوزمنت
الحملة الصليبية الأولى	جوناثان ريلى سميث
التمثيل للسينما والتليفزيون	تونى بار
العثمانيون فى اوربا	بول كولز
صناع الخلود	موريس بيير برابر
الكنائس القبطية القديمة فى مصر (٢ جـ)	الفريد ج · بتلر
رحلات فارتيما	رودريجو فارتيما
انهم يصنعون البشر (٢ جـ)	فانس بكارد
فى النقد السينمائى الفرنسى	اختيار/ د· رفيق الصبان
السينما الخيالية	بيتر نيكوللز
السلطة والفرد	برتراند راسل
الأزهر فى الف عام	بيارد دودج
رواد الفلسفة الحديثة	ريتشارد شاخت
سفر نامة	ناصر خسرو علوى
مصر الرومانية	نفتالى لويس
الاتصال والهيمنة الثقافية	هربرت شيلر
مختارات من الآداب الآسيوية	اختيار / صبرى الفضل
كتب غيرت الفكر الانسانى (٥ جـ)	احمد محمد الشنوانى
الشموس المتفجرة	اسحق عظيموف
مدخل الى علم اللغة	لوريتو توه
حديث النهر	اعداد / سوريال عبد الملك
من هم التتار	د· ابرار كريم الله
ماستريخت	اعداد / جابر محمد الجزار
معالم تاريخ الانسانية (٤ جـ)	هـ · ج · ولز
الحملات الصليبية	ستيفن رانسيمان
حضارة الاسلام	جوستاف جرونيباوم
رحلة بيرتون (٣ جـ)	ريتشارد ف · بيرتون
الحضارة الاسلامية	ادمز متز
الطفل (٢ جـ)	ارنولد جزل

رسائل وأحاديث من المنفى	فيكتور هوجو
الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)	فيرنر هيزنبرج
التراث الغامض ماركس والماركسيون	سدنى هوك
فن الأدب الروائى عند تولستوى	ف ٠ ع ادنيكوف
أدب الأطفال	هادى نعمان الهيتى
أحمد حسن الزيات	د٠ نعمة رحيم العزاوى
اعلام العرب فى الكيمياء	د٠ فاضل أحمد الطائى
فكرة المسرح	جلال العشرى
الجحيم	هنرى باربوس
صنع القرار السياسى	السيد عليوة
التطور الحضارى للانسان	جاكوب برونوفسكى
هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال	د٠ روجر ستروجان
تربية الدواجن	كاتى ثير
الموتى وعالمهم فى مصر القديمة	ا ٠ سبنسر
النحل والطب	د٠ ناعوم بيتروفيتش
سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ ـ ١٩١٤	د٠ لينوار تشامبرز رايت
كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة	د٠ جون شندلر
الصحافة	بيير البير
اثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى	د٠ غبريال وهبة
الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها	د٠ رمسيس عوض
حركة عدم الانحياز فى عالم متغير	د٠ محمد نعمان جلال
الفكر الأوربى الحديث (٣ ج)	فرانكلين ل ٠ باومر
الفن التشكيلى المعاصر فى الوطن العربى ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥	شوكت الربيعى
التنشئة الأسرية والأبناء الصغار	د٠ محيى الدين أحمد حسين

العنوان	المؤلف
صـور افريقيـة	دوركاس ماكلنيتوك
المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية	بيتر لورى
وظائف الأعضاء من الألف الى الياء	بوريس فيدروفيتش سيرجيف
الهندسة الوراثية	ويليام بينز
تربية اسماك الزينة	ديفيد الدرتون
الفلسفة وقضايا العصر (٣ ج)	جمعها : جون ر · بورر وميلتون جولد بنجر
الفكر التاريخى عند الاغريق	أرنولد توينبى
قضايا وملامح الفن التشكيلى	د· صالح رضا
التغذية فى البلدان النامية	م·هـ· كنج وآخرون
بداية بلا نهاية	جورج جاموف
الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية	د· السيد طه ابو سديرة
حوار حول النظامين الرئيسيين للكون	جاليليو جاليليه
الارهاب	اريك موريس وآلان هو
اخناتون	سيريل الدريد
القبيلة الثالثة عشرة	آرثر كيستلر
التوافق النفسى	ترماس ا · هاريس
الدليل الببليوجرافى	مجموعة من الباحثين
لغة الصورة	روى ارمز
الثورة الاصلاحية فى اليابان	ناجاى متشيو
العالم الثالث غدا	بول هاريسون
الانقراض الكبير	ميخائيل ألبى ، جيمس لفلوك
تاريخ النقود	فيكتور مورجان
التحليل والتوزيع الأوركسترالى	اعداد محمد كمال اسماعيل
الشاهنامة (٢ ج)	الفردوسى الطوسى
الحياة الكريمة (٢ ج)	بيرتون بورتر
كتابة التاريخ فى مصر	جاله كرابس جونيور
عن النقد السينمائى الأمريكى	ادوارد ميرى
تراتيم زرادشت	اختيار / د· فيليب عطية

نظريات الفيلم الكبرى	ج. دادلى أندرو
مختارات من الأدب القصصى	جوزيف كونراد
الحياة فى الكون كيف نشأت وأين توجد	د. جوهان دورشنر
حرب الفضاء	طائفة من العلماء الأمريكيين
ادارة الصراعات الدولية	د. السيد عليوة
الميكروكمبيوتر	د. مصطفى عنانى
مختارات من الأدب اليابانى	صبرى الفضل
الفكر الأوربى الحديث ٤ ج	فرانكلين ل. باومر
تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة	جابريل باير
أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة	انطونى دى كرسينى
كتابة السيناريو للسينما	دوايت سوين
الزمن وقياسه	زافيلسكى ف. س
اجهزة تكييف الهواء	ابراهيم القرضاوى
الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى	بيتر رداى
سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى	جوزيف داهموس
التجربة اليونانية	س. م بورا
مراكز الصناعة فى مصر الاسلامية	د. عاصم محمد رزق
العلم والطلاب والمدارس	رونالد د. سمبسون ونورمان د. اندرسون
الشارع المصرى والفكر	د. انور عبد الملك
حوار حول التنمية الاقتصادية	والت وتيمان روستو
تبسيط الكيمياء	فريد س هيس
العادات والتقاليد المصرية	جون بوركهارت
التذوق السينمائى	آلان كاسبيار
التخطيط السياحى	سامى عبد المعطى
البذور الكونية	فريد هويل شاندرا ويكراما ماسينج
دراما الشاشة (٢ جـ)	حسين حلمى المهندس
الهيروين والايدز	روى روبرتسون
نجيب محفوظ على الشاشة	هاشم النحاس

نظرية الأدب المعــاصر	ديفيد بشنبدر
مجمل تاريخ الأدب الانجليزى	ايفور ايفــانس
الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا	د . نورمان كلارك
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى	هنرى بيرين
المرأة الفرعونيــة	كريستيان ديروش نوبلكور
التربية عن طريق الفن	هيربرت ريد
معجم التكنولوجيا الحيوية	وليــام بينز
البرمجة بلغــة السى	روبرت لافور
البرنامج النووى الاسرائيلى	د٠ ممدوح حامد عطية
الكيمياء فى خدمة الانسان	رولاند جاكســون
بحثا عن عالم افضل	كارل بوبر
العــلم وآفاق المســتقبل	اسحق غظيموف
كوننــا المتعدد	ايفــرى شــاتزمان
التاريخ وكيف يفسرونه (جـ ٢)	آلبان ٠ ج ٠ ويدجرى
محمد واليهــود	د٠ بركات أحمد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/١٥٣٢

ISBN — 977 — 01 — 5060 — 6



بدأ العالم يسمع عن موسوليني في العشرينيات والثلاثينيات من قرننا الذى اوشك على الانتهاء، والذى وصفه ذات يوم «بانه سيكون قرن الفاشية»!

اتصفت تلك الفترة من تاريخ اوروبا، التي تلت الحرب العالمية الأولى، بانها عصر الدكتاتوريات. فظهر اثناءها هتلر فى المانيا وستالين فى روسيا وسالازار فى البرتغال ثم فرانكو فى إسبانيا. وكان موسوليني بحق هو مؤسس هذه المدرسة والقدوة التي تمثل بها غيره وعلى راسهم هتلر الذى يعتبره استاذا له.

فى هذا الكتاب، يعرض المؤرخ الإيطالى جوسيبي دى لونا المتخصص فى تاريخ بلاده المعاصر، وفى فترة الفاشية على وجه التحديد، مسار حياة المدرس الفاشل المتحمس للإشتراكية الذى هاجر إلى سويسرا هربا من التجنيد، وكيف اشتغل بالصحافة ولمع فيها بعد أن عاد إلى بلاده. ويبين لنا كيف تحول بعد ذلك إلى دكتاتور مستبد بدهائه وانانيته وحسه الانتهازى المرهف الذى مكنه من استغلال مخاوف خصومة من اليسار لتحقيق اهدافه والوصول إلى الحكم فى نهاية المطاف. إنها قصة كل حاكم مستبد عاشق لذاته يستغل معاناة الجماهير لاشباع اطماعه، فيقول لها «اعطنى حريتك... اعطك الخبز» ثم ياخذ الاثنين.

سيرى القارئ من سياق سيرته كيف تحول من نصير للإشتراكية إلى عدو لها، و كيف أسس الحزب الفاشى وخنق الحريات وأسكت المعارضة بوحشية وخسة. كان لا يترفع عن قتل خصومة. كما كان «فتوات» حزبه لا يتورعون عن ضرب المعارضين بهراواتهم الغليظة وسكب زيت الخروع فى افواههم. وسيرى أيضاً كيف صدق الأساطير التى كان يخدع بها غيره، مثل إحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة وقدراته الخارقة ونبوغة فى كل شىء.

لقد احتل موسولينى اثيوبيا واستعمل الغازات السامة فى إبادة الإثيوبيين، وأعاد احتلال ليبياوامر بإعدام المناضل الشهيد عمر المختار. واخيرا، قادته أطماعه إلى التحالف مع هتلر ودخول الحرب العالمية الثانية ليُلحق ببلاده الخراب والدمار وهزيمة منكرة فى ميادين القتال، بسبب تدخله الاحمق فى العمليات العسكرية وعدم إلمامه بأصول الحرب وعلومها.

... ثم كانت النهاية المفجعة، فى يوم من ايام ابريل ١٩٤٥..... النهاية التى يلقاها كل دكتاتور على يد الشعب الذى تصور انه خدعة.... اذ قبض عليه رجال المقاومة الإيطاليون، وهو يحاول الفرار من بلاده التى لفظته كالفار المذعور فى سيارة نقل عسكرية المانية، ثم اعدموه هو وعشيقته رميا بالرصاص وعلقوا جثتيهما من القدمين على صارى صهريج محطة بنزين ليبصق عليهما المارة... ومن سخرية القدر أن يكون ذلك فى ميلانو التى شهدت مولد الفاشية على يد موسولينى قبلها بعشرين عاما

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب